الجزء الخامس

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام
المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله
ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وهو نسبة
الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز
توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة
رحمه الله وأسكنه من
الفردوس أعلاه
آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي
الخطيب المشهور بالكازروني رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾
﴿ لطلبة السنة العاشرة ﴾

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العربية الكبرى

﴿ على نفقة أصحابها ﴾
﴿ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى ﴾
﴿ بمصر ﴾

﴿سورة والصافات﴾ (قوله أو بطوائف الاجرام الى آخره) لايظهر معنى الزجر فى هذا الوجه ويمكن أن يقال تدبير الارواح الاجرام والارواح هى الزاجرة لها والارواح (٢) وان كانت أفضل من الاجرام لكن الصف أفضل من الزجر (قوله غير انه الى آخره) أى

﴿سورة الصافات مكية وآيها مائة واثنتان وثمانون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) أقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به فيها أو الناس عن المعاصى بالهام الخير أو الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على أنبيائه وأوليائه أو بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة فى بحار القدس يسبحون الليل والنهار لايفترون أو بنفوس العلماء الصافين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه أو بنفوس الغزاة الصافين فى الجهاد الزاجرين الخيل أو العدو التالين ذكر الله لايشغلهم عنه مباراة العدو والعطف لاختلاف الذوات أو الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله

يالهف زيابة للحارث الصـ ـابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر أو الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته أو الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير أنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وأدغم أبو عمرو وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان وأصول الثنايا (ان الهكم لواحد) جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ماهو المألوف فى كلامهم وأما تحقيقه فبقوله تعالى (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على مامر غير مرة ورب بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر محذوف وما بينهما يتناول أفعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب أو مشارق الشمس فى السنة وهى ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم فى واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ فى النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم (بزينة الكواكب) بزينة هى الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه أو بزينة هى لها كاضوائها وأوضاعها أو بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كاللبقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة أبى بكر بالتنوين والنصب على الاصل أو بأن زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت فى الكرة الثامنة وماعدا القمر من السيارات فى الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح فى ذلك فان

الفاء فى قوله فالزاجرات فالتاليات عكس الفاء فى قوله فالمقصرين لفضل المحاق بالاجماع ومافى الآية بالعكس لان الصف فى مقام العبودية وهى تفيض عليهم الانوار الالهية أنزل من الزجر والزجر أنزل من التلاوة أما أفضلية الثانى عن الاول فلان التكميل زيادة على الكمال وأما أفضلية الثالث عن الثانى فباعتبار ان تدبير أمور العالم أدون من التلاوة المذكورة وههنا موضع نظر ولذا قال صاحب الكشاف انك اذا أجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتها جامعين لها فعطفها مفيد ترسالها فى الفضل اما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذا ان أردت العلماء والقراء (قوله لو لم تختلف الى آخره) فاذا كان الشمس يطلع فى الدرجة الثلاثين من القوس مثلا كان لها مشرق معين فلو كان زمان انتقالها من أول الدرجة المذكورة الى آخرها مثل انتقالها من أول درجة الجدى الى آخرها كانت اذا طلعت من آخر تلك الدرجة يكون لها ذلك المشرق المذكور فاما اذا لم يكن اهل الزمانان مثلين لم يكن طلوعها اذا كانت فى آخر الدرجة المذكورة من ذلك المشرق المعين بل من مشرق أقرب الى مشرق رأس الجدى اذا كان الزمان الثانى أطول ومن مشرق أبعد منه اذا كان أقل كل ذلك يظهر بالتخيل الصحيح (قوله أو بزينة هى الى

آخره) عطف على قوله فالاضافة للبيان والمعنى الاضافة للبيان أو بمعنى اللام (قوله فانه يقتضى الى آخره) وهو غير مناسب اذلا حاجة الى الحفظ من شياطين لايسمعون ثم انه يوهم انه ليس الحفظ من شياطين يريد أن يسمعوا (قوله مبالغة لنفيه وتهويلا) أما المبالغة فلانه يفيد انهم اذا أصغوا لايسمعون وأما التهويل فلانه اذا كانوا مع اصغائهم لايسمعون بدل على وجود مانع عظيم يمنعهم من السماع (قوله اذ ليس فيه مايدل على انه ينقض من الفلك) فان قيل قوله (٣) وحفظا من كل شيطان مارد يدل على انه ينقض من الفلك قلنا هو أيضا لايدل عليه اذ يجوز أن تكون الكواكب رجما لمادة الشياطين بالبخار الصاعد الى الاثير مع انه يحتمل أن يكون طردهم الشياطين لا بالانقضاض ولا بالشهب بل بطريق آخر وليس في القرآن نص عليه (قوله فان كل نير الى آخره) غرضه دفع سؤال يمكن ايراده وهو أن قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما يدل على ان المصابيح التي هي الكواكب هي نفس الرجوم وقوله فأتبعه شهاب ثاقب يدل على أن الكواكب غير الرجوم بل من أمور حاصلة من الكواكب فاجاب بانه يحتمل أن يراد من المصابيح غير الكواكب بل الانوار الحاصلة في الجو من الشهب وغيرها فقد تكون المصابيح نفس الشهب (قوله ولا يبعد الى آخره) معناه انه يمكن ان تصير الشهب رجوما للشياطين في بعض الاوقات أي لايستلزم أن تكون في كل وقت رجوما بل في بعض الاوقات (قوله لكن قد يصيب الى آخره) يفيد انه لم يصب الشيطان ولم يحترق في كل وقت اذ لو كان أحدهما لازما لما عادوا الى الصعود (قوله ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك الى آخره) أي يدل على ان المراد ممن خلقنا ماذكرنا لا الامم المتقدمة عليهم اطلاق خلقنا وكذا يدل عليه مجيء هذا الكلام بعد ماذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما (قوله وأن المراد الى آخره) أي ولان المراد من هذا الكلام اثبات المعاد وهم كانوا ينكرون

أهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة (وحفظا) منصوب باضمار فعله أو العطف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة برمي الشهب (لايسمعون الى الملا الاعلى) كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولايجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي أن يكون الحفظ من شياطين لايسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك أن تكرمني ثم حذف أن واهدارها كقوله * ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة أو أشرافهم (ويقذفون) ويرمون (من كل جانب) من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده (دحورا) علة أي للدحور وهو الطرد أو مصدر لانه والقذف متقاربان أو حال بمعنى مدحورين أو منزوع عنه الباء جمع دحر وهو مايطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل أيضا أن يكون مصدرا كالقبول أو صفة له أي قذفا دحورا (ولهم عذاب) أي عذاب آخر (واصب) دائم أو شديد وهو عذاب الآخرة (الا من خطف الخطفة) استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها وأصلهما اختطف (فاتبعه شهاب) اتبع بمعنى تبع والشهاب مايرى كأن كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه مايدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كأنه على سطحه ولا يبعد أن يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشياطين تتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه أو مصيره دحورا واختلف في أن المرجوم يتأذى به فيرجع أو يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها (ثاقب) مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه (فاستفتهم) فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة أو لبني آدم (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعني ماذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ أم من عددنا وقوله (انا خلقناهم من طين لازب) فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود وان المراد اثبات المعاد ورد استحالته والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء

وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة وموادهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم أو بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم أن يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدؤهم أولا وقدرته ذاتية لا تتغير (بل عجبت) من قدرة الله تعالى وانكارهم للبعث (ويسخرون) من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء أي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي ان تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكر البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول أي قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لا يذكرون) واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به أو اذا ذكرهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم (واذا رأوا آية) معجزة تدل على صدق القائل به (يستسخرون) يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها (وقالوا ان هذا) يعنون ما يرونه (الا سحر مبين) ظاهر سحريته (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أصله أنبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بأن البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة أشد استنكارا فهو أبلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية (أو آباؤنا الاولون) عطف على محل ان واسمها أو على الضمير في مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى التردد (قل نعم وأنتم داخرون) صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال أي الله أو الرسول وقرأ الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه (فانما هي زجرة واحدة) جواب شرط مقدر أي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة أي صيحة واحدة وهي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وأمرها في الاعادة كأمركن في الابداء ولذلك رتب عليها (فاذا هم ينظرون) فاذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينتظرون ما يفعل بهم (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) اليوم الذي نجازى بأعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) جواب الملائكة وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين المحسن والمسيء (احشروا الذين ظلموا) أمر الله للملائكة أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم (وأزواجهم) وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أو نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على أن الذين ظلموا هم المشركون (فاهدوهم الى صراط الجحيم) فعرفوهم طريقا يسلكونها (وقفوهم) احبسوهم في الموقف (انهم مسؤلون) عن عقائدهم وأعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز أن يكون موقفهم متعددا (مالكم لا تناصرون) لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع (بل

معادهم ينكرون معاد من قبلهم

(قوله تعالى بل عجبت) بل ليس للعطف بل للابتداء فهو ابتداء كلام آخر كما قال صاحب المغني في قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا ان بل هذه حرف ابتداء لا عاطفة (قوله فقدموا الظرف وكرروا الهمزة الى آخره) فتقديم الظرف يدل على خصوص استنكاره في هذا الوقت وهو وقت الموت وصيرورتهم الى التراب والعظام وتكرير الهمزة الانكارية مبالغة في الانكار (قوله أي اذا كان كذلك الى آخره) أي اذا كان البعث بقدرتنا فالبعثة زجرة واحدة لا حاجة الى تعدد وتدريج كما هو شأنه في تكوين الاشياء (قوله كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة) أي ليس المراد من أزواج الذين ظلموا ما يكون بينهن وبينهم نكاح بل المراد الاصناف الذين لهم مقارنة مع أصناف فكل صنف يذكر مع صنف آخر زوج له فان الازواج الثلاثة المذكورة في القرآن وهم أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقون أزواج بهذا المعنى (قوله والواو لا توجب الترتيب) أي لا يفهم منه ان الوقوف للسؤال بعد الهداية الى صراط الجحيم بل يجوز أن يكون قبله (قوله توبيخ الى آخره) المراد من التوبيخ التخويف وهذا الكلام فيه تخويف لوقوع العذاب عليهم وتعريض لما عملوا في الدنيا من قبائح الاعمال وتناصرهم فيها والتقريع ظاهر

هم

هم اليوم مستسلمون) منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم وأصل الاستسلام طلب السلامة أو متسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضا ويخذله (وأقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والاتباع أو الكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن أقوى الوجوه وأيمنها أو عن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعارمن يمين الانسان الذى هو أقوى الجانبين وأشرفهما وأنفعهما ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح أو عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال أو عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين) أجابهم الرؤساء أولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى أنفسهم وثانيا بأنهم ما أجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين) ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان أمرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغى لانهم كانوا على الغى فاحبوا أن يكونوا مثلهم وفيه ايماء بأن غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن أغواهم (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بالمشركين لقوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أى عن كلمة التوحيد أو على من يدعوهم اليه (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) ردعليهم بأن ماجاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون (انكم لذائقوا العذاب الاليم) بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * وهو ضعيف فى غير المحلى باللام وعلى الاصل (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) الا مثل ما عملتم (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع الا أن يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع أيضا بهذا الاعتبار (أولئك لهم رزق معلوم) خصائصه من الدوام أو تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله (فواكه) فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذى والقوت بالعكس وأهل الجنة لما أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت أرزاقهم فواكه خالصة (وهم مكرمون) فى نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا (فى جنات النعيم) فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن فى مكرمون أو خبر ثان لأولئك وكذلك (على سرر) يحتمل الحال أو الخبر فيكون (متقابلين) حالا من المستكن فيه أو فى مكرمون وأن يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون (يطاف عليهم بكأس) باناء فيه خمر أو خمر كقوله

* وكأس شربت على لذة * (من معين) من شراب معين أو نهر معين أى ظاهر للعيون أو خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى كالماء أو للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من أنواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله (بيضاء لذة للشاربين) وهما أيضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة أو لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان

(لا فيها غول) غائلة كما فى خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا أفسده ومنه الغول (ولا هم عنها

أعدى الاول (قوله على الاصل) عطف على تقدير النون أى قرئ بنصب العذاب واظهار النون وهو لذائقون العذاب الاليم (قوله والمنقطع أيضا بهذا الاعتبار) أى هو أيضا باعتبار المماثلة اذ المعنى لكن عباد الله المخلصين ليس جزاؤهم بالمثل بل بالامثال (قوله فكانت أرزاقهم فواكه خالصة) فيه بحث فانه تعالى قال فى سورة الواقعة فى صفة السابقين ان لهم فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون فلم يكن رزقهم فواكه خالصة والجواب أن المراد من الفاكهة ههنا ما يقصد للتلذذ دون التغذى ولحم الطير الحاصل لهم فى الجنة كذلك اذ لا تحتاج أبدانهم الى الغذاء لعدم التحلل كما ذكره وأما الفاكهة المذكورة فى الواقعة فهو ما يشبه الفواكه فى الدنيا بوجه ويكون المقابل للحم فلا اشكال حينئذ (قوله فيكون حالا) أى متقابلين حالا من الضمير المذكور (قوله كالماء) وهو كونها مبصرة فان ابصار الاشربة

مطلوب وكذا البياض من جملة الكمال لان ماهو أبيض كان أصفى (قوله الصرخدى) شراب منسوب الى الصرخد وهو أرض بالشام

ينزفون) يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله أفرده بالنفي وعطفه على مايعمه لانه من عظم فساده كأنه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائى بكسر الزاى وتابعهما عاصم فى الواقعة من أنزف الشارب اذا نفد عقله أوشرابه وأصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن (عين) نجل العيون جمع عيناء (كأنهن بيض مكنون) شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه أحسن ألوان الابدان (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) معطوف على يطاف عليهم أى يشربون فيتحادثون على الشراب قال

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

والتعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانه ألذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وماجرى لهم وعليهم فى الدنيا (قال قائل منهم) فى مكالمتهم (انى كان لى قرين) جليس فى الدنيا (يقول أئنك لمن المصدقين) يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء (قال) أى ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى أهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم وعن أبى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الألف على أنه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان أدب المجالسة يمنع الاستبداد به أوخاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله * هم الآمرون الخير والفاعلونه * أوشبه اسم الفاعل بالمضارع (فاطلع) عليهم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) وسطه (قال تالله ان كدت لتردين) لتهلكنى بالاغواء وقرئ لتغوين وان هى المخففة واللام هى الفارقة (ولولا نعمة ربى) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) معك فيها (أفما نحن بميتين) عطف على محذوف أى أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين (الا موتتنا الاولى) التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع (وما نحن بمعذبين) كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له أو معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله أو تبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ (ان هذا لهو الفوز العظيم) يحتمل أن يكون من كلامهم وأن يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ماهم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب (لمثل هذا فليعمل العاملون) أى لنيل مثل هذا يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو أيضا يحتمل الامرين (أذلك خير نزلا أم شجرت الزقوم) شجرة ثمرها نزل أهل النار وانتصاب نزلا على التمييز والحال وفى ذكره دلالة على أن ماذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة مايقام للنازل ولهم وراء ذلك ماتقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا أنها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) حملها مستعار من طلع النمر لشاركته اياه فى الشكل أو الطلوع من الشجر (كأنه رؤس الشياطين) فى تناهى القبح والهول وهو

(قوله نجل) بالتحريك سعة شق العين (قوله سبب اطلاعه) فيكون اطلاعه بمنزلة الاطلاع بتشديد الطاء فيكون المعنى يامﻻئكة الله هل أنتم مطلعى على حال قرينى فاطلع أنا عليه (قوله على وضع المتصل الى آخره) أى الاصل أن يقال فقال هل أنتم مطلعون اياى فعدل عنه الى مطلعونى (قوله أو معاودة) بالرفع معطوف على قوله تمام كلامه (قوله يحتمل الامرين) أى يحتمل أن يكون من كلامهم وان يكون كلام الله (قوله طلعها حملها) الحمل بالفتح ما كان فى بطن أوعلى رأس شجرة (قوله ولعلها) أى لعل الحيات سميت بالشياطين لقبح المنظر لانها فى الاصل موضوعة لها

تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف ولعلها سميت بها لذلك (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أو من طلعها (فمالئون منها البطون) لغلبة الجوع أو الجبر على أكلها (ثم ان لهم عليها) أى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز أن يكون ثم لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة (لشوبا من حميم) لشرابا من غساق أو صديد مشوبا بماء حميم يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمى به (ثم ان مرجعهم) مصيرهم (لالى الجحيم) الى دركاتها والى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما ترد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم ان منقلبهم (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك (أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء أنذروهم من العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من الشدة والفظاعة (الا عباد الله المخلصين) الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح أى الذين أخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم أيضا سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم (ولقد نادانا نوح) شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها أى ولقد دعانا حين أيس من قومه (فلنعم المجيبون) أى فأجبناه أحسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن حذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) من الغرق أو أذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير بنيه وأزواجهم (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم (سلام على نوح) هذا الكلام جىء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء (فى العالمين) متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه (انه من عبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة أمره (ثم أغرقنا الآخرين) يعنى كفار قومه (وان من شيعته) ممن شايعه فى الايمان وأصول الشريعة (لابراهيم) ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع أو غالبا وكان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح (اذ جاء ربه) متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة أو بمحذوف هو اذكر (بقلب سليم) من آفات القلوب أو من العلائق خالص لله أو مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجىء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الاولى أو ظرف لجاء أو سليم (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أى اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم أن يقرر أنهم على الباطل ومبنى أمرهم على الافك ويجوز أن يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على أنها افك فى نفسها للمبالغة أو المراد بها عبادتها بحذف المضاف أو حالا بمعنى آفكين (فما ظنكم برب العالمين) بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته أو أشركتم به غيره أو أمنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته أو يجوز الاشراك به أو يقتضى الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله (فنظر

(قوله جىء به على الحكاية) أى تركنا عليه فى الآخرين هذا القول وهو سلام على نوح (قوله متعلق بالجار والمجرور) أى بيان وله فائدة اذ الآخرون يمكن أن يفهم منه الاناث الآخرون فلا يعم الملائكة والجن واذا قيل فى العالمين علم عموم سلامه فى جميع العالمين (قوله من السليم بمعنى اللديغ) أى السليم فى الاصل بمعنى اللديغ استعمل ههنا فى لازمه الذى هو الحزن (قوله فقدم المفعول للعناية) أى قدم المفعول به وهو الهة للعناية ثم قدم المفعول له وهو افكا على المفعول به للاهتمام

نظرة فى النجوم) فرأى مواقعها واتصالاتها أو فى علمها أو فى كتابها ولا منع منه مع أن قصده ايهامهم وذلك حين سألوه أن يعيد معهم (فقال انى سقيم) أراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على أنه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان أغلب أسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى أو أراد انى سقيم القلب لكفركم أو خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه أو بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء

(فتولوا عنه مدبرين) هاربين مخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب وأصله الميل بحيلة (فقال) أى للاصنام استهزاء (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى كان عندهم (مالكم لا تنطقون) بجوابى (فراغ عليهم) فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه (ضربا باليمين) مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم أو لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد ما رجعوا فرأوا أصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا أنه هو كما شرحه فى قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية (يزفون) يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من أزفه أى يحملون على الزفيف وقرئ يزفون أى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه (قال أتعبدون ما تنحتون) ما تنحتونه من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) أى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من أعمالهم فبإقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد أو عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون أو انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك وبهذا المعنى تمسك أصحابنا على خلق الاعمال ولهم أن يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف أو مجاز (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة من الجمة وهى شدة التأجج واللام بدل الاضافة أى جحيم ذلك البنيان (فأرادوا به كيدا) فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم (فجعلناهم الاسفلين) الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما (وقال انى ذاهب الى ربى) الى حيث أمرنى ربى وهو الشام أو حيث أتفرد فيه لعبادته (سيهدين) الى ما فيه صلاح دينى أو الى مقصدى وانما بنيت القول لسبق وعده أو لفرط توكله أو البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه الصلاة والسلام حين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله (فبشرناه بغلام حليم) بشره بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم ويكون حليما وأى حلم مثل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه (فلما بلغ معه السعى) أى فلما وجد وبلغ أن يسعى معه فى أعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا يبالغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب أكمل فى الرفق والاستصلاح

(قوله على انه مشارف للسقم) انما فسره بذلك لان السقم بالفعل لا حاجة له الى الاستدلال بالنظر فى النجوم (قوله لئلا يخرجوه) أى كلامه المذكور وان كان غير مطابق للواقع لكن فيه مصلحة توجب حسنه (قوله أو أراد الى آخره) على هذه التقادير خرج عن الكذب قطعا لانها كلها أمور واقعة (قوله كفى بالسلامة داء) اذ السلامة بعدها الموت (قوله لما فيهما من حذف أو مجاز) فعلى الاول وهو أن يكون ما موصولا يلزم الحذف وهو الضمير وعلى الثانى وهو أن يكون ما مصدرية والعمل بمعنى المعمول يلزم المجاز

له فلا يستسعيه قبل أوانه أو لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة (قال يابنى) وقرأ حفص بفتح الياء (انى أرى فى المنام أنى أذبحك) يحتمل أنه رأى ذلك وانه رأى ماهو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما أصبح روى أنه من الله أو من الشيطان فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر أن المخاطب اسمعيل عليه السلام لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله فان جده عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما سهل أقرع فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قربا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها فى أيام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وماروى أنه عليه الصلاة والسلام سئل أى النسب أشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح أنه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وماروى أن يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء فيهما (فانظر ماذا ترى) من الرأى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وأبو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها (قال يا أبت) وقرأ ابن عامر بفتح التاء (افعل ماتؤمر) أى ماتؤمر به فحذف دفعة أو على الترتيب كما عرفت أو أمرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور أو لعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مامورا به أو علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال أدل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح أو على قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء (فلما أسلما) استسلما لامر الله أو سلما الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما وأصلها سلم هذا فلان اذا خلص له فانه سلم من أن ينازع فيه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو أحد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى أو فى الموضع المشرف على مسجده أو المنحر الذى ينحر فيه اليوم (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روى أنه أمر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق بما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضله مابه على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله يا أبت افعل ماتؤمر ولم يحصل (ان هذا لهو البلاء المبين) الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة فانه لا أصعب منها (وفديناه بذبح) بما يذبح بدله فيتم به الفعل (عظيم) عظيم الجثة سمين أو عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى وأى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة

(قوله والباقون بفتحها) أى الباقون بفتح الباء وأبو عمرو بفتحها ويميل الى آخره وانما ذكر بصيغة المضارع لكون صيغة المضارع دالة على الاستمرار (قوله وقد قرئ بهما) أى قرئ استسلما وسلما (قوله وتله للجبين) لوصول الجبين الى الارض كما فى قوله تعالى يخرون للاذقان سجدا (قوله بالعزم الى آخره) يعنى أن المقصود من الامر المذكور العزم لا قطع الحلق وزهوق الروح اذ هما ليسا فى قدرة ابراهيم وانما هما بقدرة الله تعالى فالمقصود من أمر الله ابراهيم هو ماذكر من المقدمات

(قوله على التجوز فى الفداء أو الاسناد) أما التجوز فى الفداء فلان الفداء هو التخليص عن الذبح بعوض ولا يخفى ان المراد من الذبح ههنا امرار السكين على الحلق ومقدمات الذبح لا الذبح الحقيقى لانه لا قدرة لابراهيم عليه والذبح بهذا المعنى قد حصل فالفداء لا يكون بمعناه الحقيقى وأما التجوز فى الاسناد فلما ذكر من ان الفادى حقيقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفى بعض النسخ على التجوز فى الفداء

والاسناد ووجهه انه لما كان الله تعالى هو المعطى له والآمر به يمكن ان يتجوز فى الفداء فيقال فديناه بمعنى خلصناه وان يجعل الفداء بمعناه ويجعل الاسناد مجازيا وتوضيح الغرض ان يقال يمكن ان يكون فى علم الله انه لو لم يفد اسماعيل بالذبح المذكور لوقع الذبح حقيقة عليه ففداؤه تخليصه عن الذبح هذا كله اذا كان الفداء هو التخليص عن الذبح بعوض كما قاله صاحب الكشاف وأما اذا فسر بجعل الشئ مكان غيره لدفع الضرر فالفداء عنه بالذبح حقيقة لانه تخليص عن الضرر به ببدل (قوله وليس فيه مايدل عليه) لان ابراهيم عليه السلام أمر بذبح الولد ثم أمر بذبح الشاة عوضا عن ابنه فكلاهما من أمر الله تعالى لكن النذر بشئ يكون من الشخص نفسه ولا ينعقد لانه حرام فلا يجبر بعوض (قوله بل الشرط الخ) وههنا كذلك لان تعلق البشارة باسحق للاعتبار والمقصود بالنبوة والصلاح وهو كونهما مقدرين مقضيين والبشارة مقترنة بتقديرهما وقضائهما وان لم يكن اسحاق موجودا (قوله ولا حاجة الى تقدير مضاف) هذا رد على الكشاف حيث قدر ماذكر لتصحيح الكلام (قوله ومن فسر الغلام) أى الغلام فى قوله تعالى وبشرناه بغلام حليم باسحاق الخ أى من قال ان الآيات المتقدمة فى بيان حال اسحاق وكونه ذبيحا فسر البشارة باسحاق بالبشارة بنبوته (قوله وايماء بانه الغاية لها) أى الصلاح غاية النبوة لان المقصود منها الكمال والتكميل وكلاهما صلاح

وقيل وعلا أهبط عليه من ثبير وروى أنه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سنة والفادى على الحقيقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما قال وفديناه لان الله المعطى له والآمر به على التجوز فى الفداء أو الاسناد واستدل به الحنفية على أن من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه مايدل عليه (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم) سبق بيانه فى قصة نوح عليه السلام (كذلك نجزى المحسنين) لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة فى هذه القصة (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق أى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الذبيح باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق (وباركنا عليه) على ابراهيم فى أولاده (وعلى اسحق) بان أخرجنا من صلبه أنبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا (ومن ذريتهما محسن) فى عمله أو الى نفسه بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) ظاهر ظلمه وفى ذلك تنبيه على أن النسب لا أثر له فى الهدى والضلال وأن الظلم فى أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب (ولقد منا على موسى وهرون) أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) من تغلب فرعون أو الغرق (ونصرناهم) ثم الضمير لهما مع القوم (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) الطريق الموصل الى الحق والصواب (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) سبق مثل ذلك (وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين سبط هرون أخى موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفى حرف أبى رضى الله عنه وان ايليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس (اذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أتعبدونه أو أتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادته وقد أشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص بالنصب على البدل (فكذبوه فانهم لمحضرون) أى فى العذاب وانما أطلقه اكتفاء منه بالقرينة أو لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا (الا عباد الله المخلصين) مستثنى

مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ال ياسين) لغة فى الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو وأتباعه كالمهلبين لكن فيه أن العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام أو للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا الياس وقيل محمد عليه الصلاة والسلام أو القرآن أو غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) اذ الظاهر أن الضمير لالياس (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين) سبق بيانه (وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم) على منازلهم فى متاجركم الى الشأم فان سدوم فى طريقه (مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) أى ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء (أفلا تعقلون) أفليس فيكم عقل تعتبرون به (وان يونس لمن المرسلين) وقرئ بكسر النون (اذ أبق) هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه (الى الفلك المشحون) المملوء (فساهم) فقارع أهله (فكان من المدحضين) فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روى أنه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه من اللقمة (وهو مليم) داخل فى الملامة أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب (فلولا أنه كان من المسبحين) الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه فى السراء أخذ بيده عند الضراء (فنبذناه) بان جعلنا الحوت على لفظه (بالعراء) بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر أو نبت روى أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف فى مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل أربعون (وهو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه) أى فوقه مظلة عليه (شجرة من يقطين) من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وأفطر على ثماره (وأرسلناه الى مائة ألف) هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله أو ارسال ثان اليهم أو الى غيرهم (أو يزيدون) فى مرأى الناظر أى اذا نظر اليهم قال هم مائة ألف أو يزيدون والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو (فآمنوا) فصدقوه أو جددوا الايمان به بمحضره (فمتعناهم الى حين) الى أجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع الكبر

وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى أول السورة أمر رسوله أولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام فى تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا

(قوله لفساد المعنى) لانه اذا لم يستثن شئ من واو كذبوا كان كلهم مكذبين فليس فيهم عبد مخلص فضلا عن المخلصين (قوله أو للمنسوب اليه) عطف على قوله له (قوله وقيل محمد الخ) أى المراد من ياسين محمد أو غيره وهذه المعانى لا تناسب سائر القصص اذ فيها السلام على نبى ذكر قصته وههنا على التقادير المذكورة ليس الامر كذلك (قوله فى مرأى الناظر الخ) أى المعنى أرسلناه الى جماعة اذا رآهم الرائى الخ

(قوله ثم أمر باستفتائهم الخ) ووجه تفريع هذا الاستفتاء على ماذكر فى أول السورة انه لما وصف الله تعالى بصفات كاملة تنافى ما اعتقده هؤلاء الضالون ناسب ان يأمر النبى باستفتائهم عن ذلك الاعتقاد الزائغ (قوله على الآخرين) وهما التفضيل المذكور ووصف الملائكة بالانوثة وانما كان القصر عليهما لاختصاص قريش بالامرين المذكورين لان غيرهم لم يجعل التقسيم المذكور ولم يؤنث الملائكة وأما التجسم والولادة فغيرهم أيضا يثبتونهما (قوله حيث جعل المعادل الخ) أى فسادهما مما تدركه العامة لان المعادل للقسمة المذكورة التى تنكرها الطبائع مشاهدة خلق الملائكة متصفة بالانوثة وهو أيضا مما تنكره الطباع لان بطلانه فى غاية الظهور (قوله أو الاشعار الخ) الاولى ان يقال والاشعار لان التركيب المذكور يتضمنهما معا ولذا قال الزمخشرى فان قلت لم قال تعالى وهم شاهدون محض علم المشاهدة قلت ماهو الاستهزاء بهم وتجهيل (قوله ذكرهم باسم جنسهم) هذا باعتبار اجتنانهم واستتارهم عن الاعين فان الملائكة كالجن مجتنين مستترين فالاجتنان جنس يشملهما أو باعتبار ماقالوه ان الملائكة وغيرهم من الجن جنس واحد من خبث من الجن وتمرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم وضعا منهم وتقصيرا وان كانوا مطمئنين فى أنفسهم (قوله ان فسرت بغير الملائكة) أى ان فسرت الجنة بغير الملائكة بل بالشياطين فان الشياطين عالمون

كعافية

بعضها ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين فى قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل أنفسهم عليه حيث جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث أنثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله فى كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما أو لان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وانما خص علم المشاهدة لان أمثال ذلك لا تعلم الا بها فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع مافيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله) لعدم مايقتضيه وقيام ماينفيه (وانهم لكاذبون) فيما يتدينون به وقرئ ولد الله أى الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على البنين) استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء أخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة أم بعدها عليها أو على الاثبات باضمار القول أى لكاذبون فى قولهم اصطفى أو ابداله من ولد الله (مالكم كيف تحكمون) بما لا يرتضيه عقل (أفلا تذكرون) أنه منزه عن ذلك (أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) يعنى الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم أن يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشياطين اخوان (ولقد علمت الجنة انهم) ان الكفرة أو الانس أو الجن ان فسرت بغير الملائكة (لمحضرون) فى العذاب (سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب (الا عباد الله المخلصين) استثناء من المحضرين منقطع أو متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض أو من يصفون (فانكم وما تعبدون) عود الى خطابهم (ما أنتم عليه) على الله (بفاتنين) مفسدين الناس بالاغواء (الا من هو صال الجحيم) الا من سبق فى علمه أنه من أهل النار ويصلاها لا محالة وأنتم ضميرهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر أى انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما أنتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على أنه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين أو تخفيف صائل على القلب كشاك فى شائك أو المحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم مابالى به بالة فان أصلها بالية

بان الله تعالى يحضرهم فى العذاب (قوله ان فسر الضمير بما يعمهم) أى فسر ضميرانهم بما يعم المخلصين والمعنى انهم أى المحضرين الا عباد الله المخلصين أو تقدس الله عما يصفه العباد به الا عباد الله المخلصين (قوله ما أنتم عليه) أى على الله كذا فى الكشاف ثم قال ومعناه انهم يفسدون الناس على الله باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته (قوله بباعثين على طريق الفتنة الخ) أى ما أنتم بباعثين حاملين عباد الله على عبادة ما يعبدون الا ضالا

كعافية (ومامنا الاله مقام معلوم) حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى ومامنا أحد الاله مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى أمر الله فى تدبير العالم ويحتمل أن يكون هذا وماقبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علمت الملائكة أن المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا المشركين بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لايتجاوزونها فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وانا لنحن الصافون) فى أداء الطاعة ومنازل الخدمة (وانا لنحن المسبحون) المنزهون الله عما لايليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعة وهذا فى المعارف ومافى ان واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين والمعنى ومامنا الاله مقام معلوم فى الجنة أو بين يدى الله يوم القيامة وانا لنحن الصافون له فى الصلاة والمنزهون له عن السوء (وان كانوا ليقولون) أى مشركوا قريش (لوأن عندنا ذكرا من الاولين) كتابا من الكتب التى نزلت عليهم (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم (فكفروا به) أى لما جاءهم الذكر الذى هو أشرف الاذكار والمهيمن عليها (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى واحد (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح (وأبصرهم) على ماينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على أن ذلك كائن قريب كأنه قدامه (فسوف يبصرون) ماقضينا لك من التأييد والنصرة والثواب فى الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد (أفبعذابنا يستعجلون) روى أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت (فاذا نزل بساحتهم) فاذا نزل العذاب بفنائهم شبه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل أى العذاب (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وأنهم يبصرون مالايحيط به الذكر من أصناف المسرة وأنواع المساءة أو الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون فيه على ماحكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لاعزة الا له أو لمن أعزه وقد أدرج فيه جلة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد (وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم (والحمد لله رب العالمين) على ماأفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك أخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله * وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ الصافات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

(قوله والمقضى بالذات) أى المقضى بالذات هو غلبة جند الله ولو وقع غلبة غيرهم نادرا لكان أمرا واقعا بالعرض لاجل غرض آخر لانه مقصود بالذات (قوله صباحهم) فان قيل مافائدة صباحهم قلنا فائدته تأكيد الذم بساحتهم (قوله واطلاق بعد تقييد) لانه ذكر فى الاول أبصر مقيدا بالمفعول الذى هو هم

﴿سورة ص﴾ (قوله وان جعل ص اسم حرف) لايخفى انه اذا جعل اسم حرف لابد ان يكون ذكره لفائدة وليس للتحدى لانه جعل مذكورا بعده باوفتكون فائدته التنبيه على الاعجاز لان النطق باسماء الحروف من الأمى الذى لم يخالط الكتاب ولم يتعلم غريب خارق للعادة وقد صرح به المصنف فى تفسير الم وعلى هذا لامحل له من الاعراب (قوله أى انه لمعجز الخ) هذا بالنظر الى الدلالة الاولى والآخران بالنظر الى الدلالة الثانية

لانه اذا كان مأمورا بالمعادلة لزم وجوب العمل بالقرآن ولزم صدق النبى صلى الله عليه وسلم لان القرآن ناه عن الدعاوى الكاذبة فيه لاسيما النبوة أو يقال ان الجواب الاول مخصوص بالدلالة الاولى والثانى بالثانية والثالث مشترك بينهما (قوله وعلى الاولين الخ) هما قوله مادل عليه التحدى أو الامر بالمعادلة وقوله من حيث اشعاره بذلك أى من حيث اشعار الجواب أى مايدل عليه التحدى أوالامر بالمعادلة بماذكر وهو قوله ما كفر به من كفر لخلل وجده اذ لولم يكن كذلك لم يحصل الربط بين الكلامين (قوله تنزيلا لما أضيف اليه الظرف) أى مناص المتأخر الذى أضيف اليه الحين منزلة قطع الحين الذى هو الظرف عن الاضافة (قوله لما بينهما من الاتحاد) أى لما بينهما من الملابسة والعلاقة وفى عبارته قلاقة وتقرير الكشاف انه نزل قطع المضاف اليه من مناص لان أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا عن المحذوف و بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن (قوله لاضافته الى غير متمكن) أى لاضافة الحين الى غير متمكن الذى هو الضمير المضاف اليه المناص لان المضاف اليه الظرف كالظرف كما قال فكان الظرف مضاف الى غير متمكن هو الضمير المحذوف فبنى على الكسر لجعله كالمضاف اليه الذى هو مكسور وان كان المناص الذى هو مضاف حقيقة الى الضمير لم يكن مبنيا وذلك لان فى الظروف نقصانا فى الاسمية

﴿سورة ص مكية وآياتها ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ص) وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه أمر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول أى عارض القرآن بعملك و بالفتح لذلك أولحذف حرف القسم وايصال فعله اليه أواضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة و بالجر والتنوين على تأويل الكتاب (والقرآن ذى الذكر) الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف أومذكورا للتحدى أوللرمز بكلام مثل صدق محمد عليه الصلاة والسلام أوللسورة خبر المحذوف أولفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به كقولهم الله لافعلن بالجر والجواب محذوف دل عليه مافى ص من الدلالة على التحدى أوالامر بالمعادلة أى انه لمعجز أولواجب العمل به أوان محمدا الصادق أوقوله (بل الذين كفروا) أى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به (فى عزة) أى استكبار عن الحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب أيضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة أوالشرف والشهرة أوذكر مايحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة أى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا (فنادوا) استغاثة أوتوبة اواستغفارا (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين مناص ولاهى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف أحد المعمولين وقيل هى النافية للجنس أى ولاحين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره أى ولاأرى حين مناص وقرئ بالرفع على أنه اسم لا أومبتدأ محذوف الخبر أى ليس حين مناص حاصلا لهم أولاحين مناص كائن لهم و بالكسر كقوله

طلبوا صلحنا ولات أوان * فاجبنا أن لات حين بقاء

اما ان لات تجر الاحيان كما أن لولا تجر الضمائر فى قوله * لولاك هذا العام لم أحجج * أولان أوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ أصله أوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما أضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ أصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام ولايرد عليه أن خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله

العاطفون تحين لامن عاطف * والمطعمون زمان مامن مطعم

والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) بشر مثلهم أوأمى من عدادهم

عنادهم (وقال الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول (هذا ساحر) فيما يظهره معجزة (كذاب) فيما يقوله على الله تعالى (أجعل الآلهة الها واحدا) بان جعل الالوهية التى كانت لهم لواحد (ان هذا لشئ عجاب) بليغ فى العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من أن الواحد لا يفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو أبلغ كركام وكرام وروى أنه لما أسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا أبا طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلاة والسلام ماذا يسألونى فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك (وانطلق الملأ منهم) وانطلق أشراف قريش من مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن امشوا) قائلين بعضهم لبعض امشوا (واصبروا) واثبتوا (على آلهتكم) على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وأن هى المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت أولادها ومنه الماشية أى اجتمعوا وقرئ بغير أن وقرئ يمشون أن اصبروا (ان هذا لشئ يراد) ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له أو ان هذا الذى يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرئاسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى أو يريده كل أحد أو ان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم (ما سمعنا بهذا) بالذى يقوله (فى الملة الآخرة) فى الملة التى أدركنا عليها آباءنا أو فى ملة عيسى عليه الصلاة والسلام التى هى آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز أن يكون حالا من هذا أى ما سمعنا من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا فى الملة المترقبة (ان هذا الا اختلاق) كذب اختلقه (أأنزل عليه الذكر من بيننا) انكار لاختصاصه بالوحى وهو مثلهم أو أدون منهم فى الشرف والرئاسة كقولهم لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وأمثال ذلك دليل على أن مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى (بل هم فى شك من ذكرى) من القرآن أو الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس فى عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعندهم خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز أى الغالب الذى لا يغلب الوهاب الذى له أن يهب كل ما شاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) كأنه لما أنكر عليهم التصرف فى نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التى لا نهاية لها أردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى أمر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها (فليرتقوا فى الاسباب) جواب شرط محذوف أى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها أسباب الحوادث السفلية (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) أى

وشبها بالحرفية (قوله تعالى بل هم فى شك من ذكرى) اضراب عن مقدر فكأنه قال انكارهم للذكر المذكور ليس عن علم بل هم فى شك منه (قوله بل لما يذوقوا عذاب) بل هنا للانتقال من غرض الى آخر (قوله وهو لا يلائم ما بعده) لان العظمة لا تلائم المهزومية

هم جندما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن أين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية أوفلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك أكلت شيأ ماوقيل للتعظيم على الهزء وهو لايلائم مابعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتذلب لمثل هذا القول (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد) ذوالملك الثابت بالاوتاد كقوله

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد

ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده أوذوالجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمدبدى المعذب ورجليه اليها و يضرب عليها أوتادا و يتركه حتى يموت (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة) وأصحاب الغيضة وهم قوم شعيب وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة (أولئك الاحزاب) يعنى المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم (ان كل الا كذب الرسل) بيان لما أسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على أنواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه (فحق عقاب) وهو اما مقابلة الجمع بالجمع أوجعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم (وما ينظر هؤلاء) وما ينتظر قومك أوالاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر أوحضورهم فى علم الله تعالى (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى (ما لها من فواق) من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين أورجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذى توعدنا به أوالجنة التى تعدها للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه وقيل لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أى عجل لنا صحيفة أعمالنا للنظر فيها (قبل يوم الحساب) استعجلوا ذلك استهزاء (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود) واذكرهم قصته تعظيما للمعصية فى أعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما أتى صغيرة نزل عن منزلته وو بخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه وأناب فما الظن بالكفرة وأهل الطغيان أوتذكر قصته وصن نفسك أن تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه أدنى اهمال (ذا الايد) ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد وايادبمعنى (انه أواب) رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل للايد ودليل على أن المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما و يفطر يوما و يقوم نصف الليل (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) قدمر تفسيره و يسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال (بالعشى والاشراق) ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضىء و يصفو شعاعها وهو وقت الضحا وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحا وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحا الا بهذه الآية (والطير محشورة) اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة أدل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالمبتدا والخبر (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه و بين ماقبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا على المداومة عليها أوكل منهما ومن داود عليه السلام مرجع لله التسبيح (وشددنا ملكه) وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فأوحى اليه أن اقتل المدعى عليه فأعلمه فقال صدقت انى

(قوله وهو اما مقابلة الجمع بالجمع الخ) يعنى فى قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل معناه ان كلهم أى مجموعهم الا كذب الرسل فالمكذبون مقابلون للرسل أو يكون معناه ان كل واحد الا كذب الرسل فيكون تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وانما قال ذلك لان كل واحد من المكذبين ليس فى زمان جميع الرسل فيكون تكذيبه لجميعهم باعتبار أن تكذيب واحد منهم يؤل الى تكذيب جميعهم (قوله أوالجنة التى الخ) قال صاحب الكشاف قالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها (قوله وانما لم يراع الخ) أى لم يجعل يسبحن فى الاول بلفظ الفعل حالا وههنا بصيغة الاسم الا لان المحشور يدل على وجود الطير مجموعة معا ولو قيل يحشرون لدل على الحشر تدريجا لدلالته على الزمان لكن الاول أدل على القدرة وفيه ان محشورة لاتدل على حشرها دفعة جملة كما انه لاتدل على التدريج فتأمل

قتلت أباه وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته (وآتيناه الحكمة) النبوة أو كمال العلم واتقان العمل (وفصل الخطاب) وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به أما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فصل لا نزر ولا هذر (وهل أتاك نبأ الخصم) استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك أطلق على الجمع (اذ تسوروا المحراب) اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف أي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا أو بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وأن اسناد أتى اليه على حذف مضاف أي قصة نبأ الخصم لما فيه من معنى الفعل لا بأتى لان اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ واذ الثانية في (اذ دخلوا على داود) بدل من الاولى أو ظرف لتسوروا (ففزع منهم) لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه عليه الصلاة والسلام كان جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان في يوم الخلوة (قالوا لا تخف خصمان) نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما (بغى بعضنا على بعض) وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تسطط أي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد (واهدنا الى سواء الصراط) أي الى وسطه وهو العدل (ان هذا أخي) بالدين أو بالصحبة (له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) هي الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض أبلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء لي نعجة (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي أي نصيبي (وعزني في الخطاب) وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده أو في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني أي غالبني وعزني على تخفيف غريب (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه أو على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم جمع خليط (ليبغي) ليتعدى (بعضهم على بعض) وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله * اضرب عنك الهموم طارقها * وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) أي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم (وظن داود أنما فتناه) ابتليناه بالذنب أو امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها (فاستغفر ربه) لذنبه (وخر راكعا) ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه أو خر للسجود راكعا أي مصليا كأنه أحرم بركعتي الاستغفار (وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وأقصى ما في هذه القضية الاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام ود أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب عنه وما روي أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته أو استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى

(قوله على تسمية صاحب الخصم خصما) دفع سؤال هو أن القرآن كما سيجيء دال على أن الاختصام بين اثنين من الملائكة وقالوا لا تخف يدل على الاختصام بين الجمع فاجاب بان الاختصام بين اثنين لكن جعل مصاحب الخصم خصما (قوله وهو على الفرض الخ) يعني أن صورة القصة يدل على الكذب فكيف صدر من الملائكة فاجاب بانه على سبيل الفرض يعني أن مقصودهم انه لو فرض انه بغى بعضنا على بعض بالطريق المذكور كيف تحكم ههنا وأيضا الغرض التعريض لداود لا الكذب (قوله وعزني على تخفيف) أي تخفيف الزاي في عزني وهو تخفيف غريب (قوله كأنه أحرم بركعتي الاستغفار) عبارة الكشاف وأحرم بركعتي الاستغفار والانابة ولفظ كأن للظن يفيد أن الظاهر انه أحرم بركعتي الاستغفار وان أمكن أن يحرم بهما ثم بل صلى ركعتين واستغفر أيضا

الانصار المهاجرين بهذا المعنى وماقيل انه أرسل أوريا الى الجهاد مرارا وأمر أن يقدم حتى قتل فتزوجها هزء وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا أن يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده أقواما فاصطنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وأراد أن ينتقم منهم فظن أن ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به وأناب (فغفرنا له ذلك) أى ما استغفر عنه (وان له عندنا لزلفى) لقربة بعد المغفرة (وحسن مآب) مرجع فى الجنة (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) استخلفناك على الملك فيها أوجعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الله (ولاتتبع الهوى) مانهوى النفس وهو يؤيد ماقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الآخر قبل مسئلته (فيضلك عن سبيل الله) أدلائله التى نصبها على الحق (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى (وماخلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا) خلقا باطلا لاحكمة فيه أوذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين أوللباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وماخلقت الجن والانس الاليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيأ (ذلك ظن الذين كفروا) الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظن (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) أم منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله (أم نجعل المتقين كالفجار) كأنه أنكر التسوية أولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز أن يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما أن يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس مايقتضى الحكمة فيه أوفى غيرها وذلك يستدعى أن يكون لهم حالة أخرى يجازون فيها (كتاب أنزلناه اليك مبارك) نفاع وقرئ بالنصب على الحال (ليدبروا آياته) ليتفكروا فيها فيعرفوا مايدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا أى أنت وعلماء أمتك (وليتذكر أولوا الالباب) وليتعظ به ذوو العقول السليمة أوليستحضروا ماهو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لمالايعرف الامن الشرع وارشاد الى مايستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثانى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أى نعم العبد سليمان اذ مابعده تعليل للمدح وهو من حاله (انه أواب) رجاع الى الله بالتوبة أوالى التسبيح مرجع له (اذ عرض عليه) ظرف لاواب أولنعم والضمير لسليمان عند الجمهور (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل الذى لا يكاد يكون الا فى العراب الخلص (الجياد) جمع جواد أوجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود فى الركض وقيل جمع جيد روى أنه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أوعن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أصل أحببت أن يعدى بعلى لانه بمعنى

(قوله مثل هنيئا) فان هنيئا مشتق وضع موضع المصدر فى قوله تعالى فكلوه هنيئا بان يكون هنيئا مصدر الفعل محذوف وكأنه قيل وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لمتابعة الهوى (قوله ولتدبروا الخ) أى قرئ بصيغة الخطاب بتغليب الخطاب على الغيبة

آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله
* مثل بعير السوء اذا أحبا * أى برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلاة والسلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء (حتى توارت بالحجاب) أى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المختبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها (ردوها على) الضمير للصافنات (فطفق مسحا) فأخذ يمسح السيف مسحا (بالسوق والاعناق) أى بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو اضمة ما قبلها كمؤقن وعن أبى عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) وأظهر ما قيل فيه ما روى مرفوعا أنه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغدوه فى السحاب فاشعر به الا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته جرادة فأحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له أم ولد اسمها أمينة اذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها صورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم وتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها الطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوما عدد ما عبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال أهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى أو لا ينبغى لاحد أن يسلبه منى بعد هذه السلبة أو لا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحدا مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء (انك أنت الوهاب) المعطى ما تشاء لمن تشاء (فسخرنا له الريح) فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح (تجرى بامره رخاء) لينة من الرخاوة لا تزعزع أو لا تخالف ارادته كالامور المنقاد (حيث أصاب) أراد من قولهم أصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء وغواص) بدل منه (وآخرين مقرنين فى الاصفاد) عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشرور لعل أجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران فى الصفد وهو

(قوله بالسؤوق) قال فى الكشاف وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما فى أدد ونظيره الغؤر من مصدر غارت الشمس واما من قرأ بالسوق فقد جعل الضمة فى السين كأنها فى الواو للتلاصق كما فى موسى قال الطيبى قوله وقرئ بالسؤوق على وزن فعول (قوله وأظهر الاقاويل الخ) هذا تقرير ناقص اذ لا يفهم منه معنى القاء الجسد على كرسيه والوجه ماذكره الطيبى انه روى أن الجسد الملقى على كرسيه هو شق الرجل لانه جاءت القابلة وألقته على كرسيه ورأيت فى بعض التفاسير ان هذا هو الذى ذهب اليه العلماء المتقنون (قوله فيكون منافسة) أى ليس مراده عليه السلام مجرد عدم حصول مثل ملكه لغيره حتى يكون منافسة وحسدا بل غرضه أحد الامور المذكورة

القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط به المنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه عكس وعده وأوعد وفي ذلك نكتة (هذا عطاؤنا) أي هذا الذي أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على مالم يسلط به غيرك عطاؤنا (فامنن أو أمسك) فاعط من شئت وامنع من شئت (بغير حساب) حال من المستكن في الامر أي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك أو من العطاء أو صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد (وان له عندنا لزلفى) في الآخرة مع ماله من الملك العظيم في الدنيا (وحسن مآب) هو الجنة (واذكر عبدنا أيوب) هو ابن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب صلوات الله عليه (اذ نادى ربه) بدل من عبدنا وأيوب عطف بيان له (أني مسني) بأني مسني وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها في الوصل (الشيطان بنصب) بتعب (وعذاب) ألم وهي حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولا هي لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه أعجب بكثرة ماله أو استغاثة مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه أو لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للادب أو لانه وسوس الى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد و بضمتين للتثقيل (اركض برجلك) حكاية لما أجيب به أي اضرب برجلك الارض (هذا مغتسل باردوشراب) أي فضرب بها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أي ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة و باردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى (ووهبنا له أهله) بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم (ومثلهم معهم) حتى كان له ضعف ما كان (رحمة منا) لرحمتنا عليه (وذكرى لاولى الالباب) وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجا الى الله فيما يحيق بهم (وخذ بيدك ضغثا) عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحنث) روي أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود (انا وجدناه صابرا) فيما أصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة أن يفتنه أو قومه في الدين (نعم العبد) أيوب (انه أواب) مقبل بشراشره على الله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق و يعقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع أو على أن ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق و يعقوب عطف عليه (أولى الايدي والابصار) أولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين أو الى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان أكثرها بمباشرتها و بالابصار عن المعارف لانها أقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال أنهم كالزمنى والعماة (انا أخلصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي (ذكرى الدار) تذكرهم الدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون و يذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقة والدنيا معبر وأضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان أو لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خير أو خير على

(قوله وفي ذلك نكتة) هي أن باب الافعال قد يجيء للازالة نحو أشكيته بمعنى أزلت شكايته فلما كان الصفد متضمنا للقيد الذي هو شر ناسب أن يكون أصفد للاعطاء الذي هو مستلزم لازالة القيد ولما كان وعدد الاعلى الخير ناسب أن يكون أوعد للانذار الدال على ازالة الخير (قوله ذلك) أي الشكوى الى الله خيفة أن يفتنه الشيطان أو قومه

تخفيفه كاموات فى جمع ميت أوميت (واذكر اسمعيل واليسع) هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما فى قوله * رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * وقرأ حمزة والكسائى واليسع تشبيها بالمنقول من ايسع من اللسع (وذا الكفل) ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة (وكل) أى وكلهم (من الاخيار هذا) اشارة الى ما تقدم من أمورهم (ذكر) شرف لهم أو نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع فى بيان ما أعدلهم ولامثالهم فقال (وان للمتقين لحسن مآب) مرجع (جنات عدن) عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب وانتصب عنها (مفتحة لهم الابواب) على الحال والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو أنهما خبران لمحذوف (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) حالان متعاقبان أو متداخلان من الضمير فى لهم لا من المتقين للفصل والاظهر أن يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمة (وعندهم قاصرات الطرف) لا ينظرون الى غير أزواجهن (أتراب) لذات لهم فان التحاب بين الاقران أثبت أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن فى وقت واحد (هذا ما توعدون ليوم الحساب) لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء ليوافق ما قبله (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) انقطاع (هذا) أى الامر هذا أو هذا كما ذكر أو خذ هذا (وان للطاغين لشر مآب جهنم) اعرابه ما سبق (يصلونها) حال من جهنم (فبئس المهاد) الممهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) أى ليذوقوا هذا فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه و يجوز أن يكون مبتدأ وخبره (حميم وغساق) وهو على الاولين خبر محذوف أى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد أهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائى غساق بتشديد السين (وآخر) أى مذوق أو عذاب آخر وقرأ البصريان وأخرى أى ومذوقات أو أنواع عذاب أخر (من شكله) من مثل هذا المذوق أو العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على أنه لما ذكر أو للشراب الشامل للحميم والغساق أو للغساق وقرئ بالكسر وهو لغة (أزواج) أجناس خبر لآخر أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم (هذا فوج مقتحم معكم) حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها (لا مرحبا بهم) دعاء من المتبوعين على أتباعهم أو صفة لفوج أو حال أى مقولا فيهم لا مرحبا أى ما أتوا بهم رحبا وسعة (انهم صالوا النار) داخلون النار بأعمالهم مثلنا (قالوا) أى الاتباع للرؤساء (بل أنتم لا مرحبا بكم) بل أنتم أحق بما قلتم أو قيل لنا الضلال لكم واضلال لكم كما قالوا (أنتم قدمتموه لنا) قدمتم العذاب أو الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتموه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة (فبئس القرار) فبئس المقر جهنم (قالوا) أى الاتباع أيضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) مضاعفا أى ذا ضعف وذلك أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب (وقالوا) أى الطاغوت (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم و يسخرون بهم (أتخذناهم

(قوله كما فى قوله رأيت الخ) قال الرضى قد يعرف العلم بان يؤول بواحد من الجماعة المسماة به فيدخل فيه اللام كما فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا (قوله وقرأ حمزة الخ) قال فى الكشاف قرئ واليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع وقال كأن لانه يحتمل أن يكون اسما أعجميا فلذا أورد لفظ كأن المفيد للظن وأما ما ذكره من التشبيه المذكور فلا يظهر وجهه (قوله ما فى المتقين من معنى الفعل) فيكون فى الجار والمجرور فعل هو حصلت وفيه ضمير جنات عدن (قوله فانه يمسهم الخ) أى ولادتهم وسقوطهم على الارض ومس التراب لهم فى وقت واحد

سخريا) صفة أخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على أنه انكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) فلا نراهم وأم معادلة لما لا نرى على أن المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا أليسوا ههنا أم زاغت عنهم أبصارنا أو لا نتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى أي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منه أم تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على أنفسهم أو منقطعة والمراد الدلالة على أن استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ أبصارهم وقصورا نظارهم على رثاثة حالهم (ان ذلك) الذي حكيناه عنهم (لحق) لابد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال (تخاصم أهل النار) وهو بدل من لحق أو خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك (قل) يا محمد للمشركين (انما أنا منذر) أنذركم عذاب الله (وما من اله الا الله الواحد) الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته (القهار) لكل شئ يريد قهره (رب السموات والارض وما بينهما) منه خلقها واليه أمرها (العزيز) الذي لا يغلب اذا عاقب (الغفار) الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار (قل هو) أي ما أنبأتكم به من أني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في ألوهيته وقيل ما بعده من نبأ آدم (نبأ عظيم أنتم عنه معرضون) لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فلما رأى على النبوة فقوله (ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون) فان أخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم أو بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى (ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين) أي لأنما كأنه لما جوز أن الوحي يأتيه بين بذلك ماهو المقصود به تحقيقا لقوله انما أنا منذر ويجوز أن يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين) بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير أنها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ماهو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي عليه الصلاة والسلام بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز أن يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وأن يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة (فاذا سويته) عدلت خلقته (ونفخت فيه من روحي) وأحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته (فقعوا له) خروا له (ساجدين) تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر) تعظم (وكان) وصار (من الكافرين) باستنكاره أمر الله تعالى واستكباره عن الطاعة أو كان منهم في علم الله تعالى (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم أو بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض

الثاني معناه أي معنى اتخذناهم سخريا الندم على ما فعلوا بالمؤمنين فكأنهم قالوا كنا على الباطل في الاستسخار بهم بل زاغت أبصارنا وعلى ما قلنا فالمناسب أن تكون أم المنقطعة بمعنى بل فقط من غير اعتبار الهمزة فانها قد تكون بهذا المعنى كما ذكره صاحب المغني (قوله وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد) لان خلق السموات والارض ونظامهما على الوجه الاصلح والاستقلال بالقهر والغفران يدل على التوحيد (قوله وتثنية ما يشعر بالوعيد الخ) تثنية ما يشعر به ذكر العزيز بعد ذكر القهار (قوله متعلق بعلم أو بمحذوف الخ) فيكون اذا ما متعلقا بعلم أو بكلام (قوله كأنه لما جوز الخ) أي علم من حاله صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه فكان الكافرين جوزوا الوحي واذا ثبت جوازه ناسب أن يقال باي شئ يوحى فقيل ان يوحى الي الا انما أنا نذير مبين (قوله ويجوز أن يرتفع الخ) يعني لا يلزم تقدير اللام في انما بل ههنا احتمال آخر وهو كونه نائبا مناب فاعل يوحى (قوله على الحكاية) قال في الكشاف معناه الا أن أقول لكم انما أنا نذير مبين (قوله فان القصة الخ) أي انما كان مبينا له لان القصة المذكورة وهي قوله تعالى قال ربك للملائكة الخ مشتملة على تقاول الملائكة وابليس الخ غير انها اختصرت ولم يذكر حكاية تقاولهم بل اقتصر على ما وقع على ابليس لما ذكر

(قوله أو منقطعة) فيكون فيه اضراب عن قوله اتخذناهم سخريا سواء كانت استفهامية أو خبرية وعلى الاول كان المعنى انكارهم أنفسهم في الاستسخار بهم في الدنيا فكأنهم قالوا لم يستحقوا الاستسخار بل زاغت أبصارنا عنهم وعلى

سيماوله مزيد اختصاص (أستكبرت أم كنت من العالين) تكبرت من غير استحقاق أوكنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة أم عليها أو بمعنى الاخبار (قال أنا خير منه) ابداء للمانع وقوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) دليل عليه وقد سبق الكلام فيه (قال فاخرج منها) من الجنة أومن السماء أومن الصورة الملكية (فانك رجيم) مطرود من الرحمة ومحل الكرامة (وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) مر بيانه فى الحجر (قال فبعزتك) فبسلطانك وقهرك (لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة أو أخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين (قال فالحق والحق أقول) أى فأحق الحق وأقوله وقيل الحق الاول اسم الله ونصبه بحذف حرف القسم كقول * ان عليك الله أن تبايعا * وجوابه (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) ومابينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء أى الحق يمينى أوقسمى أو الخبر أى أنا الحق وقرئ مرفوعين على حذف الضمير من أقول كقوله * كلهم أصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم فى الاول وحكاية لفظ المقسم به فى الثانى للتأكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول و برفع الاول وجره ونصب الثانى وتخريجه على ماذكرناه والضمير فى منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين وأجمعين تأكيد له أوللضميرين (قل ما أسألكم عليه من أجر) أى على القرآن أو تبليغ الوحى (وما أنا من المتكلفين) المتصنعين بما ليسوا من أهله على ماعرفتم من حالى فأتحمل النبوة وأتقول القرآن (ان هو الا ذكر) عظة (للعالمين) للثقلين (ولتعلمن نبأه) وهو مافيه من الوعد والوعيد أوصدقه باتيان ذلك (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة أوعند ظهور الاسلام وفيه تهديد * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه الله أن يصر على ذنب صغير أو كبير

﴿سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادى الآية وآيها خمس وسبعون أو ثنتان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تنزيل الكتاب) خبر محذوف مثل هذا أو مبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وهو على الاول صلة التنزيل أو خبر ثان أو حال عمل فيها معنى الاشارة أو التنزيل والظاهر أن الكتاب على الاول السورة وعلى الثانى القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ أو الزم (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) ملتبسا بالحق أو بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله (فاعبد الله مخلصا له الدين) مخلصا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا وجزاؤه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حجه وظهور براهينه فقال (ألا لله الدين الخالص) أى ألا هو الذى وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) باضمار القول (ان الله يحكم بينهم) وهو متعين على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه حالا أو بدلا من الصلة وزلفى

(قوله ان عليك الله) أى الواجب عليك أو القسم ان تبايع بالله (قوله جواب محذوف) والتقدير هو أى الحق المقول لأملأن الخ (قوله اذا شارك الاول) مثل أن يكون للتأكيد كالاول فان القسم مفيد للتأكيد وتقديم المفعول أيضا لذلك (قوله وتخريجه على ماذكرنا) يعنى أن المرفوع مبتدأ محذوف الخبر أى الحق قسمى أو الخبر أى أنا الحق والمجرور باضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية

﴿سورة الزمر﴾

(قوله وهو على الاول الخ) أى الكتاب على التقدير الاول وهو أن يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف هذه السورة لان هذا فى مثل هذا المقام يناسب أن يكون اشارة الى السورة وعلى الثانى وهو أن يكون تنزيل الكتاب مبتدأ يناسب أن يكون الكتاب القرآن لان التنزيل من الله حكم مطلق القرآن (قوله يحتمل المتخذين) هو بكسر الخاء المعجمة والمتخذين من الملائكة الخ بفتح الخاء وعلى هذا فالضمير الراجع الى الذين محذوف والتقدير الذين اتخذوهم من دونه أولياء

مصدر أو حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا الى الله حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا (فيما هم فيه يختلفون) من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم (ان الله لا يهدى) لا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب كفار) فانهما فاقدا البصيرة (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) كما زعموا (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استنادما عدا الواجب اليه ومن البين أن المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله (سبحانه هو الله الواحد القهار) فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يغشى كل واحد منهما الآخر كانه يلفه عليه لف اللباس باللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كالرا عليه كور امتتابعا تتابع أكوار العمامة (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) هو منتهى دوره أو منقطع حركته (ألا هو العزيز) القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ (الغفار) حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) استدلال آخر بما أوجده فى العالم السفلى مبدوأ به من خلق الانسان لانه أقرب وأكثر دلالة وأعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم أولا من غير أب وأم ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها أو على معنى واحدة أى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها أو على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل أخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء (وأنزل لكم) وقضى أو قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت فى اللوح المحفوظ أو أحدث لكم باسباب نازلة كأشعة الكواكب والامطار (من الانعام ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير أنه غلب أولى العقل أو خصهم بالخطاب لانهم المقصودون (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه أفعاله (الله ربكم) هو المستحق لعبادتكم والمالك (له الملك لا اله الا هو) اذ لا يشاركه فى الخلق غيره (فانى تصرفون) يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم (ولا يرضى لعباده الكفر) لاستضرارهم به رحمة عليهم (وان تشكروا يرضه لكم) لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع فى رواية وأبو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن أبى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها (ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمحاسبة والمجازاة (انه عليم بذات الصدور) فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) لزوال ما ينازع العقل فى الدلالة على أن مبدأ الكل منه (ثم اذا خوله) أعطاه من الخول وهو التعهد أو الخول وهو الافتخار (نعمة منه) من الله (نسى ما كان يدعو اليه) أى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه أو ربه الذى

(قوله والقاهرية المطلقة الخ) لان الزوال يكون بسبب مزيل هو قاهر للزائل فلا يكون الزائل قاهرا مطلقا

(قوله وقرأ ابن كثير الخ) قال الواحدى منهم من أشبع الهاء حتى ألحق بها واوا والان ما قبلها متحرك فصار بمنزلة ضربه وله ومنهم من حرك الهاء ولم يلحق الواو لان أصله يرضاه والالف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها فكانت كالباقية ومع بقاء الالف لا يجوز اثبات الواو

كان يتضرع اليه وما مثل الذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى (من قبل) من قبل النعمة (وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين (قل تمتع بكفرك قليلا) أمر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لا سند له واقناط للكافرين من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله (انك من أصحاب النار) على سبيل الاستئناف للمبالغة (أمن هو قانت) قائم بوظائف الطاعات (آناء الليل) ساعاته وأم متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير أم من هو قانت أو منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى أمن هو قانت لله كمن جعل له أندادا (ساجدا وقائما) حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) فى موضع الحال أو الاستئناف للتعليل (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للأول على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون (انما يتذكر أولوا الالباب) بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام (قل يا عباد الذى آمنوا اتقوا ربكم) بلزوم طاعته (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى للذين أحسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة فى الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة فى الدنيا هى الصحة والعافية وفى هذه بيان لمكان حسنة (وأرض الله واسعة) فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه (انما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعات من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها (أجرهم بغير حساب) أجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفى الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) موحدا له (وأمرت لان أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك لاجل أن أكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة لان قصب السبق فى الدين بالاخلاص أولانه أول من أسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها أن يؤمر بها فهى أيضا تقتضيه لما يلزمها من السبق فى الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما فى أردت لأن أفعل فيكون أمرا بالتقدم فى الاخلاص والبدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به (قل انى أخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والميل الى ما أنتم عليه من الشرك والرياء (عذاب يوم عظيم) لعظمة ما فيه (قل الله أعبد مخلصا له دينى) أمر بالاخبار عن اخلاصه وأن يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا عن المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) تهديدا وخذلانا لهم (قل ان الخاسرين) الكاملين فى الخسران (الذين خسروا أنفسهم) بالضلال (وأهليهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا أهليهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده (ألا ذلك هو الخسران المبين) مبالغة فى خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بألا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين (لهم من فوقهم ظلل من النار) شرح لخسرانهم (ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار هى ظلل للآخرين (ذلك يخوف الله به عباده) ذلك العذاب هو

(قوله والضلال الخ) فيه ان الضلال سبب للجعل لله أندادا لان الضلال نتيجة الجعل الا أن يقال المراد الاستمرار على الضلال (قوله للجمع بين الصفتين) أى ليس تعدد الساجد والقائم باعتبار الذات بل باعتبار تغاير الصفة (قوله لمزيد فضل العلم) فان شرف العالم على الجاهل أقوى من شرف العامل على غيره ولعل الافضلية باعتبار أمره للنبى عليه السلام بان ينفى الاستواء بخلاف السابق فانه ليس فيه أمر بل مجرد نفى الاستواء بخلاف (قوله لان السبق فى الدين بالاخلاص) لك أن تقول الاخلاص أمر مشترك بينه صلى الله عليه وسلم وبين أمته فلا يوجب الاخلاص قصب السبق والاولى أن يقال أمرت بالاخلاص لانه سبب لان أحوز قصب السبق فى الدين لانه صلى الله عليه وسلم لما كان هو الهادى الى الاسلام كان اخلاصه موجبا لسبقه على غيره

الذى يخوّفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (ياعباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى (والذين اجتنبوا الطاغوت) البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحوت ثم وصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان (أن يعبدوها) بدل اشتمال منه (وأنابوا الى الله) وأقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه (لهم البشرى) بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وأنهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل و يؤثرون الافضل فالافضل (أولئك الذين هداهم الله) لدينه (وأولئك هم أولوا الالباب) العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفى ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وأن اجتهاد الرسل فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار و يجوز أن يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) علالى بعضها فوق بعض (مبنية) بنيت بناء المنازل على الارض (تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت تلك الغرف (وعد الله) مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد (لا يخلف الله الميعاد) لان الخلف نقص وهو على الله محال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) هو المطر (فسلكه) فادخله (ينابيع فى الارض) هى عيون ومجارى كائنة فيها أو مياه نابعات فيها اذا لينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على الظرف أو الحال (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما (ثم يهيج) يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له أن يثور عن منبته (فتراه مصفرا) من يبسه (ثم يجعله حطاما) فتاتا (ان فى ذلك لذكرى) لتذكيرا بانه لابد من صانع حكيم دبره وسوّاه أو بانه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر بها (لاولى الالباب) اذ لا يتذكر به غيرهم (أفمن شرح الله صدره للاسلام) حتى تمكن فيه يسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابلة للاسلام (فهو على نور من ربه) يعنى المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) من أجل ذكره وهو أبلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى من أجل الشئ أشد تأبيا عن قبوله من القاسى عنه لسبب آخر وللمبالغة فى وصف أولئك بالقبول وهؤلاء بامتناع ذكر شرح الصدر وأسنده الى الله وقابله بقساوة القلب وأسنده اليه (أولئك فى ضلال مبين) يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت فى حمزة وعلى وأبى لهب وولده (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن روى ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله و بناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه (كتابا متشابها) بدل من أحسن أو حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة (مثانى) جمع مثنى أو مثنى أو مثن على ما مر فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق وأعصاب أو جعل تمييزا

(قوله لذلك) أى لتأكيد الانكار لان انقاذ الشخص عسر جدا أو متعذر (قوله فنصبها على المصدر أو الحال) فعلى الاول يكون المعنى فادخله ادخال ينابيع فى الارض أى ادخال العيون والمجارى فيها فالمصدر هو المضاف المحذوف ولما حذف أعرب الينابيع الذى هو المضاف اليه اعرابه وعلى الثانى يكون المعنى فادخله نابعات فى الارض وفى نسخ فنصبها على الظرف أو الحال وهو الاصح

(قوله والاطلاق الخ) أى اطلاق ذكر الله وارادة ذكره بالرحمة وعموم المغفرة للاشعار فكان ذكره مطلقا لا يكون الا ذكر رحمته ومغفرته (قوله فلا يقدر أن يتقى الا بوجهه) فيه ان الانقاء بالوجه لا وجه له اذ الوجه أشرف الاعضاء

من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير باعيا كتركيب اقطر من القمط وهو الشد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان أصل أمره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها (ذلك) أى الكتاب أو الكائن من الخشية والرجاء (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته (ومن يضلل الله) ومن يخذله (فماله من هاد) يخرجهم من الضلال (أفمن يتقى بوجهه) بجعله درقة يقى به نفسه لانه يكون يداه مغلولة الى عنقه فلا يقدر أن يتقى الا بوجهه (سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف فى نظائره (وقيل للظالمين) أى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وباله والواو للحال وقد مقدرة (كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها (فاذاقهم الله الخزى) الذل (فى الحياة الدنيا) كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء (ولعذاب الآخرة) المعد لهم (أكبر) لشدته ودوامه (لو كانوا يعلمون) لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) يحتاج اليه الناظر فى أمر دينه (لعلهم يتذكرون) يتعظون به (قرآنا عربيا) حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا أو مدح له (غير ذى عوج) لا اختلال فيه بوجه ما وهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعانى وقيل بالشك استشهادا بقوله

وقد أتاك يقين غير ذى عوج * من الاله وقول غير مكذوب

وهو تخصيص له ببعض مدلوله (لعلهم يتقون) علة أخرى مرتبة على الاولى (ضرب الله مثلا) للمشرك والموحد (رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل) مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من أن يدعى كل واحد من معبوديه عبوديته و يتنازعوا فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه و يتعاورونه فى مهماتهم المختلفة فى تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها أو حذف منها ذا ورجل سالم أى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه أفطن للضر والنفع (هل يستويان مثلا) صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع أولان المراد هل يستويان فى الوصفين على أن الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل (الحمد لله) كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون

فيجب أن يتقى الوجه بغيره والاوجه أن يقال والله أعلم ان المراد عدم امكان الانقاء من عذاب النار لانه لما كان الانقاء بالوجه لا وجه له كان أفمن يتقى بوجهه كناية عما لا يمكن انقاء وجهه عن العذاب (قوله وهو أبلغ من المستقيم) لان عوج منكر واقع تحت النفى فيفيد عموم نفيه بخلاف المستقيم فانه يمكن ان يستفاد منه ان له استقامة بوجه أو فى ظاهر الامر (قوله على ما يقتضى مذهبه) لان المعبود ينبغى أن يكون صالحا لان يدعى المعبودية وعبودية عابده (قوله وقرئ مثلين الخ) فالمعنى هل يستوى مثلاهما المختلفان بالنوع (قوله على ان الضمير للمثلين) والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين كذا فى الكشاف ولا يخفى ان

هذا التوجيه انما يصح اذا كان الضمير راجعا الى المثلين أما اذا كان راجعا الى رجلين فلا يصح أن يقال يستوى الرجلان فيما يرجع الى الوصفية بل يقال يستويان فى الوصفين بقى أن يقال اذا كان المراد ما ذكره صاحب الكشاف ناسب افراد لفظ المثل فتأمل

به غيره من فرط جهلهم (انك ميت وانهم ميتون) فان الكل بصدد الموت وفى عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث (ثم انكم) على تغليب المخاطب على الغيب (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج عليهم بانك كنت على الحق فى التوحيد وكانوا على الباطل فى التشريك واجتهدت فى الارشاد والتبليغ ولجوا فى التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل أطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم فى الدنيا (فمن أظلم ممن كذب على الله) باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) من غير توقف وتفكر فى أمره (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجىء الرسول به بالتكذيب (والذى جاء بالصدق وصدق به) اللام للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله (أولئك هم المتقون) وقيل هو النبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائى هو الرسول والمصدق أبو بكر رضى الله عنه وذلك يقتضى اضمار الذى وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف أى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل من غير تحريف أو صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول (لهم ما يشاؤن عند ربهم) فى الجنة (ذلك جزاء المحسنين) على احسانهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره أولى بذلك أو لاشعارا بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج أعدلا بنى مروان وقرئ أسواء جمع سوء (ويجزيهم أجرهم) ويعطيهم ثوابهم (باحسن الذى كانوا يعملون) فيدل لهم محاسن أعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى عباده وفسر بالانبياء صلوات الله عليهم (ويخوفونك بالذين من دونه) يعنى قريشا فانهم قالوا له انا نخاف أن تخبلك آلهتنا بعيبك اياها وقيل انه بعث خالد اليكسر العزى فقال له سادنها احذرها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم أنفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه (ومن يضلل الله) حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر (فما له من هاد) يهديه الى الرشاد (ومن يهد الله فما له من مضل) اذ لا راد لفعله كما قال (أليس الله بعزيز) غالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره) أى أرأيتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى ان آلهتكم ان أراد الله أن يصيبنى بضر هل يكشفنه (أو أرادنى برحمة) بنفع (هل هن ممسكات رحمته) فيمسكنها عنى وقرأ أبو عمرو كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته (قل حسبى الله) كافيا فى اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير أنه القادر الذى لا مانع لما يريده من خير أو شر روى ان النبى عليه الصلاة والسلام سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بان الكل منه تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم (انى عامل)

(قوله لانه مخصوص الخ) والدليل عليه قوله اذ جاءه (قوله وذلك يقتضى اضمار الذى) اذ لو لم يضمر لكان الجائى بالصدق والمصدق به واحدا (قوله تعالى لهم ما يشاؤن عند ربهم) المراد والله أعلم انه قدر فى علمه ان لهم ما يشاؤن وهذا التقدير علة لتكفير أسوأ الاعمال فانه اذا قدر فى علمه ما ذكر لابد من التكثير (قوله يحسبون الخ) توضيحه أن يقال لاستعظامهم الذنوب يحسبون ان ما يصدر منهم من التقصيرات التى ليست بذنوب ذنوبا فتكون الصغيرة عندهم أسوأ الذنوب والاولى ان يقال انهم يعدون تقصيراتهم سيآت وان لم تكن ذنوبا فتكون صغائرهم أسوأ أعمالهم وانما خصص الاسوأ بالصغائر لان المذكورين لا تصدر عنهم الكبائر (قوله مبالغة فى الاثبات) لان نفى النفى دليل الاثبات والاثبات لدليل أبلغ من الاثبات لغيره

أى على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد والاشعار بان حاله لا يقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) فان خزى أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم الله يوم بدر (ويحل عليه عذاب مقيم) دائم وهو عذاب النار (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم ومعادهم (بالحق) متلبسا به (فمن اهتدى فلنفسه) اذ نفع به نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) فان وباله لا يتخطاها (وما أنت عليهم بوكيل) وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما أمرت بالبلاغ وقد بلغت (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) أى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا و باطنا وذلك عند الموت أو ظاهرا لا باطنا وهو فى النوم (فيمسك التى قضى عليها الموت) ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع (و يرسل الاخرى) أى النائمة الى بدنها عند اليقظة (الى أجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه (ان فى ذلك) من التوفى والامساك والارسال (لآيات) دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى آجالها (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش (من دون الله شفعاء) تشفع لهم عند الله (قل أ ولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم (قل لله الشفاعة جميعا) لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء أشخاص مقربون هى تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة الا باذنه ورضاه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال (له ملك السموات والارض) فانه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم فى أمره دون اذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة فيكون الملك له أيضا حينئذ (واذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم (اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) انقبضت ونفرت (واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الاوثان (اذا هم يستبشرون) لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ فى الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غما حتى ينقبض أديم وجهه والعامل فى اذا فجأة (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) ألتجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت فى أمرهم وضجرت من عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) فانت وحدك تقدر أن تحكم بينى و بينهم (ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص (و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم فى الوعد (و بدا لهم سيآت ما كسبوا) سيآت أعمالهم أو كسبهم حين تعرض صحائفهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وأحاط بهم جزاؤه (فاذا مس الانسان ضر دعانا) اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم فى التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده و يستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما

(قوله والمبالغة فى الوعيد الخ) لان حذفه يشعر بأنه صلى الله عليه وسلم لا يعمل على حاله بل يترقى وهذا هو المبالغة فى الوعيد (قوله وهو قريب مما ذكرنا) ماذكره من أن النفس ينقطع تعلقها بالبدن ظاهرا و باطنا عند الموت الخ فان التصرف الظاهرى هو العقل والتمييز والتصرف الباطن اخراج النفس من الباطن وابقاء الحياة وكلاهما ينقطعان عند الموت والنوع الثانى باق عند النوم (قوله تعالى أم اتخذوا الخ) يحتمل أن يكون اضرابا عما فهم من الجمل السابقة من أن الله هو الخالق وحده فما اتخذوا من دونه خالقا بل اتخذوا شفعاء (قوله تعالى و بدا لهم الخ) يحتمل أن يكون معطوفا على جزاء ٧

(قوله ان الله لايغفر أن يشرك به الى قوله ثلاث مرات) دلائل على اطلاقه فيما عدا الشرك وقوله والتعليل بقوله انه الغفور الرحيم على المبالغة أى يدل على اطلاقه فيما عدا الشرك التعليل المذكور على طريق المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وانما كان افادة الحصر الاعلى كماله فى الرحمة لان حصر صفة الكمال فى أحد يدل على كماله فيها وقوله وتقديم مايستدعى الخ معطوف على قوله ان الله لايغفر أن يشرك به

(قوله لدلالته الخ) يعنى لما كان الاسم جامعا لجميع جهات الكمال يكون منعما على الاطلاق من غير تخصيص (قوله بها) أى بدلها (قوله ومن أشرك) عطف على محذوف تقديره هل يغفر ذنوب من لم يشرك و يغفر ذنوب من أشرك (قوله وماروى من ان أهل مكة الخ) ابتداء كلام منفصل عما سبق أى هذه الرواية لاتنفى عموم مغفرة الذنوب (قوله وقيل) قال فى الكشاف روى انه أسلم عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وناس معهم ثم فتنوا وعذبوا فكنا نقول لايقبل الله لهم صرفا ولاعدلا أبدا فنزلت فكتب بها عمر رضى الله عنه اليهم فأسلموا وهاجروا (قوله وكذا قوله وأنيبوا الى ربكم الى قوله فانها الخ) يعنى هذه الآية لاتنافى عموم آية المغفرة والشرك لكل أحد لانها أى آية المغفرة وهى قوله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا الآية لاتدل على حصر المغفرة لكل أحد من غير توبة حتى لايحتاج الى وجوب التوبة والاخلاص المستفاد من قوله تعالى وأنيبوا الى ربكم فتكون هذه الآية منافية لها بل عموم المغفرة أعم من أن يكون بعد تعذيب أو بعد توبة واخلاص (قوله دون المنهى عنه) فيه مافيه لان المأمور به اذا كان أحسن من المنهى عنه لزم أن يكون المنهى عنه حسنا وليس كذلك (قوله تعالى وأنيبوا الخ) معطوف على قوله لاتقنطوا فيكون خطابا للمؤمنين أيضا على ماقاله ولا ينافيه الوعيد بالعذاب لان أهل الحق لاينفون العذاب عن المؤمنين مطلقا

اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم (ثم اذا خولناه نعمة منا) أعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به (قال انما أوتيته على علم) منى بوجوه كسبه أو بأنى سأعطاه لما لى من استحقاقه أو من الله بى واستحقاقى والهاء فيه لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها (بل هى فتنة) امتحان له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة وقرئ بالتذكير (ولكن أكثرهم لايعلمون) ذلك وهو دليل على أن الانسان للجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله انما أوتيته على علم لانها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضى به قومه (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا (فاصابهم سيئات ما كسبوا) جزاء سيئات أعمالهم أو جزاء أعمالهم وسماه سيئة لانه فى مقابلة أعمالهم السيئة رمزا الى أن جميع أعمالهم كذلك (والذين ظلموا) بالعتو (من هؤلاء) المشركين ومن للبيان أو التبعيض (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) كما أصاب أولئك وقد أصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم (وماهم بمعجزين) بفائتين (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الحوادث كلها من الله بوسط أو غيره (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أفرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ماهو عرف القرآن (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا (ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر و يدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لايغفر أن يشرك به الآية والتعليل بقوله (انه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم مايستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب جميعا ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على أنه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال ماأحب أن تكون لى الدنيا ومافيها بها فقال رجل يارسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات وماروى أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عياش والوليد بن الوليد فى جماعة افتتنوا أو فى الوحشى لاينفى عمومها وكذا قوله (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) فانها لاتدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن التوبة والاخلاص فى العمل وتنافى الوعيد بالعذاب (واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم) القرآن أو المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ماهو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل

(قوله ورب بقيع الخ) أوله دعا قومه مولى فأوا النصره * وناديت قوما بالسناة الخ أى أموا فمقبورين صارت الاحجارة مسناة فوقهم يشكو قومه حين قعدوا عن نصرته فبالغ فى اغضابهم واتهامهم فجعلهم دون الاموات فقال

ورب مقبرة لوهتفت بجوها * أتانى افواج من الكرام ينفضون يحركون رؤسهم لنفض التراب منها (قوله وهو كناية فيها مبالغة) لان الجنب والجانب فى الاصل الناحية واذا كان التفريط ثابتا فى ناحية شئ يكون ثابتا فيه (قوله مبالغة) فيه أن كل كناية تفيد مبالغة فلا حاجة الى قوله فيها مبالغة واما أن فيه مبالغة أخرى غير ما هو لازم الكنايات فغير ظاهر ولذا لم يذكر هذا القيد صاحب الكشاف بل قال هذا من باب الكناية لانه اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وغيره فقد أثبته فيه (قوله وفصله عنه) أى فصل بلى قد جاءتك عن قوله تعالى أو تقول لو أن الله هدانى لان تقديم بلى قد جاءتك يوجب تفرق القرائن أى يوجب الفصل بين أن تقول الاول وأن يقول الثانى وتأخير المودود وهو أن تقول لو أن الله هدانى عن قوله أو تقول حين ترى العذاب يوجب الاخلال بالنظم لانه يفرق الامور التى وقع الترديد فيها (قوله وتذكير الخطاب) أى فتح كاف جاءتك وتاء كذبت واستكبرت وقرئ بالتأنيث أى بكسر

أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) بمجيئه فتتداركوا (أن تقول نفس) كراهة أن تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس أو للتكثير كقول الاعشى

ورب بقيع لوهتفت بجوه * أتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

(ياحسرتى) وقرئ بالياء على الاصل (على ما فرطت) بما قصرت (فى جنب الله) فى جانبه أى فى حقه وهو طاعته قال سابق البربرى

أما تتقين الله فى جنب وامق * له كبد حرى عليك تقطع

وهو كناية فيها مبالغة كقوله

ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وقيل فى ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين بأهله ومحل ان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن الله هدانى) بالارشاد الى الحق (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصى (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المودود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله فى فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس (ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد (وجوههم مسودة) بما يناهم من الشدة أو بما يتخيل عليهم من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر أن ترى من رؤية البصر وا كتفى فيها بالضمير عن الواو (أليس فى جهنم مثوى) مقام (للمتكبرين) عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك (وينجى الله الذين اتقوا) وقرئ وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها بأهم أقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجى أو لقوله (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) وهو حال أو استئناف لبيان المفازة (الله خالق كل شئ) من خير وشر وايمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف (له مقاليد السموات والارض) لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته اذا ألزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كذا كير وعن عثمان رضى الله عنه انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها

الحروف المذكورة (قوله من ظلمة الجهل) ففى الآخرة ترى حال الباطن بعلامات فيرى الجهل بظلمة الوجه (قوله وتفسيرها بالنجاة) أراد أن الفوز هو الفلاح وهو الظفر بالخير ولا يخفى ان أهم أقسامه النجاة من البلاء والظاهر أيضا ان السعادة والعمل الصالح سببان للظفر (قوله وفيها مزيد دلالة على الاختصاص) لان الاختصاص يفهم من اللام وتقديم له يفهم اختصاصا آخر

و يمجدوهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها أصابه (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) متصل بقوله و ينجى الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على أنه مهيمن على العباد مطلع على أفعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة فى فلاح المؤمنين فضل الله وفى هلاك الكافرين أن خسروا أنفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم أو بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض أو كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذوحظ من الرحمة والثواب (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) أى أفغير الله أعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمرونى اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم و يجوز أن ينتصب غير بما دل عليه تامرونى أن أعبد لانه بمعنى تعبدوننى على ان أصله تأمرونى أن أعبد فحذف ان ورفع كقوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * و يؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تامرونى باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) أى من الرسل (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لان شركهم أقبح وأن يكون على التقييد بالموت كما صرح به فى قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) ردلما أمروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك (وكن من الشاكرين) انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص (وما قدروا الله حق قدره) ما قدروا عظمته فى أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم أهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للمؤقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع أو جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة فى حكمها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وأعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم أو ما يضاف اليه من الشركاء (ونفخ فى الصور) يعنى المرة الاولى (فصعق من فى السموات ومن فى الارض) خر ميتا أو مغشيا عليه (الا من شاء الله) قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش (ثم نفخ فيه أخرى) نفخة أخرى وهى تدل على أن المراد بالاولى ونفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع وأخرى تحتمل النصب والرفع (فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر (ينظرون) وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم فى الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرقت الارض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع و يظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات

(قوله وتغيير النظم الى آخره) أى الجملة المعطوف عليها وهو ينجى الله فعلية والمعطوف وهو الذين كفروا جملة اسمية (قوله أو بما يليه) وهو قوله تعالى له مقاليد السموات والارض (قوله ولولا دلالة التقديم على الاختصاص الخ) يمكن أن يقال التخصيص مفهوم من المقام لانه اذا أبطل الاشراك فالامر بعبادة الله أمر بتخصيصه بها فان قيل فما فائدة التقديم قلنا الاهتمام بذكره واعلم أن صاحب الكشاف ذكر ههنا شيأ لابد منه تركه المصنف وهو أن المعنى لا تعبد ما أمروك به بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (قوله لمة الليل) بكسر اللام الشعر الذى جاوز شحمة الاذن والمراد مما ذكر طلوع الصبح من غير أن يراد باللمة المعنى الحقيقى لا المجازى (قوله وقرئ بالنصب) أى قرئ قبضته بالنصب

يوم القيامة ولذلك أضاف اسمه الى الارض أو بنور خلق فيها بلا واسطة أجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه (ووضع الكتاب) للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الاعمال فى أيدى العمال وا كتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف (وجىء بالنبيين والشهداء) الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ماجرى به الوعد (ووفيت كل نفس ماعملت) جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شئ من أفعالهم ثم فصل التوفية فقال (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) أفواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه أو من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر و رجل زمر قليل المروأة وهى الجمع القليل (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء (وقال لهم خزنتها) تقريعا وتوبيخا (ألم يأتكم رسل منكم) من جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا) وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملا ن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أبهم القائل لتهويل مايقال لهم (فبئس مثوى) مكان (المتكبرين) اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولاينافى اشعاره بان مثواهم فى النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها الان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين (زمرا) على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) حذف جواب اذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم مالا يحيط به الوصف وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) لا يعتريكم بعد مكروه (طبتم) طهرتم من دنس المعاصى (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود فيها والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصى بعفوه لانه مطهره (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الارض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايرائها تمليكها مخالفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى يتبوأ كل منا فى أى مقام أراده من جنته الواسعة مع أن فى الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش) أى حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف (يسبحون بحمد ربهم) ملتبسين بحمده والجملة حال

(قوله ولذلك أضاف اسمه الى الارض) أى لما ان الله تعالى فرش الارض نورا أضاف اسمه أى الرب اليها (قوله أبهم القائل الخ) دلالته على التهويل اما باعتبار ان القائلين لكثرتهم لا يمكن عدتهم واما باعتبار ان القائل فى القوة والقدرة بحيث لا يحيط الوصف به ومن كان كذلك كان قوله واقعا لا محالة (قوله لانه يطهره) أى لان العفو يطهره فحصل التطهير له ثم دخل بسببه الجنة (قوله مع ان فى الجنة الخ) جواب سؤال هو انه لو أريد خلق كثير مكانا واحدا لزم ورود الجمع الكثير مكانا واحدا ولزوم ورود الجمع الكثير فى مكان واحد محال فكيف الاجسام الكثيرة فاجاب بانه يمكن ان يراد من المقام المراد من حيث يشاء المكان المعنوى ولا يمتنع ورود خلق كثير على مقام واحد معنوى

ثانية أومقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلتذ به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق فى صفات الحق (وقضى بينهم بالحق) أى بين الخلق بادخال بعضهم النار و بعضهم الجنة أو بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى على ماقضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضى بينهم أوالملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين وعن عائشة -رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر والله أعلم

﴿سورة المؤمن مكية وآيها خمس وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) أماله ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر صريحا ونافع برواية ورش وأبو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين أوالنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث أولانها على زنة أعجمى كقابيل وهابيل (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) لعل تخصيص الوصفين لما فى القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) صفات أخر لتحقيق مافيه من الترغيب والترهيب والحث على ماهو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أوالشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أوابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أوتغاير الوصفين اذر بما يتوهم الاتحاد أوتغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها (لااله الاهو) فيجب الاقبال الكلى على عبادته (اليه المصير) فيجازى المطيع والعاصى (مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) لما حقق أمر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث أهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير مع أنه ليس جدالا فيه على الحقيقة (فلايغررك تقلبهم فى البلاد) فلايغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى بلاد الشأم واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم أخذ من قبلهم كما قال (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود (وهمت كل أمة) من هؤلاء (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا من اصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا بالباطل) بما لاحقيقة له (ليدحضوا به الحق) ليزيلوه به (فأخذتهم) بالاهلاك جزاءلهم (فكيف كان عقاب) فانكم تمرون على ديارهم وترون أثره وهو تقرير فيه تعجيب (وكذلك حقت كلمة ربك) وعيده أوقضاؤه بالعذاب (على الذين كفروا) بكفرهم (انهم أصحاب النار) بدل من كلمة ربك بدل الكل أوالاشتمال على ارادة اللفظ أو المعنى (الذين يحملون العرش ومن حوله) الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وحلهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أوكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم

(قوله ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه) وصف الجلال الوصف السلبى والاكرام الوصف الثبوتى والاول يستفاد من التسبيح الذى هو التنزيه والثانى من الحمد (قوله وفيه اشعار الخ) وجه الاشعار ان ذكر هذه الصفة من بين صفاتهم تدل على انه أكمل صفاتهم

﴿سورة الطول﴾

(قوله وأريد بشديد العقاب الخ) انما قال ذلك لان الاضافة فى شديد العقاب اضافة لفظية لانها اضافة الصفة المشبهة فلا تفيد الاضافة التعريف فلا يصح ان يكون صفة للمعرفة وهو الله (قوله للازدواج) أى لاجل مناسبته مع سائر أقرانه (قوله ولذلك الخ) ولاجل ان مطلق الجدال ليس بمذموم قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا بالتنكير ليشعر بان بعضه كفر (قوله مع انه ليس جدالا فيه) أى الجدال لتحقيق معانيه وسائر ماذكر ليس جدالا فيه بل هو الجدال عنه واما الجدال فيه فهو السعى فى ابطاله

(قوله لان الحمد مقتضى حالهم الخ) لانه لما وردت النعم العظيمة من ربهم عليهم صار هذا منشأ لحمدهم فيكون هذا مقتضى حالهم وأما التسبيح الذى هو التنزيه عن النقائص فليس مقتضى حالهم التى هى توالى النعم عليهم وانما هو محتاج الى ملاحظة أخرى ويمكن أن يقال ان الحمد ههنا هو الحمد الفعلى وهو كونهم على حالة الحمد أى يفعلون مايدل على كبريائه تعالى منهم عبادة مخصوصة يشتغل بها دائما فكان الحمد مقتضى حالهم بخلاف التسبيح (قوله فى معرفته سواء) فيه نظر كما لايخفى والاولى أن يقال فى الايمان به سواء فيكون هذا راجعا الى المجسمة لانه لو كان تعالى جسما مستعليا على العرش كما قاله المجسمة لكان حملة العرش مشاهدين له فاوصفوا بالايمان فى معرض المدح لانه انما يوصف الشخص مدحا بالايمان بالغائب لان الاقرار بوجود شئ مرئى ظاهر لايوجب المدح فلو قال المصنف بدل معرفته ايمانه لكان حسنا (قوله للاغراق الخ) لانه لما وصف ذاته تعالى بانه وسع كل شئ والحال ان ماذكر صفة الرحمة والعلم فكانه حكم بان ذاته تعالى نفس العلم والرحمة والمبالغة فى عمومهما بسبب انه لما كان التركيب مشعرا بان ذاته كانه نفس الرحمة والعلم وكان لذاته تعالى تعلق بكل شئ اذ كل شئ مخلوق له كانت الرحمة والعلم متعلقين بكل شئ فحصلت المبالغة فى عمومهما (قوله تعميم بعد تخصيص) التخصيص من قوله تعالى وقهم عذاب الجحيم (قوله أو تخصيص بمن صلح) أى ليس هذا دعاء للذين تابوا واتبعوا بل هو دعاء مخصوص لمن صلح من آبائهم الخ (قوله كأنهم طلبوا الخ) طلب المسبب هو قولهم أدخلهم جنات عدن وطلب السبب هو وقايتهم عن السيآت (قوله لانه أخبر عنه) قال العلامة الطيبى قال أبو البقاء ومكى وصاحب الكشاف لمقت الله لايعمل فى اذتدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز أن يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه ومايتعلق به يؤذن بنقصانه وقال ابن الحاجب فى الامالى والمعنى اذا انتصب اذتدعون بالمقت الاول لمقت الله اياكم فى الدنيا اذتدعون الى الايمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم فى الآخرة فليس فيه سوى الفرق بين المصدر ومعموله بالاجنبى وهو اكبر الذى هو الخبر وهو جائز لان الظروف يتسع فيها (قوله الا أن يؤول الخ) المثل المذكور يضرب لمن حصل فى سالف الزمان ماحصل بسببه ضرر فى المستقبل فعنى بالصيف ضيعت اللبن أى حصلت فيما مضى سببا يصرفه فى المستقبل واذا لوحظ مثل هذا المعنى فى الآية كان المعنى لمقت الله أكبر من سبب مقتكم أنفسكم اذتدعون اذ المقت وان كان فى الآخرة لكن سببه فى الدنيا فجعل سبب المقت معناه وفيه مافيه (قوله بالصيف ضيعت اللبن) قيل ان رجلا استنكح امرأة فطلقت فبعد ذلك طلبت منه اللبن فقال الصيف ضيعت اللبن

عنده وتوسطهم فى نفاذ أمره (يسبحون بحمد ربهم) يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح أصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح (ويؤمنون به) أخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله (ويستغفرون للذين آمنوا) واشعارا بأن حملة العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم مايوجب المغفرة وفيه تنبيه على أن المشاركة فى الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها أقوى المناسبات كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة (ربنا) أى يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون أو حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن أصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) وعدتهم اياها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) عطف على هم الاول أى أدخلهم ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم أو الثانى لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد (انك أنت العزيز) الذى لايمتنع عليه مقدور (الحكيم) الذى لايفعل الا ماتقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد (وقهم السيآت) العقوبات أو جزاء السيآت وهو تعميم بعد تخصيص أو تخصيص بمن صلح أو المعاصى فى الدنيا لقوله (ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته) أى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ماسألوا المسبب (وذلك هو الفوز العظيم) يعنى الرحمة أو الوقاية أو مجموعهما (ان الذين كفروا ينادون) يوم القيامة فيقال لهم (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله اياكم أكبر من مقتكم أنفسكم الامارة بالسوء (اذتدعون الى الايمان فتكفرون) ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه أخبر عنه ولا للثانى لان مقتهم أنفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء أعمالهم الخبيثة الا أن يؤول بنحو بالصيف ضيعت اللبن

أو تعليل للحكم وزمان المقتين واحد (قالوا ربنا أمتنا اثنتين) اماتتين بان خلقتنا أمواتا أولا ثم صيرتنا أمواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتداء أو بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل المختار أحد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر (وأحييتنا اثنتين) الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحيا آن ما فى القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله (فاعترفنا بذنوبنا) فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث (فهل الى خروج) نوع خروج من النار (من سبيل) طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك أجيبوا بقوله (ذلكم) الذى أنتم فيه (بأنه) بسبب أنه (اذا دعى الله وحده) متحدا أو توحد وحده فحذف الفعل وأقيم مقامه فى الحالية (كفرتم) بالتوحيد (وان يشرك به تؤمنوا) بالاشراك (فالحكم لله) المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد الدائم (العلى) عن أن يشرك به ويسوى بغيره (الكبير) حيث حكم على من أشرك وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة بالعذاب السرمد (هو الذى يريكم آياته) الدالة على التوحيد وسائر ما يجب أن يعلم تكميلا لنفوسكم (وينزل لكم من السماء رزقا) أسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم (وما يتذكر) بالآيات التى هى كالمركوزة فى العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى (الا من ينيب) يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشئ لا ينظر فيما ينافيه (فادعوا الله مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) اخلاصكم وشق عليهم (رفيع الدرجات ذو العرش) خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو أصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لا يصح أن يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات أو مصاعد الملائكة الى العرش أو السموات أو درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح (يلقى الروح من أمره) خبر رابع للدلالة على أن الروحانيات أيضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحى وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن أمره بيانه لانه أمر بالخير أو مبدؤه والامر هو الملك المبلغ (على من يشاء من عباده) يختاره للنبوة وفيه دليل على أنها عطائية (لينذر) غاية الالقاء والمستكن فيه لله أو لمن أو للروح واللام مع القرب تؤيد الثانى (يوم التلاق) يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد وأهل السماء والارض أو المعبودون والعباد أو الاعمال والعمال (يوم هم بارزون) خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شئ أو ظاهرة نفوسهم لتجردها عن غواشى الابدان أو أعمالهم وسرائرهم (لا يخفى على الله منهم شئ) من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لتحوما يتوهم فى الدنيا (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسئل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيآت توجب لذتها وألمها لكنها لا تشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وأدركت لذتها وألمها (لا ظلم اليوم) بنقص الثواب وزيادة العقاب (ان الله سريع الحساب) اذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا (وأنذرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بها لازوفها أى قربها أو الخطة الآزفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت (اذ القلوب لدى

(قوله أو تعليل للحكم الخ) فيكون المعنى لمقت الله فى الآخرة اياكم أكبر من مقت بعضكم بعضا لانكم تدعون الى الايمان فتكفرون (قوله فاختيار الفاعل المختار أحد مفعوليه الخ) العبارة لا تخلو عن قصور والاولى أن يقال ان اختيار الفاعل أحد الامرين الحادثين فى القابل صرف لذلك القابل عن المقبول الآخر فجعل صرفه منه كتعلقه (قوله واللام مع القرب تؤيد الثانى) لان الانذار أنسب بمن يشاء من عباده

الحناجر) فانها ترتفع عن أماكنها فتلصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا (كاظمين) على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة أو منها أو من ضميرها فى لدى وجمعه كذلك لان الكظم من أفعال العقلاء كقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم على أنه حال مقدرة (ما للظالمين من حميم) قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وأنه لظلمهم (يعلم خائنة الاعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واسراق النظر اليه أو خيانة الاعين (وما تخفى الصدور) من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على أنه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء (والله يقضى بالحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا وهو حقه (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى أو لا يقضى وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات أو اضمار قل (ان الله هو السميع البصير) تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون و يفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه (أو لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) ما حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود (كانوا هم أشد منهم قوة) قدرة وتمكنا وانما جىء بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر أشد منكم بالكاف (وآثارا فى الارض) مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله * متقلدا سيفا ورمحا (فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) يمنع العذاب عنهم (ذلك) الاخذ (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو الاحكام الواضحة (فكفروا فاخذهم الله انه قوى) متمكن مما يريده غاية التمكن (شديد العقاب) لا يؤبه به بعقاب دون عقابه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعنى المعجزات (وسلطان مبين) وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين أو لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) يعنون موسى عليه الصلاة والسلام وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم و بيان لعاقبة من هو أشد الذين كانوا من قبلهم بطشا وأقربهم زمانا (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى عليه السلام (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى) كانوا يكفونه عن قتله و يقولون انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة وتعللت بذلك مع كونه سفها كافى أهون شئ دليل على أنه تيقن أنه نبى فخاف من قتله أو ظن أنه لو حاوله لم يتيسر له و يؤيده قوله (وليدع ربه) فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه (انى أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله و يذرك وآلهتك (أو أن يظهر فى الارض الفساد) ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد (وقال موسى) أى لقومه لما سمع بكلامه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) صدر الكلام بأن تأكيدا واشعارا على أن السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثاهم على موافقته لما فى ظاهر الارواح من استجلاب

(قوله لانه على الاضافة) أى التقدير اذ حصلت قلوب الخلق لدى الحناجر فيكون كاظمين حالا من الخلق الذين هم أصحاب القلوب وعلى التقدير الثالث يكون المعنى اذ القلوب حصلت لدى الحناجر (قوله على انه حال مقدرة) فيه انهم حال انذارهم لا يكون لهم تقدير الكظم لانهم لا يعتقدون البعث وهذا أحد الوجهين للذين ذكرهما صاحب الكشاف والوجه الآخر أن المعنى مشارفين الكظم. وهذا له وجه (قوله خبر خامس) أى لقوله تعالى هو الذى يريكم آياته (قوله أو ظن) عطف على قوله يتيقن (قوله و يؤيده قوله الخ) أى يؤيد الظن المذكور لانه لا يناسب التيقن المذكور تجلده وعدم مبالاته بدعاء ربه

الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى عدت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) من أقاربه وقيل من متعلق بقوله (يكتم ايمانه) والرجل اسرائيلى أو غريب موحد كان ينافقهم (أتقتلون رجلا) أتقصدون قتله (أن يقول) لان يقول أو وقت أن يقول من غير روية وتأمل فى أمره (ربى الله) وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد (وقد جاءكم بالبينات) المتكثرة الدالة على صدقه من المعجزات والاستدلالات (من ربكم) أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله (وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) فلا أقل من أن يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا أو يصبكم مايعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد

ترّاك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لانه أراد بالبعض نفسه (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) احتجاج ثالث ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما أن من خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله أراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثانى لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين عالين (فى الارض) أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد وانما أدرج نفسه فى الضميرين لانه كان منهم فى القرابة ولير يهم أنه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم (قال فرعون ما أريكم) ما أشير عليكم (الا ما أرى) وأستصوبه من قتله وما أعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبى ولسانى متواطئان عليه (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) طريق الصواب وقرئ بالتشديد على أنه فعال للمبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لانه مقصور على السماع أو للنسبة الى الرشد كعواج و بتات (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم) فى تكذيبه والتعرض له (مثل يوم الاحزاب) مثل أيام الامم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل (والذين من بعدهم) كقوم لوط (وما الله يريد ظلما للعباد) فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله ومار بك بظلام للعبيد من حيث ان المنفى فيه حدوث تعلق ارادته بالظلم (و ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو ينادى أصحاب الجنة وأصحاب النار كما حكى فى الاعراف وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من أخيه (يوم تولون) عن الموقف (مدبرين) منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها (مالكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف) يوسف بن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الاباء الى الاولاد أو سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) من الدين (حتى اذا هلك)

(قوله أو يرتبط) معناه الى أن يرتبط (قوله لانه مقصور على السماع) أى فعال من أفعل سماعى (قوله ولا يخلى الظالم الخ) فيه انه يجوز أن يعفو عن الظالم من غير انتقام على ماهو مذهب أهل السنة الا أن يراد بالظلم الكفر

مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضما الى تكذيب رسالته تكذيب برسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث من بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث (كذلك) مثل ذلك الضلال (يضل الله) فى العصيان (من هو مسرف مرتاب) شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد (الذين يجادلون فى آيات الله) بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع (بغير سلطان أتاهم) بغير حجة بل اما بتقليد أو بشبهة داحضة (أكبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف أى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا أو بغير سلطان وفاعل كبر (كذلك) أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت أذني أو على حذف مضاف أى على كل ذى قلب متكبر (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر (لعلى أبلغ الاسباب) الطرق (أسباب السموات) بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها (فاطلع الى اله موسى) عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجى ولعله أراد أن يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التى هى أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه أو ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه (وانى لاظنه كاذبا) فى دعوى الرسالة (وكذلك) ومثل التزيين (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه أنه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامى وأبو عمرو وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى خسار (وقال الذى آمن) يعنى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه الصلاة والسلام (ياقوم اتبعون أهدكم) بالدلالة (سبيل الرشاد) سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير لسرعة زوالها (وان الآخرة هى دار القرار) الخلود ها (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) عدلا من الله وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على أنه شرط فى اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك (وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثانى الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده أيضا تفسير لما أجمل فيه تصريحا أو تعريضا أو على الاول (تدعوننى لاكفر بالله) بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام (وأشرك به ما ليس لى به) ربوبيته (علم) والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لابد لها من برهان فاعتقادها لا يصح الا عن ايقان (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (لا جرم) لا رد لما دعوه

التكذيب (قوله فيه ضمير من الخ) أى الضمير المستتر فى كبر راجع الى من وافراده لانه مفرد اللفظ (قوله أو بغير سلطان) أى أو يكون الذين يجادلون مبتدأ و بغير سلطان خبره (قوله وأن يرى فساد قول موسى الخ) هذا التوجيه لا يناسب ظاهر القرآن كما لا يخفى لان معناه الظاهر انه طلب أسباب الصعود الى السماء حتى يطلع على اله موسى الا أن يقال ان كلامه على الفرض والتقدير يعنى لا يمكن الاطلاع الى اله موسى ولو أمكن فابن لى ياهامان صرحا (قوله ولعل تقسيم العمال) تقسيمهم يستفاد من قوله تعالى من ذكر أو أنثى (قوله وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة الخ) لان كلا منهما يفيد نوع تأكيد أما الاسمية فلافادتها الدوام والثبوت واما التصدير باسم الاشارة فلانه يفيد علية الحكم فكأنه قيل هؤلاء الموصوفون بما ذكر يدخلون الجنة (قوله ولذلك لم يعطف النداء الثانى على النداء الاول) لكونه بيانا له (قوله فان ما بعده أيضا) أى ما بعد النداء الثالث أيضا تعيين لما أجمل فى النداء الاول تصريحا باعتبار أن الدعوة الى النجاة هى الهداية الى سبيل الرشاد وفى النداء الاول تعريض بان قوم فرعون داعون الى النار وفى النداء الثالث تصريح بذلك التعريض

(قوله أو النار) خبر محذوف والتقدير هو أى سوء العذاب النار (قوله أو بدل) عطف على قوله خبر (قوله ويحتمل عطفه الخ) فان قيل فعلى هذا يكون المعنى النار يعرضون عليها وقت محاجتهم فى النار والحال ان أحدهما هو الآخر فيكون تكرارا قلنا ليس أحدهما عين الآخر بل غير مستلزم اذ يمكن الدخول فى النار والمحاجة فيها من غير عرضهم على النار اذا لمراد من هذا العرض احراقهم ولا يلزم من الدخول فيها الاحراق اذ الملائكة الموكلون عليها داخلون فيها مع عدم احراقهم (قوله على الاضمار أو التجوز) فالاضمار أن يكون ذوى مقدرا والتجوز أن يكون تبعا بمعنى ذوى تبع مجازا (قوله ونصبا مفعول لما دل عليه الخ) توضيحه ان مغنون بمعنى نافعون قال فى الصحاح ما يغنى عنك هذا أى ما يجدى عنك وما ينفعك فمغنون دال على الدفع لان النافع قد يكون نفعه بدفع الضر فاما أن يقدر يدفعون و يجعل نصبا مفعوله أو يقدر الكلام هكذا فهل أنتم مغنون دافعين عنا نصيبا من النار (قوله فيكون من صلة لمغنون) فيكون المعنى فهل أنتم دافعون عنا بعض عذاب النار (قوله بحذف المضاف) والتقدير عذاب يوم

اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله (أنما تدعونني اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) أى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها أصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضى ألوهيتها أو عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الاظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لابد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لاقطع لبطلان دعوة ألوهية الاصنام أى لا ينقطع فى وقت ما فتنقلب حقا و يؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد (وأن مردنا الى الله) بالموت (وان المسرفين) فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) ملازموها (فستذكرون) وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب (ما أقول لكم) من النصيحة (وأفوض أمرى الى الله) ليعصمنى من كل سوء (ان الله بصير بالعباد) فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم المفهوم من قوله (فوقاه الله سيآت ما مكروا) شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام (وحاق بآل فرعون) بفرعون وقومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه أولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش حوله صفوفا فرجعوا رعبا فقتلهم (سوء العذاب) الغرق أو القتل أو النار (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) جملة مستأنفة أو النار خبر محذوف و يعرضون استئناف للبيان أو بدل و يعرضون حال منها أو من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص أو باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود أن أرواحهم فى أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر (و يوم تقوم الساعة) أى هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم (أدخلوا آل فرعون) يا آل فرعون (أشد العذاب) عذاب جهنم فانه أشد مما كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم وقرأ حمزة والكسائى ونافع و يعقوب وحفص أدخلوا على أمر الملائكة بادخالهم النار (واذ يتحاجون فى النار) واذكر وقت تخاصمهم فيها و يحتمل العطف على غدوا (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) تفصيل له (انا كنا لكم تبعا) تباعا كخدم فى جمع خادم أو ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار أو التجوز (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) بالدفع أو الحمل ونصيبا مفعول به لما دل عليه مغنون أو له بالتضمين أو مصدر كشيأ فى قوله لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ فيكون من صلة لمغنون (قال الذين استكبروا انا كل فيها) نحن وأنتم فكيف نغنى عنكم ولو قدر نا لاغنينا عن أنفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب (ان الله قد حكم بين العباد) بان أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ولا معقب لحكمه (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) أى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل أو لبيان محلهم فيها اذ يحتمل أن تكون جهنم أبعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) قدر يوم (من العذاب) شيأ من العذاب و يجوز أن يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه (قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) أرادوا به الزامهم للحجة وتو بيخهم على اضاعتهم أوقات الدعاء وتعطيلهم أسباب الاجابة (قالوا بلى قالوا فادعوا) فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة (ومادعاء

الكافرين

الكافرين الا فى ضلال) ضياع لا يجاب وفيه اقناط لهم عن الاجابة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة (فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أى فى الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لاعدائهم عليهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة أو لانه لم يؤذن لهم فيعتذروا وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء (ولهم اللعنة) البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) ما يهتدى به فى الدين من المعجزات والصحف والشرائع (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا (لاولى الالباب) لذوى العقول السليمة (فاصبر) على أذى المشركين (ان وعد الله حق) بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون (واستغفر لذنبك) وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بأمر العدا بالاستغفار فانه تعالى كافيك فى النصر واظهار الامر (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) عام فى كل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة أو اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار (ان فى صدورهم الا كبر) الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو ارادة الرياسة أو أن النبوة والملك لا يكونان الا لهم (ما هم ببالغيه) ببالغى دفع الآيات أو المراد (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه (انه هو السميع البصير) لاقوالكم وأفعالكم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) فمن قدر على خلقها مع عظمها أولا من غير أصل قدر على خلق الانسان ثانيا من أصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من أمر التوحيد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم أهواءهم (وما يستوى الاعمى والبصير) الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) والمحسن والمسىء فينبغى أن يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسىء لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود أو الدلالة بالصراحة والتمثيل (قليلا ما يتذكرون) أى تذكرا ما قليلا ما يتذكرون والضمير للناس أو الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب أو الالتفات أو أمر الرسول بالمخاطبة (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به (وقال ربكم ادعونى) اعبدونى (أستجب لكم) أثبكم لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فانه من أبوابها وقرأ ابن كثير وأبو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) لتستريحوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف الحركات وهدوّ الحواس (والنهار مبصرا) يبصر فيه أو به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال (ان الله لذو فضل على الناس) لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم (ذلكم)

المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى كما أفكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها (الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) استدلال ثان بأفعال أخر مخصوصة (وصوركم فأحسن صوركم) بأن خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيأ لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) اللذائذ (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) فان كل ماسواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال (هو الحى) المتفرد بالحياة الذاتية (لا اله الا هو) اذ لا موجد سواه ولا موجود يساويه أو يدانيه فى ذاته وصفاته (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء (الحمد لله رب العالمين) قائلين له (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى) من الحجج والآيات أو من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) بان انقاد له أو أخلص له دينى (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) أطفالا والتوحيد لارادة الجنس أو على تأويل كل واحد منكم (ثم لتبلغوا أشدكم) اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله (ثم لتكونوا شيوخا) ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا (ومنكم من يتوفى من قبل) من قبل الشيخوخة أو بلوغ الاشد (ولتبلغوا) ويفعل ذلك لتبلغوا (أجلا مسمى) هو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من الحجج والعبر (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا) فاذا أراده (فانما يقول له كن فيكون) فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ماسبق من حيث انه يقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون) عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل أو المجادل فيه أو لتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن أو بجنس الكتب السماوية (وبما أرسلنا به رسلنا) من سائر الكتب أو الوحى والشرائع (فسوف يعلمون) جزاء تكذيبهم (اذ الاغلال فى أعناقهم) ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضى لتيقنه (والسلاسل) عطف على الاغلال أو مبتدأ خبره (يسحبون فى الحميم) والعائد محذوف أى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال فى أعناقهم بمعنى أعناقهم فى الاغلال أو اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به (ثم فى النار يسجرون) يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أى ملئ والمراد انهم يعذبون بأنواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا وذلك قبل أن تقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) أى بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيأ بعبادتهم فانهم ليسوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن (كذلك) مثل ذلك الضلال (يضل الله الكافرين) حتى لا يهتدوا الى شئ ينفعهم فى الآخرة أو يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطلبوا لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال (بما كنتم تفرحون فى الارض) تبطرون وتتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطغيان (وبما

سبق أن يقال والنهار لتبصروا فيه فعدل اليه للمبالغة (قوله أو من الآيات) أى الآيات القرآنية الدالة على الصفات فانها مقوية الخ لان الدلالة النقلية مقوية للعقلية

كنتم تمرحون) تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ (ادخلوا أبواب جهنم) الابواب السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود بسبب الثواء عبر بالمثوى (فاصبر ان وعد الله) بهلاك الكافرين (حق) كائن لا محالة (فاما نرينك) فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها (بعض الذى نعدهم) وهو القتل والاسر (أو نتوفينك) قبل أن نراه (فالينا يرجعون) يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع فى هذا المعرض (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) اذ قيل عدد الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والمذكور قصصهم أشخاص معدودة (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها (فاذا جاء أمر الله) بالعذاب فى الدنيا أو الآخرة (قضى بالحق) بانجاء المحق وتعذيب المبطل (وخسر هنالك المبطلون) المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب كالابل والبقر (ولكم فيها منافع) كالالبان والجلود والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) بالمسافرة عليها (وعليها) فى البر (وعلى الفلك) فى البحر (تحملون) وانما قال وعلى الفلك ولم يقل فى الفلك للمزاوجة وتغيير النظم فى الاكل لانه فى حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش وهو من الضروريات والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون لأغراض دينية واجبة أو مندوبة أو لا فرق بين العين والمنفعة (ويريكم آياته) دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته (فأى آيات الله) أى فأى آية من تلك الآيات (تنكرون) فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب أى اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء فى أى أغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض) ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار أقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الاولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو الآيات الواضحات (فرحوا بما عندهم من العلم) واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وقيل الفرح أيضا للرسل فانهم لما رأوا تمادى جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الاصنام (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما أغنى كالنتيجة لقوله كانوا أكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله فما أغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجىء الرسل وامتناع نفى الايمان مسبب عن

(قوله سبب الثوى) لان الثوى الاقامة والدخول المقيد بالخلود يستلزمها (قوله أو للفرق بين العين والمنفعة) فان الأكل أخذ العين والركوب والمسافرة الانتفاع (قوله والتفرقة الخ) أى التفرقة فى الاسماء غير الصفات غريب وفى أى أغرب لان التمييز غير مطلوب فيه لانها موضوعة للابهام (قوله والفاء الاولى) هى الفاء فى قوله فما أغنى عنهم والفاء الثانية هى الفاء فى فلما جاءتهم والباقيتان هما فى قوله فلما رأوا باسنا وقوله فلم يك ينفعهم

الرؤية (سنة الله التي قد خلت في عباده) أي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة (وخسر هنالك الكافرون) أي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

﴿سورة السجدة مكية وآيها ثلاث أو أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلته مبتدأ خبره (تنزيل من الرحمن الرحيم) وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف أو مبتدأ التخصصه بالصفة وخبره (كتاب) وهو على الاولين بدل منه أو خبر آخر أو خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على أنه مناط المصالح الدينية والدنيوية (فصلت آياته) ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت أي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني أو فصلت بين الحق والباطل (قرآنا عربيا) نصب على المدح أو الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه (لقوم يعلمون) أي لقوم يعلمون العربية أو لاهل العلم والنظر وهو صفة أخرى لقرآنا أو صلة لتنزيل أو لفصلت والاول أولى لوقوعه بين الصفات (بشيرا ونذيرا) للعاملين به والمخالفين له وقرئا بارفع على الصفة للكتاب أو الخبر لمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن تدبره وقبوله (فهم لا يسمعون) سماع تأمل وطاعة (وقالوا قلوبنا في أكنة) أغطية جمع كنان (مما تدعونا ليه وفي آذاننا وقر) صمم وأصله الثقل وقرئ بالكسر (ومن بيننا وبينك حجاب) يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم وبج أسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم (فاعمل) على دينك أو في ابطال أمرنا (انا عاملون) على ديننا أو في ابطال أمرك (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد) لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا أدعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما أدعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد دل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل (فاستقيموا اليه) فاستقيموا في أفعالكم متوجهين اليه أو فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل (واستغفروه) مما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال (وويل للمشركين) من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله (الذين لا يؤتون الزكوة) لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم الرذائل وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي أنفسهم وهو الايمان والطاعة (وهم بالآخرة هم كافرون) حال مشعرة بأن امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر) عظيم (غير ممنون) لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو لا يقطع من منت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) في مقدار يومين أو نوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين أنه خلق لها أصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت أنواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته (وتجعلون له أندادا) ولا يصح أن يكون له ند (ذلك) الذي خلق الارض في يومين (رب العالمين) خالق جميع ما وجد من الممكنات

ومربيها

﴿سورة فصلت﴾

(قوله أي فصل بعضها من بعض) فيه ان فصل متعد وما ذكره من المعنى يكون لازما (قوله أو فصلت) عطف على فصل وهذا هو الظاهر وما ذكره أولا فيه تكلف (قوله ومن بيننا وبينك) معناه ابتداء مسافة بيننا وبينك وابتداء مسافة بينك وبيننا وأوضحه العلامة التفتازاني بان البين اسم للوسط بالسكون سواء حازى الوسط أولا واذا كان مبدأ الحجاب من البينين لا أولوية لبعض الاجزاء ليكون منتهى فينتهي بالطرف الذي يلي مخاطبك فيحصل الاستيعاب بمجرد ذلك فكيف اذا اعتبر ابتداء له من طرف مخاطبك وانتهاء الى طرفك ولا كذلك لو ترك من فانه لا يدل الا على حصول حجاب بينكما كيف كان (قوله ومن للدلالة الخ) يعني لو قيل وبيننا وبينك حجاب لم يعلم ان الحجاب استوعب المكان (قوله وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع) أي بالاعمال منها أداء الزكاة اذ يفهم منه تهديدهم بترك الزكاة والا لم يكن لذكره كثير فائدة (قوله كما صح الخ) أي كما كتب لهم الاجر في وقت هو أصح أوقات أعمالهم (قوله وخلق في كل نوبة الى آخره) أي لا حاجة الى مقدار اليوم

(قوله للفصل الخ) وهو قوله تعالى وتجعلون له أندادا لانه معطوف على تكفرون وقال العلامة الطيبي هذا مثل قوله تعالى وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فان صاحب الكشاف قال ان المسجد الحرام معطوف على سبيل الله وقد تخلل بين المعطوفين فاصله وكفر به باعتبار لان كفر به فى معنى الصد فكأنه قيل صد عن سبيل الله والمسجد الحرام (قوله وقيل حال من الضمير فى أقاتونها أو فى فيها) فعلى الاول المعنى مستوأقواتها واستواؤها حصول قوت فى كل قطر وعلى الثانى مستوالارض فى حصول القوت فيها (قوله لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها الخ) أى يعلم من هذه الآية ان دحو الارض مؤخر عن خلق السماء ومعلوم ان دحوها مقدم على خلق الجبال فيها فعلم ان خلق الجبال مؤخر بمرتبتين عن خلق السماء فلا يلائم أن يقال ان ثم فى قوله تعالى ثم استوى للتراخى الزمانى والا لزم تأخر خلق السماء عن خلق الجبال وهذا مناقض للاول وانما قال الظاهر لان قوله تعالى ثم استوى الى السماء ليس نصا فى أن المراد خلق السماء بأن فصد نحوها وأمرها بالاتيان فقال لها الخ (قوله على ان الخلق السابق بمعنى التقدير) أى الخلق المستفاد من قوله خلق الارض الى قوله ثم استوى (قوله أو الترتيب للرتبة الخ) أى يكون الخلق الاول بمعناه الحقيقى والترتيب المستفاد من فقال للرتبة أى القول المذكور لهما وان كان مقدما على خلقهما لكن رتبة الخالق أكمل من رتبة القول المذكور لانه مقدمة الخلق (قوله أو الاخبار) يعنى

ومرسيها (وجعل فيها رواسى) استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة (من فوقها) مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب (وبارك فيها) وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوان (وقدر فيها أقواتها) أقوات أهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به أو أقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها وقرئ وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) فى تتمة أربعة أيام كقولك سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة أيام والى الكوفة فى خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين الاشعار بانصافهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة (سواء) أى استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة أيام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير فى أقواتها أو فى فيها وقرئ بالرفع على هى سواء (للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها أو بتقدر أى قدر فيها الاقوات للطالبين لها (ثم استوى الى السماء) قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخى فى المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها (وهى دخان) أمر ظلمانى ولعله أراد به مادتها أو الاجزاء المتصغرة التى ركبت منها (فقال لها وللارض ائتيا) بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرزا ما أودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة أو ائتيا فى الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب للرتبة أو الاخبار أو ائتيا بان السماء حدوثها وائتيا بان الارض أن تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه أو ائتا كل منكما الاخرى فى حدوث ما أريد توليده منكما ويؤيده قراءة وآتيا من المؤاتاة أى لتوافق كل واحدة أختها فيما أردت منكما (طوعا أو كرها) شئتما ذلك أو أبيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال (قالتا أتينا طائعين) منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بأمر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل من انه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين (فقضاهن سبع سموات) فخلقهن خلقا ابداعيا وأتقن أمرهن والضمير للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثانى (فى يومين) قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) شأنها وما يتأتى منها بأن جعلها عليه اختيارا أو طبعا وقيل أوحى الى أهلها بأوامره ونواهيه (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها (وحفظا) أى وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه

أو الترتيب للاخبار والمعنى فأخبرانه قال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها (قوله وقد عرفت ما فيه) لانه يدل على ان دحو الارض مؤخر عن خلق السماء وهو ينافى أن يكون خلق الجبال مقدما على خلق السماء كما علم من الآية السابقة (قوله نما يتصور على الوجه الاول والأخير) أى الوجه الاول من تفسير قوله تعالى ائتيا وهو قوله ائتيا بما خلقت فيكما الخ وكذا الوجه الاخير وهو قوله أو ليأت كل واحد منكما الاخرى فى حدوث ما أريد توليده منكما لانهما على هذين التقديرين موجودتان قبل خطاب ائتيا فيمكن خطابهما واقدارهما على الجواب وأما على غير هذين الوجهين بأن يكون المراد ائتيا فى الوجود الخ فلا اذ يكون المراد بتيان السماء حدوثها فلا

يتصور الخطاب لهما لان خطاب المعدوم غير معقول (قوله صعقته الصاعقة) أى صاعقة عاد وثمود تدل على أن الصعق متعد وصعقة عاد تدل على انه لازم فقال ان الصعق يجىء متعديا ولازما كما يقال صعقته الصاعقة الخ (قوله ولا يجوز جعله صفة لصاعقة) أى لا يجوز أن يكون صفة لصاعقة

فى قوله تعالى أنذرتكم صاعقة اذ يلزم أن تكون الصاعقة المنذر بها واقعة فى زمان مجىء الرسل فى زمان عاد وثمود وكذا لا يجوز أن يكون ظرفا لأنذرتكم والا لزم أن يكون انذار النبى صلى الله عليه وسلم فى زمان مجىء الرسل المذكور (قوله وكل من اللفظين يحتملهما) أى بين الايدى يحتمل أن يكون الزمان الماضى والمستقبل وكذا الخلف (قوله أو من قبلهم ومن بعدهم الخ) قال صاحب الكشاف فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما أرسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل من جاء من بين أيديهم أى من قبلهم ومن يجىء من خلفهم أى من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤهم وهو قولهم انا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح وسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم (قوله ينزع الصخرة فيقتلعها) ان أبقى النزع على حقيقته وهو القلع كان قوله فيقتلعها عطفا تفسيريا له وان أريد معناه المجازى بان يكون المراد شديد نزع الصخرة يكون

سؤال

نزع مثل قرأت فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله (قوله للمبالغة) أى للمبالغة فى لزوم الخزى للعذاب فكأنه عينه (قوله عبارة عن كثرة أهل النار) لان أهل النار المساقين اليها مجتمعة متصلة بعضها ببعض لا يتفرقون فلو كانوا قليلين لاحاجة الى حبس

قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا (ذلك تقدير العزيز العليم) الباغ فى القدرة والعلم (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم صاعقة) فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة أو ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى (من بين أيديهم ومن خلفهم) أتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمن الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعدهم فى الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما أو من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغتهم خبر المتقدمين وأخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم أجمعين ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان (ألا تعبدوا الا الله) بأن لا تعبدوا أو أى لا تعبدوا (قالوا لو شاء ربنا) ارسال الرسل (لأنزل ملائكة) برسالته (فانا بما أرسلتم به) على زعمكم (كافرون) اذ أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا (فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) فتعظموا فيها على أهلها من غير استحقاق (وقالوا من أشد منا قوة) اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده (أولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه أحد غيره (وكانوا بآياتنا يجحدون) يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع أو شديدة الصوت فى هبوبها من الصرير (فى أيام نحسات) جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف أو النعت على فعل أو الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو فى الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازى للمبالغة (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الضلالة على الهدى (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) صاعقة من السماء فأهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب أعداء (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهو عبارة عن كثرة أهل النار (حتى اذا ما جاؤها) اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) بان ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترفوه فتنطق بلسان الحال (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا)

الأول لحصول الآخر بل يساق الجماعة القليلة من غير توقف وحبس (قوله وماظننتم الخ) لم يتبين منه ان تقدير الآية ماذا وتوضيحه أن يقال وما كنتم تستترون كراهة أن يشهد عليكم سمعكم فيكون ان يشهد مفعولا له والمعنى ماظننتم ماذكر ان أعضاءكم الخ ولكن ظننتم الآية (قوله من أمر الآخرة وانكاره) المقصود من أمر الآخرة هو انكارها (قوله ان تلك الخ) أى أنت فى جملة آخرين فأنت فى عداد آخرين لست فى ذلك باوحد والمعنى ان تلك عن أحسن الاعمال مصروفا بالكذب أى ممنوعا منه بسبب الكذب فهذا الصرف أمر شائع بين الناس (قوله وقد سبق مثله) أى فى سورة الزمر فى قوله ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا وتفصيل ماذكر فيه ان أسوأ ليس من اضافة أفعل الى ما أضيف اليه لقصد الزيادة عليه ولكن من اضافة الشئ الى ماهو بعضه من غير تفضيل كقوله الاشج أعدل بنى مروان ولما كان ذلك اشارة الى الاسوأ لابد ان يكون الاسوأ عبارة عن الجزاء لا عن العمل ليصح الاخبار عنه بجزاء أعداء الله النار فيكون الجزاء مقدرا والتقدير ماذكر أسوأ جزاء سيئات أعمالهم الذى كانوا يعملون فيكون الذى للجنس كما قال فى قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به ان الذى للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين كقوله تعالى أولئك هم المتقون هذا تصحيح كلامه ولايخفى مافيه من التكلفات ولولم يذكر قوله سيئات أعمالهم لكان أولى ولذا لم يذكر صاحب الكشاف بل قال والتقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون (قوله على المقصود) هو الصفة لم يذكرهو ولا صاحب الكشاف وجه اضافة الدار الى الخلد والسرور وفائدة ذكرها ووجهه انه من باب التجريد وهو أن ينزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها هكذا قالوا ويمكن أن يقال ان لكل أحد من أهل الجنة مقاما هو دار الخلد له فصح ان لكل منهم فى الجنة دار الخلد

سؤال توبيخ أو تعجب ولعل المراد به نفس التعجب (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) أى ماانطقنا باختيار بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ أوليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل حى ولو أول الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما فى الموجودات الممكنة (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود وأن يكون استئنافا (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وماظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم عنها وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغى أن يتحقق أنه لايمر عليه حال الا وهو عليه رقيب (ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون) فلذلك اجترأتم على مافعلتم (وذلكم) اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله (ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأردا كم خبرا (فأصبحتم من الخاسرين) اذ صار مامنحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) لاخلاص لهم عنها (وان يستعتبوا) يسألوا العتبى وهى الرجوع الى مايحبون (فماهم من المعتبين) المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فماهم من المعتبين أى ان يسألوا أن يرضوا ربهم فماهم فاعلون لفوات الممكنة (وقيضنا) وقدرنا (لهم) للكفرة (قرناء) أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة (فزينوا لهم مابين أيديهم) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (وما خلفهم) من أمر الآخرة وانكاره (وحق عليهم القول) أى كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم كقوله

ان تك عن أحسن الصنيعة مأ * فوكافئ آخرين قد أفكوا

وهو حال من الضمير المجرور (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد عملوا مثل أعمالهم (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى (لعلكم تغلبون) أى تغلبونه على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) المراد بهم هؤلاء القائلون أو عامة الكفار (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) سيئات أعمالهم وقد سبق مثله (ذلك) اشارة الى الاسوأ (جزاء أعداء الله) خبره (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر محذوف (لهم فيها) فى النار (دار الخلد) فيها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) ينكرون الحق أو يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو (وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والسوسى أرنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء (نجعلهما

تحت أقدامنا) ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) مكانا أودلا (ان الذين قالوا ربنا الله) اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة، من حيث انه مبدأ الاستقامة أولانها عسر فلما تتبع الاقرار وما روى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها (تتنزل عليهم الملائكة) فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن أوعند الموت أوالخروج من القبر (الاتخافوا) ماتقدمون عليه (ولاتحزنوا) على ماخلفتم وأن مصدرية أومخففة مقدرة بالباء أومفسرة (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على لسان الرسل (نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا) نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة (وفى الآخرة) بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) فى الآخرة (ماتشتهى أنفسكم) من اللذائذ (ولكم فيها ماتدعون) ماتتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم من الاول (نزلا من غفور رحيم) حال من ماتدعون للاشعار بأن مايتمنون بالنسبة الى مايعطون مما لايخطر ببالهم كالنزل للضيف (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال انني من المسلمين) تفاخرا به وانتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل فى المؤذنين (ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة) فى الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى (ادفع بالتى هى أحسن) ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى أحسن منها وهى الحسنة على أن المراد بالاحسن الزائد مطلقا أو باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما أخرجه مخرج الاستئناف على أنه جواب من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) أى اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق (ومايلقاها) ومايلقى هذه السجية وهى مقابلته الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) فانها تحبس النفس عن الانتقام (ومايلقاها الاذوحظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) نخس شبه به وسوسته لانها تبعث الانسان على مالاينبغى كالدفع بما هو أسوأ وجعل النزغ نارغا على طريقة جد جده أوأريد به نازغ وصف للشيطان بالمصدر (فاستعذ بالله) من شره ولاتطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنيتك أو بصلاحك (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما مخلوقان مأموران مثلكم (واسجدوا لله الذى خلقهن) الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بأنهما من عداد مالايعلم ولايختار (ان كنتم اياه تعبدون) فان السجود أخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند أبى حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى (فان استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) أى دائما لقوله (وهم لايسأمون) أى لايملون (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت أى زادت (ان الذى أحياها) بعد موتها (لمحيى الموت انه على كل شئ قدير) من الاحياء والاماتة (ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة (فى آياتنا) بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها (لايخفون علينا) فنجازيهم على الحادهم (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيمة) قابل الالقاء فى النار بالاتيان آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين

(اعملوا

(قوله وهو أعم من الاول) لان المطلوب أعم من مشتهى اذ قد يكون شئ مطلوبا لاحد ولا يكون مشتهى لنفسه بل قد يكون طلبه لغيره مثلا وأيضا الطلب أعم من الشهوة لانها التوقان وشدة الطلب (قوله على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا) أى على أن المراد بالاحسن الزائد فى الحسن بوجه ما على شئ وقوله أو باحسن ما يمكن دفعها به تكون الزيادة فى الحسن على أمور مخصوصة هى الحسنات التى يدفع بها السيئة (قوله للمبالغة) لان الاستئناف يدل على شدة الاهتمام به اذهو جواب سؤال سائل

(اعملوا ماشئتم) تهديد شديد (انه بما تعملون بصير) وعيد بالمجازاة (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا أو مستأنف وخبران محذوف مثل معاندون او هالكون أو أولئك ينادون والذكر القرآن (وانه لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظير أو منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات أو مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية (تنزيل من حكيم) أى حكيم (حميد) يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه (ما يقال لك) أى ما يقول لك كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) الا مثل ما قال لهم كفار قومهم ويجوز أن يكون المعنى ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم (ان ربك لذو مغفرة) لانبيائه (وذو عقاب أليم) لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل أن يكون المقول بمعنى أن حاصل ما أوحى اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) بينت بلسان نفقهه (أأعجمى وعربى) أكلام أعجمى ومخاطب عربى انكار مقرر للتخصيص والاعجمى يقال للذى لا يفهم كلامه وهذا قراءة أبى بكر وحمزة والكسائى وقرأ قالون وأبو عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد وابدال الثانية ألفا وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير المد بتسهيل الثانية وقرئ أعجمى وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام أعجمى على الاخبار وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور أو الدلالة على أنهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت (قل هو للذين آمنوا هدى) الى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من الشك وأشبه (والذين لا يؤمنون) مبتدا خبره (فى آذانهم وقر) على تقدير هو فى آذانهم وقر لقوله (وهو عليهم عمى) وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على الذين آمنوا هدى (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى صم وهو تمثيل لهم فى عدم قبولهم الحق واستماعهم له بمن يصاح به من مسافة بعيدة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ أو تقدير الآجال (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين (وانهم) وان اليهود أو الذين لا يؤمنون (لفى شك منه) من التوراة أو القرآن (مريب) موجب للاضطراب (من عمل صالحا فلنفسه) نفعه (ومن أساء فعليها) ضره (وما ربك بظلام للعبيد) فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله (اليه يرد علم الساعة) أى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو (وما تخرج من ثمرة من أكمامها) من أوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع) بمكان (الا بعلمه) الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به (ويوم يناديهم أين شركائى) بزعمكم (قالوا آذناك) أعلمناك (ما منا من شهيد) من أحد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ أو من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء أى ما منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) لا ينفعهم أو لا يرونه (وظنوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب وانظن معلق عنه بحرف النفى (لا يسأم الانسان) لا يمل (من دعاء الخير) من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء بالخير (وان مسه الشر) الضيقة (فيؤس قنوط) من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله

(قوله عطف ذلك الخ) أى عطف قوله والذين لا يؤمنون على الذين آمنوا فيكون المعنى هو للذين آمنوا هدى وللذين لا يؤمنون وقوله فيكون الذين معطوفا على الذين ووقر عطف على هدى فيكون من باب العطف على معمول عاملين مختلفين وهو مما جوزه الاخفش والفراء مطلقا والمحققون من المتأخرين فى مثل هذه الصورة خاصة (قوله فيفعل بهم الخ) فيكون الظلم ههنا عبارة عن فعل ليس للفاعل أن يفعله ولا يناسبه

انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير ومافي القنوط من ظهور أثر اليأس (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لي) حق أستحقه لما لي من الفضل والعمل أولي دائما لا يزول (وما أظن الساعة قائمة) تقوم (ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى) أي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه (فلننبئن الذين كفروا) فلنخبرنهم (بما عملوا) بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) لا يمكنهم التفصي عنه (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) وانحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله (واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل اذ الطول أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله (قل أرأيتم) أخبروني (ان كان) أي القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) من غير نظر واتباع دليل (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) يعني ما أخبرهم النبي عليه الصلاة والسلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة (وفي أنفسهم) ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم أو ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة (حتى يتبين لهم أنه الحق) الضمير للقرآن أو الرسول أو التوحيد أو الله (أولم يكف بربك) أي أولم يكفر بك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل أولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى (أنه على كل شئ شهيد) بدل منه والمعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة أو مطلع فيعلم حالك وحالهم أو أولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية (ألا انهم في مرية) شك وقرئ بالضم وهو لغة نخفية وخفية (من لقاء ربهم) بالبعث والجزاء (ألا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شئ منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

﴿ سورة حم عسق مكية وهي ثلاث وخمسون آية وتسمى سورة الشورى ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم عسق) لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق (كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أي مثل ما في هذه السورة من المعاني أو ايحاء مثل ايحائها أوحى الله اليك والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وأن ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على أن كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند الى ضميره أو مصدر يوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان اعلو شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة أو بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبارا أو العزيز الحكيم صفتان وقوله (له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم) خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرأ نافع والكسائي بالياء (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرأ البصريان وأبو بكر ينفطرن بالنون

(قوله من جهة البنية) أي من جهة الصيغة لان فعول للمبالغة (قوله ومافي القنوط الخ) لان القنوط هو ان يظهر أثر اليأس (قوله وتعليلا لمزيد ضلالهم) أي تعليلا لمزيد ضلالهم المستفاد من أضل الذي هو صيغة التفضيل فان الشقاق دليل الضلال والبعيد يدل على زيادته

﴿سورة شورى﴾

والاول أبلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر (من فوقهن) أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان أعظم الآيات وأدلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض) بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته ولآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفران الله ورحمته (والذين اتخذوا من دونه أولياء) شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل بهم أو بموكول اليك أمرهم (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا) الاشارة الى مصدر يوحى أو الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر فى القرآن فى مواضع جمة فتكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه (لتنذر أم القرى) أهل أم القرى وهى مكة شرفها الله تعالى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة يجمع فيه الخلائق أو الارواح والاشباح أو الاعمال والاعمال وحذف ثانى مفعولى الاول وأول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له من الاعراب (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف يجمعون أولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) مهتدين أو ضالين (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) بالهداية والحمل على الطاعة (والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير) أى يدعهم بغير ولى ولا نصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار (أم اتخذوا) بل اتخذوا (من دونه أولياء) كالاصنام (فالله هو الولى) جواب لشرط محذوف مثل ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق (وهو يحيى الموتى وهو على كل قدير) كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية (وما اختلفتم) أنتم والكفار (فيه من شئ) من أمر من أمور الدنيا أو الدين (فحكمه الى الله) مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر أو بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله (ذلكم الله ربى عليه توكلت) فى مجامع الامور (واليه أنيب) اليه أرجع فى المعضلات (فاطر السموات والارض) خبر آخر لذلكم أو مبتدأ خبره (جعل لكم) وقرئ بالجر على البدل من الضمير أو الوصف لالى الله (من أنفسكم) من جنسكم (أزواجا) نساء (ومن الانعام أزواجا) أى وخلق للانعام من جنسها أزواجا أو خلق لكم من الانعام أصنافا أو ذكورا واناثا (يذرؤكم) يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذر والذرو والضمير على الاول للناس والانعام على تغليب المخاطبين العقلاء (فيه) فى هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام أزواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثله شئ) أى ليس مثله شئ يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد

(قوله وتخصيصها على الاول الخ) أى على قراءة يتفطرن من باب التفعيل ليدل على عظم الامر فانه اذا تشقق السموات من جانبها الاعظم فيكون أدل على عظمة الله تعالى وعلى الثانى وهو اقراءة الاخرى ليدل على ما ذكر وهو ظاهر (قوله فان المراد بها الجنس) أى المراد من الارض الجنس فهو شامل للمتعدد ولذا جمع الضمير (قوله على الاول الخ) أى التفسير الاول والثانى (قوله أو متفرقين الخ) هذا مناسب لان يكون المراد من الجمع جمع الارواح والاشباح أو العمال والاعمال (قوله ولعل الخ) أى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء فى عذابه فغير الى ما ذكر لما ذكر (قوله أى ليس مثله شئ) هو حاصل المعنى لانه اذا كان المراد من مثله ذاته صار المعنى ليس كذاته شئ والكاف بمعنى مثل أى ليس مثل ذاته شئ وما له الى ان ليس مثله شئ لان ذات الشئ هو الشئ نفسه (قوله رقيقة) هى بضم الراء ولدانه جمع لدة وهى ترب الرجل وسقياطلب عبد المطلب السقى والدعاء له فى سنة أصابت العرب فى زمانه والمراد بالطيب الطاهر ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصل ما ذكره انها أى رقيقة رأت فى المنام أن

المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى أنه يعطى معنى ليس مثله غير أنه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته أى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) لكل مايسمع ويبصر (له مقاليد السموات والارض) خزائنها (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق على وفق مشيئته (انه بكل شئ عليم) فيفعله على ماينبغى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام ومن بينهما من أرباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله (أن أقيموا الدين) وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى أحكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع أو الرفع على الاستئناف كأنه جواب وماذلك المشروع أو الجر على البدل من هاء به (ولاتتفرقوا فيه) ولاتختلفوا فى هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (كبر على المشركين) عظم عليهم (ماتدعوهم اليه) من التوحيد (الله يجتبى اليه من يشاء) يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم أو للدين (ويهدى اليه) بالارشاد والتوفيق (من ينيب) يقبل اليه (وماتفرقوا) يعنى الامم السالفة وقيل أهل الكتاب لقوله وماتفرق الذين أوتوا الكتاب (الامن بعد ماجاءهم العلم) العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه أو العلم بمبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها (بغيا بينهم) عداوة أو طلبا للدنيا (ولولا كلمة سبقت من ربك) بالامهال (الى أجل مسمى) هو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقدرة (لقضى بينهم) باستئصال المبطلين حين افترقوا العظم ماافترقوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا (لفى شك منه) من كتابهم لا يعلمونه كما هو أولا يؤمنون به حق الايمان أو من القرآن (مريب) مقلق أو مدخل فى الريبة (فلذلك) فلاجل ذلك التفرق او الكتاب أو العلم الذى أوتيته (فادع) الى الاتفاق على الملة الحنيفية أو الاتباع لما أوتيت وعلى هذا يجوز أن تكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة والتعليل (واستقم كما أمرت) واستقم على الدعوة كما أمرك الله تعالى (ولاتتبع أهواءهم) الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض (وأمرت لاعدل بينكم) فى تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية (الله ربنا وربكم) خالق الكل ومتولى أمره (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) وكل مجازى بعمله (لاحجة بيننا وبينكم) لاحجاج بمعنى لاخصومة اذا لحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) مرجع الكل لفصل القضاء وليس فى الآية مايدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال (والذين يحاجون فى الله) فى دينه (من بعد ماستجيب له) من بعد ماستجاب له الناس ودخلوا فيه أو من بعد ماستجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر أو من بعد ماستجاب له أهل الكتاب بان أقروا بنبوته واستفتحوا به (حجتهم داحضة عند ربهم) زائلة باطلة (وعليهم غضب) لمعاندتهم (ولهم عذاب شديد) على كفرهم (الله الذى أنزل الكتاب) جنس الكتاب (بالحق) ملتبسا به بعيدا من الباطل أو بما يحق انزاله من العقائد والاحكام (والميزان) والشرع الذى توزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو العدل بان أنزل الامر به أو آلة الوزن بان أوحى باعدادها (ومايدريك لعل الساعة قريب) اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل أن يفاجئك

يخرج الناس ويدعو عبد المطلب ومعه ولده الطيب الطاهر فخرجوا فدعا فسقوا ونظر بما ذكرلانه فى معنى الطيب الطاهر أمثاله (قوله ومن قال الكاف فيه زائدة الخ) أى لايحسن ان يحكم بزيادة الكاف اذ على هذا التقدير تنتفى الكناية التى هى المقصود فانه اذا نفى شبيه مثله وهو المعنى الحقيقى للعبارة لزم المعنى المقصود وهو نفى شبيه ذاته تعالى وهو المعنى الكنائى (قوله على هذا يجوز أن يكون اللام فى موضع الى) أى اللام فى قوله فلذلك توضع موضع الى لما ذكر اذ الظاهر أن يقال فالى ذلك فادع وهذا اشارة الى الاتفاق والاتباع أى على تقدير ان يكون المراد ادع الى الاتفاق والاتباع يجوز أن يكون اللام فى لذلك فى موضع الى والمعنى للاتفاق على الملة الحنيفية ادع (قوله وليس فى الآية مايدل الخ) اذ معنى نفى محاجة البحث وأما القتال فشئ آخر غيرها

اليوم الذى توزن فيه أعمالك وتوفى جزاءك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب أولان الساعة بمعنى البعث (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اغتباطهم التوقع الثواب (ويعلمون أنها الحق) أى الكائن لامحالة (ألا ان الذين يمارون فى الساعة) يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (لفى ضلال بعيد) عن الحق فان البعث أشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء الى ماوراءه (الله لطيف بعباده) بر بهم بصنوف من البر لاتبلغها الافهام (يرزق من يشاء) أى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ماقتضته حكمته (وهو القوى) الباهر القدرة (العزيز) المنيع الذى لايغالب (من كان يريد حرث الآخرة) ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض و يقال للزرع الحاصل منه (نزده فى حرثه) فنعطه بالواحد عشرا الى سبعمائة فمافوقها (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) شيأ منها على ماقسمناله (وماله فى الآخرة من نصيب) اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى (أم لهم شركاء) بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم (شرعوا لهم) بالتزيين (من الدين مالم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به أو صور من سننه لهم (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو العدة بان الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين أو المشركين وشركائهم (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وقرئ أن بالفتح عطفا على كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة (ترى الظالمين) فى القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيآت (وهو واقع بهم) أى وباله لاحق بهم أشفقوا أولم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) فى أطيب بقاعها وأنزهها (لهم مايشاؤن عند ربهم) أى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم (ذلك) اشارة الى مالمؤمنين (هو الفضل الكبير) الذى يصغر دونه مالغيرهم فى الدنيا (ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به لحذف الجار ثم العائد أوذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من أبشره (قل لاأسئلكم عليه) على ماأتعاطاه من التبليغ والبشارة (أجرا) نفعا منكم (الا المودة فى القربى) أن تودونى لقرابتى منكم أو تودوا قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لاأسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم المودة وفى القربى حال منها أى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى أهلها أو فى حق القرابة ومن أجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم علينا قال على وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله أى الا أن تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الامودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) ومن يكتسب طاعة سيما حب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ومودته لهم (نزد له فيها حسنا) فى الحسنة بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أى يزد الله وحسنى (ان الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (أم يقولون) بل أيقولون (افترى على الله كذبا) افترى محمد بدعوى النبوة أو القرآن (فان يشأ الله يختم على قلبك) استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار

(قوله فان البعث الخ) لان البعث عبارة عن خلق البشر بعد موته فهو شبيه بخلق البشر ابتداء الذى هو من المحسوسات (قوله أو صور من سننه لهم) أى أو صور من أشرك بهم (قوله لحذف الجار ثم العائد) هذا بناء على انهم لايجوزون حذف المفعول الجار والمجرور دفعة بل على التدريج بخلاف السمن منوان بدرهم (قوله وفى القربى حال منها الخ) هذا على تقدير الا قطاع لان المودة على هذا التقدير مفعول وأما على تقدير الاتصال فليس بمفعول بل الاولى ان يقال ان التقدير الا المودة الثابتة فى القربى وأولى مما قاله هو ان تودونى لقرابتى بل منكم وتودوا قرابتى

على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن أو الوحى عنه أو يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك أداهم (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) استئناف انفى الافتراء عما يقوله بأنه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه أو بقضائه أو بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن أو بقضائه الذى لا مرد له وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله ويدع الانسان بالشر (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن على رضى الله عنه هى اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيآت) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم ما يفعلون) فيجازى ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ الكوفيون غير أبى بكر ما تفعلون بالتاء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف فى واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء أو الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها (ويزيدهم من فضله) على ما سألوا واستحقوا واستوجبوه بالاستجابة (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل مما للمؤمنين من الثواب والتفضل (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية أو كيفية (ولكن ينزل بقدر) بتقدير (ما يشاء) كما اقتضته مشيئته (انه بعباده خبير بصير) يعلم خفايا أمرهم وجلاياحالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روى أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل فى العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا واذا أجدبوا انتجعوا (وهو الذى ينزل الغيث) المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد (من بعد ما قنطوا) أيسوا منه وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان (وهو الولى) الذى يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته (الحميد) المستحق للحمد على ذلك (ومن آياته خلق السموات والارض) فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم (وما بث فيهما) عطف على السموات أو الخلق (من دابة) من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الارض وما يكون فى أحد الشيئين يصدق أنه فيهما فى الجملة (وهو على جمعهم اذا يشاء) أى فى أى وقت يشاء (قدير) متمكن منه واذا كما تدخل على الماضى تدخل على المضارع (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية أو متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى السببية (ويعفو عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم فلأسباب أخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه (وما أنتم بمعجزين فى الارض) فائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولى) يحرسكم عنها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (فى البحر كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

(قوله عنه) أى عن قلبك
(قوله استئناف الخ) أى ليس بمعطوف على جزء الشرط وهو قوله تعالى يختم على قلبك اذ على هذا لزم ان يكون مترتبا على الجزاء مقيدا بالمشيئة لكن الغرض ههنا انه تعالى يمحو الباطل البتة ويحقق الحق بكلماته وعلى هذا فواوه ليست بمحذوفة بالجزم فينبغى ان تكتب لكن لم تكتب لاتباع اللفظ والقرينة على ما ذكرنا ايلاء اسم الله فى ويمح الله (قوله كيفية أو كمية) فالتجاوز فى الكيفية طلب الاشد والاقوى والتجاوز فى الكمية طلب الاكثر (قوله لان ما شرطية أو متضمنة معناه) فالاول أن يكون لفظا ان ملحوظة معه بعد لا والثانى أن لا يكون كذلك بل يلاحظ فيه ترتب شئ على شئ

(ان يشأ يسكن الريح) وقرئ الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيبقين ثوابت على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر فى آيات الله والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل الايمان فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (أو يوبقهن) أو يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك أهلها لقوله (بما كسبوا) وأصله أو يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله (ويعف عن كثير) اذ المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا بذنوبهم وينجى ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم أو على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه أيضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى ويجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين (مالهم من محيص) محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا) تتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية وعن على رضى الله عنه تصدق أبو بكر رضى الله تعالى عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش كواذا ما غضبوا هم يغفرون) والذين بما بعده عطف على للذين آمنوا أو مدح منصوب أو مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له (وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم) ذو شورى بينهم لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم فى الامور وهى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون) على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغى ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وسمى الثانية سيئة للازدواج أو لانها تسوء من تنزل به (فمن عفا وأصلح) بينه وبين عدوه (فأجره على الله) عدة مبهمة تدل على عظم الموعود (انه لا يحب الظالمين) المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) بعد ما ظلم وقد قرئ به (فأولئك ما عليهم من سبيل) بالمعاتبة والمعاقبة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم (ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) على ظلمهم وبغيهم (ولمن صبر) على الاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك لمن عزم الامور) أى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به (ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا (يقولون هل الى مرد من سبيل) هل الى رجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) على النار ويدل عليه العذاب (خاشعين من الذل) متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) بالتعريض للعذاب المخلد (يوم

(قوله لانه أيضا غير واجب) أى الجزاء شبيه الجواب بالاشياء الستة التى هى الامر والنهى الخ لان الجزاء غير واجب فى ذاته بل بسبب الشرط كما ان جواب الامور المذكورة غير واجب بذاته بل بأحد الامور المذكورة (قوله فانه ينبئ عن عجز المغفور له والانتصار الخ) الانتصار معطوف على عجز اى الغفران ينبئ عن عجز المغفور والانتصار ينبئ عن مقاومة الخصم (قوله ثم عقب وصفهم الخ) أى ذكر قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بعد ذكر الانتصار للمنع عن التجوز عن المثل لان المثلية توجب عدم التعدى

(قوله واقامة علة الجزاء مقامه) لان الجزاء الحقيقي هو مثل ينسى النعمة و يشكو كثيرا لكنه لم يذكر ما هو جزاء حقيقة وذكر سببه الذي هو الكفران الذي هو مقتضى طبعه (قوله بدل من يخلق بدل البعض) أي قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا الخ بدل البعض من يخلق ما يشاء لان هذا التفصيل بعض خلق الله تعالى (قوله والاناث كذلك) أي الاناث تتعلق بها مشيئة الله لا مشيئة الانسان لان الانسان لا يشتهي من الاولاد الا الذكور لا الاناث (قوله أولان الكلام في البلاء) لانه سبق قوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم (قوله أو لتطييب قلوب آبائهن) يعني لما قدم الله تعالى ذكر الاناث في كلامه ذكرن بلفظ يوهم آباءهن ولذا ورد في الحديث الوعد بالجنة لمن له بنتان وراعى حقهما (قوله أو للمحافظة على الفواصل) فان الفواصل أواخرها راء كالكفور والقدير ولذا عرف اذ لو لم يعرف لقيل يهب لمن يشاء ذكورا فلم يحفظ الفواصل (قوله وتغيير العاطف في الثاني) أي في العطف الثاني وهو قوله تعالى أو يزوجهم ذكرانا واناثا لانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة أي القسمين المتقدمين الاول من رزق من الاولاد الاناث والثاني من لم يرزق منهم الذكور ولم يحتج الرابع وهو ويجعل من يشاء عقيما الى تغيير العاطف لظهور كونه قسيم الاقسام المتقدمة وغاية مباينته عنها (قوله لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا الخ) أي الوحي في الحقيقة أمر ممثل في متخيلة الموحى اليه بالفاظ متخيلة كما تمثل جبرائيل لمريم بشرا سويا (قوله لان الارسال نوع من الكلام) لانه عبارة عن أن يقول الله لانسان بعثتك الى الخلق لتبشر وتنذر (قوله وقعت أحوالا) والمعنى الا موحيا أو متكلما من وراء حجاب أو يرسل رسولا (قوله برفع اللام) فان قلت فحينئذ ما اعرابه قلنا هو حال عطفا على ما سبق وهو أيضا حال والمعنى أن يكلمه الله الا موحيا أو متكلما من وراء حجاب أو يرسل

القيمة) ظرف لخسروا والقول في الدنيا أو لقال أي يقولون اذا رأوهم على تلك الحال (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم) تمام كلامهم أو تصديق من الله لهم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) الى الهدى أو النجاة (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتي أي من قبل أن يأتي يوم من الله لا يمكن رده (ما لكم من ملجأ) مفر (يومئذ وما لكم من نكير) انكارا لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف أعمالكم تشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا أو محاسبا (ان عليك الا البلاغ) وقد بلغت (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها) أراد بالانسان الجنس لقوله (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا و يذكر البلية و يعظمها ولا يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضاة بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة (لله ملك السموات والارض) فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء (يخلق ما يشاء) من غير لزوم ومجال اعتراض (يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل أحوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى أو الصنفين جميعا و يعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها أكثر لتكثير النسل أو لان مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك أو لان الكلام في البلاء والعرب تعد هن بلاء أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بأنه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة (انه عليم قدير) فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار (وما كان لبشر) وما صح له (أن يكلمه الله الا وحيا) كلاما خفيا يدرك لانه بسرعة تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة به كما روى في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والملتفت به كما اتفق لموسى في طوى والطور ولكن عطف قوله (أو من وراء حجاب) عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع أو الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله (أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) أو يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما أمره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسل ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام و يجوز أن يكون وحيا و يرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت أحوالا وقرا

وقرأ نافع أو يرسل برفع اللام (انه علىّ) عن صفات المخلوقين (حكيم) يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) يعنى ما أوحى اليه وسماه روحا لان القلوب تحيا به وقيل جبريل والمعنى أرسلناه اليك بالوحى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) أى قبل الوحى وهو دليل على أنه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما الطريق اليه الا السمع (ولكن جعلناه) أى الروح أو الكتاب أو الايمان (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) بالتوفيق للقبول والنظر فيه (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) هو الاسلام وقرئ لتهدى أى ليهديك الله (صراط الله) بدل من الاول (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة و يستغفرون له و يسترحمون له

﴿سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وآياتها تسع وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا) أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول أبى تمام * وثناياك انها اغريض * ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه و بالقرآن من حيث انه معجز مبين لطرق الهدى ومايحتاج اليه فى الديانة أو بين للعرب مايدل على أنه تعالى صيره كذلك (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه) عطف على انا وقرأ حمزة والكسائى بالكسر على الاستئناف (فى أم الكتاب) فى اللوح المحفوظ فانه أصل الكتب السماوية وقرئ أم الكتاب بالكسر (لدينا) محفوظا عندنا عن التغيير (لعلى) رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينهما (حكيم) ذو حكمة بالغة أو محكم لاينسخه غيره وهما خبران لان وفى أم الكتاب متعلق بعلى واللام لاتمنعه أو حال منه ولدينا بدل منه أو حال من أم الكتاب (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أفنذوده ونبعده عنكم مجازا من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف أى أنهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض أو مفعول له أو حال بمعنى صافحين وأصله أن تولى الشئ صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا و يؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار أن يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه (أن كنتم قوما مسرفين) أى لان كنتم وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وماقبلها دليل الجزاء (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم (ومضى مثل الاولين) وسلف فى القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ماجرى على الاولين (ولئن سألتهم من

(قوله وهو دليل الخ) لا يخفى انه لايصح اجراء الكلام على ظاهره والا لزم خلوه عن الايمان قبل الوحى فيجب ان يحمل قوله ولا الايمان على الايمان بكل مايجب به الايمان أو بما قيل ان المراد ما الاطريق له الا السمع

﴿سورة الزخرف﴾

(قوله اغريض) الاغريض الطلع وقيل البرد وتنظيره بهذا الشعر تبعا للزمخشرى صريح فى ان المقسم عليه قوله اغريض وقال العلامة التفتازانى انه كلام مستأنف لبيان تفخيم شأن الثنايا وجواب القسم مايجئ بعد ذلك فى القصيدة التى مطلعها ماذكر (قوله واللام لايمنعه) أى اللام فى لعلى لايمنع تقديم مايتعلق بعلى عليه كما جاز ان زيدا فى الدار لقائم والمعنى لعلى فى أم الكتاب (قوله ولدينا بدل منه) أى من على (قوله طارقها) الطارق مايطرق بالليل القونس ومنبت شعر الناصية (قوله اضرب بفتح الباء) بتقدير اضربن (قوله فيكون ظرفا) والمعنى أفنضرب عنكم الذكر صفحا أى كائنا فى جانب وناحية منكم (قوله وحينئذ الخ) أى صفحا بالضم بمعنى الجانب وهو الظاهر ويحتمل احتمالا آخر وهو ان يكون مخفف صفح (قوله استجهالا لهم) لان ماذكر يدل على انهم لم يتحقق عندهم انهم مسرفون مع وضوحه

خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) لعله لازم مقولهم أو مادل عليه اجمالا أقيم مقامه تقرير الالزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع أخر وهو الذى من صفته ما سرد من الصفات و يجوز أن يكون مقولهم وما بعده استئناف (الذى جعل لكم الارض مهدا) فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكونها (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا الى مقاصدكم أو الى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار ينفع ولا يضر (فأنشرنا به بلدة ميتا) مال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان (كذلك) مثل ذلك الانشار (تخرجون) تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء (والذى خلق الازواج كلها) أصناف المخلوقات (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة أو المخلوق للركوب على المصنوع له أو الغالب على النادر ولذلك قال (لتستووا على ظهوره) أى ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) مطيقين من أقرن الشئ اذا أطاقه وأصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله (وانا الى ربنا لمنقلبون) أى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله تعالى أو لانه مخطر فينبغى للراكب أن لا يغفل عنه و يستعد للقاء الله تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزأ كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته وقرأ أبو بكر جزأ بضمتين (ان الانسان لكفور مبين) ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) معنى الهمزة فى أم للانكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من مخلوقاته أجزاء أخس مما اختيرهم وأبغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر أحدهم بما اشتد غمه به كما قال (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا اذ الولد لا بد وأن يماثل الوالد (ظل وجهه مسودا) صار وجهه أسود فى الغاية لما يعتريه من الكآبة (وهو كظيم) مملوء قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين بما مر فى الذكور وقرئ مسود ومسوادا على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا (أومن ينشأ فى الحلية) أى أو جعلوا له أو اتخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات (وهو فى الخصام) فى المجادلة (غير مبين) مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى و يجوز أن يكون من مبتدأ محذوف الخبر أى أو من هذا حاله ولده وفى الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه لما عرفت وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ أى يربى وقرئ يناشأ و يناشأ بمعناه ونظير ذلك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله تعالى أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر و يعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ أناثا وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أحضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة

(قوله لعله لازم مقولهم الخ) يعنى انهم لم يقولوا العبارة المذكورة بل قالوا فى الجواب ما يستلزم الوصفين أو ما دل عليه اجمالا فانهم قالوا فى الجواب خالق الخلق الله تعالى كما حكى عنهم فى مواضع أخر فالعزيز العليم لازمان له وكذا هما مدلوله اجمالا لان الله موضوع للذات الكاملة من جميع الجهات وهما من جهاته (قوله كانهم قالوا الله تعالى) معناه ان الظن انهم قالوا فى الجواب ماذكر لان كان فى مثل هذا المقام للظن (قوله لما مر فى الذكور) أى فى قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وهو أن يكون التعريف خبر المتأخير فى الذكر (قوله عند الخ) أى قرئ عند بالنون

بين بين وآ أشهدوا بمدة بينهما (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة (ويسئلون) أى عنها يوم القيامة وهو وعيد شديد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهادتهم وهى أن لله جزأوان له بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) أى لوشاء عدم عبادة الملائكة ماعبدناهم فاستدلوا بنفى مشيئة عدم العبادة على امتناع النهى عنها أوعلى حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان أومنهيا حسنا كان أوغيره ولذلك جهلهم فقال (مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز أن تكون الاشارة الى أصل الدعوى كانه لما أبدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه الى انكار أن يكون لهم سند من جهة النقل فقال (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أوادعائهم ينطق على صحة ماقالوه (فهم به مستمسكون) بذلك الكتاب متمسكون (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) أى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم أى القاصد ومنها الدين (وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وأن مقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد (قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم وهى حكاية أمر ماض أوحى الى النذير أوخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) أى وان كان أهدى اقناطا للنذير من أن ينظروا أو يتفكروا فيه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ولآثارت بتكذيبهم (واذ قال ابراهيم) واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل أوليقتدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه أشرف آبائهم (لابيه وقومه انني براء مما تعبدون) برىء من عبادتكم أومعبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برىء وبراء ككريم وكرام (الا الذى فطرنى) استثناء منقطع أومتصل على ان مايعم أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والاصنام والاوثان أوصفة على ان ماموصوفة أى انني برىء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى (فانه سيهدين) سيثبتنى على الهداية أوسيهدينى الى ماوراء ماهدانى اليه (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام أوالله كلمة التوحيد (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فيكون فيهم أبدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه أى فيمن عقبه (لعلهم يرجعون) يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحد (بل متعت هؤلاء وآباءهم) هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا لذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم (حتى جاءهم الحق) دعوة التوحيد أوالقرآن (ورسول مبين) ظاهر الرسالة بماله من المعجزات أومبين للتوحيد بالحجج والآيات (ولما جاءهم الحق) لينبههم عن غفلتهم (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) من احدى القريتين مكة والطائف (عظيم) بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن

(قوله أوعلى حسنها) أى على حسن العبادة أى لوشاء الله عبادتنا الملائكة كانت عبادتنا لهم حسنة (قوله فى قوله وجعلها كلمة باقية) أى فى شأن قوله وجعلها (قوله مبالغة فى تعييرهم) المبالغة حاصلة بطريق الكناية لان التمتيع سبب الضلال فالمراد بالاعتراض انه صورة الاعتراض

مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية (أهم يقسمون رحمت ربك) انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا) وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة أمرهم في دنياهم فمن أين لهم أن يدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي أن يكون حلالها وحرامها من الله (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو أعلى منه (ورحمت ربك) يعني هذه النبوة وما يتبعها (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) لولا أن يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) ومصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج (عليها يظهرون) يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال أو علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وأبو عمر وسقفا كتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهي لغة في سقف (ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون) أي أبوابا وسررا من فضة (وزخرفا) وزينة عطف على سقفا أو ذهبا عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما (والآخرة عند ربك للمتقين) عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو أنه متمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما أشار اليه بقوله (ومن يعش عن ذكر الرحمن) يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح أي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشي اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة (نقيض له شيطانا فهو له قرين) يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي أن يرفع نقيض (وانهم ليصدونهم عن السبيل) عن الطريق الذي من حقه أن يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له (ويحسبون أنهم مهتدون) الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان (حتى اذا جاءنا) أي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جاآنا أي العاشي والشيطان (قال) أي العاشي للشيطان (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد اليهما (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم) أي ما أنتم عليه من التمني (اذ ظلمتم) اذ صح انكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بدل من اليوم (أنكم في العذاب مشتركون) لان حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز أن يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراكهم في العذاب كما ينفع الواقعين في أمر صعب معاونتهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي) انكار وتعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى

(قوله قرئ به مع ان وما) أي قرئ بالامع واحد منهما (قوله الضمائر الثلاثة الاول له الخ) المراد من الضمائر الثلاثة هي التي في جملة يحسبون انهم مهتدون والاول منها للعاشي والضميران الباقيان وهما ضميرانهم وضمير مهتدون للشيطان اذ المعنى ان العاشي يحسبون الشياطين مهتدين فيقلدون الشياطين لذلك الحسبان فان قيل العاشون عن ذكر الرحمن لم يعترفوا بان الشياطين يوسوسونهم ويأمرونهم بالدين الذي هو الشرك ولم يعترفوا انهم قرناؤهم فكيف يحسبون أي العاشون ان الشياطين مهتدون قلنا هم أي العاشون في حكم المقر المذكور لانهم لما عملوا ما أمر به الشياطين فكأنهم يحسبون أنهم مهتدون ويمكن أن يقال المراد من الشيطان أعم من شيطان الانس والجن فكل من المشركين له قرين من جنسه والاولى أن يجعل الضمائر الثلاثة للعاشي (قوله بدل من اليوم) أي على تفسيره وهو ان المعنى اذ صح انكم ظلمتم يكون اليوم الذي هو يوم القيامة بعينه هو زمان تحقق صحة الظلم مما قبله

مقرونا بالصم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت (ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لا يخفى (فاما نذهبن بك) أى فان قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة (فانا منهم منتقمون) بعذاب فى الدنيا والآخرة (أو نرينك الذى وعدناهم) أو ان أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس أو نرينك باسكان النون وكذا نذهبن (فانا عليهم مقتدرون) لا يفوتوننا (فاستمسك بالذى أوحى اليك) من الآيات والشرائع وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى (انك على صراط مستقيم) لا عوج له (وانه لذكر لك) لشرف لك (ولقومك وسوف تسئلون) أى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أى واسأل أممهم وعلماء دينهم وقرأ ابن كثير والكسائى بتخفيف الهمزة (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان أقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين) يريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد ليتأملوا فيها (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) فاجؤا وقت تحكمهم منها أى استهزؤا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) الا هى بالغة أقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها أنها أكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وكقوله

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

أو الاولى مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار (وأخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد (لعلهم يرجعون) على وجه يرجى رجوعهم (وقالوا يا أيه الساحر) نادوه بذلك فى تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم أو لانهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحرا وقرأ ابن عامر بضم الهاء (ادع لنا ربك) فيكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهده عندك من النبوة أو من أن يستجيب دعوتك أو أن يكشف العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة (انا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء (ونادى فرعون) بنفسه أو بمناديه (فى قومه) فى مجمعهم أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم (قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) تحت قصرى أو أمرى أو بين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة هذه الانهار على الملك وتجرى حال منها أو واو الحال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها (أفلا تبصرون) ذلك (أم أنا خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير لا يستعد للرئاسة من المهانة وهى القلة (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وأم اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من أسباب فضله أو متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون فتعلمون أنى خير منه (فلولا ألقى عليه أساورة من ذهب) أى فهلا ألقى عليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب وأساورة جمع اسوار بمعنى السوار على

(قوله فانه كان أقوى ما حملهم الخ) أى الابتداع والاتيان بالأمر البديع أقوى الموجبات للحمل على تكذيب المبتدع

تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص أسورة وهي جمع سوار وقرئ أساور جمع اسورة وألقى عليه اسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أوجاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن (فاستخف قومه) فطلب منهم الخفة فى مطاوعته أو فاستخف أحلامهم (فأطاعوه) فيما أمرهم به (انهم كانوا قوما فاسقين) فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق (فلما آسفونا) أغضبونا بالافراط فى العناد والعصيان منقول من أسف اذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) فى اليم (فجعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف ورغيف أو سالف كصبر جمع صابر أو سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال الضمة اللام فتحة أو على انه جمع سلفة أى ثلة قد سلفت (ومثلا للآخرين) وعظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أى ضرب به ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أو غيره بأن قال النصارى أهل كتاب وهم يعبدون عيسى عليه السلام و يزعمون أنه ابن الله والملائكة أولى بذلك أو على قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أو ان محمدا يريد أن نعبده كما عبد المسيح (اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يضجون فرحا لظنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالضم من الصدود أى يصدون عن الحق و يعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف و يعكف (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) أى آلهتنا خير عندك أم عيسى عليه السلام فان يكن فى النار فلتكن آلهتنا معه أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى عليه السلام فاذا جاز أن يعبد و يكون ابن الله كانت آلهتنا أولى بذلك أو آلهتنا خير أم محمد صلى الله عليه وسلم فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أ آلهتنا بتحقيق الهمزتين وألف بعدهما (ماضربوه لك الا جدلا) ماضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل (بل هم قوم خصمون) شداد الخصومة حراص على اللجاج (ان هو الا عبد أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) أمرا عجيبا كالمثل السائر لبنى اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة (ولو نشاء لجعلنا منكم) لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير أب أو لجعلنا بدلكم (ملائكة فى الارض يخلفون) ملائكة يخلفونكم فى الارض والمعنى أن حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة فانه تعالى قادر على ما هو أعجب من ذلك وأن الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن أين لهم استحقاق الألوهية والانتساب الى الله سبحانه وتعالى (وانه) وان عيسى عليه السلام (لعلم للساعة) لان حدوثه أو نزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوها أو لان احياء الموتى يدل على قدرة الله تعالى عليه وقرئ لعلم أى لعلامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفى الحديث ينزل عيسى عليه السلام على ثنية بالارض المقدسة يقال لها أفيق و بيده حربة يقتل بها الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام و يصلى خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ثم يقتل الخنازير و يكسر الصليب و يخرب البيع والكنائس و يقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها (واتبعون) واتبعوا هداى أو شرعى أو رسولى وقيل هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أن يقوله (هذا) الذى أدعوكم اليه (صراط مستقيم) لايضل سالكه (ولا يصدنكم الشيطان)

(قوله يقتدون بهم الخ) فيه ان قوله تعالى فجعلناهم سلفا يدل على انه تعالى جعلهم سلفا بسبب الانتقام والغرق وهذا لا يناسب جعلهم قدوة للآخرين والوجه ان يقال ان المعنى فجعلناهم سالفين هالكين ومثلا للآخرين حتى يكون للآخرين متعلقا بقوله مثلا لا بقوله سلفا (قوله أو غيره) عطف على قوله انكم الخ (قوله وعلى قوله واسأل من أرسلنا الخ) عطف على قوله والنزاع وفيه انه قال ان عيسى عبده فلا يصح ان لم نجعل من دون الرحمن الهة يعبدون فكيف يصح قوله واسأل من أرسلنا الخ (قوله كالمزيح لتلك الشبهة) وهو كون عيسى معبودا بحق فان هذا هو أصل شبهتهم لان دعواهم ان عيسى معبود بحق لا بباطل لا اعتداد به وانما قال كالجواب المزيح لتلك الشبهة اذ الجواب الصريح ان يقال ان عيسى ليس معبودا بحق لكن ماذكره ليس ذلك الجواب بعينه وانما هو مستلزم له (قوله يدل على قدرة الله عليه) فيدل على البعث الذى هو احياء أرض أيضا (قوله على تسمية ما يذكر به ذكرا) أى على تسمية ما يذكر به الساعة وهو عيسى ذكرا

عن المتابعة (انه لكم عدو مبين) ثابت عداوته بأن أخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات أو بآيات الانجيل أو بالشرائع الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) بالانجيل أو بالشريعة (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو ما يكون من أمر الدين لا ما يتعلق بأمر الدنيا فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا لبيانه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم بأمر دنياكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أبلغه عنه (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا صراط مستقيم) الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى عليه السلام أو استئناف من الله تعالى يدل على ما هو المقتضى للطاعة فى ذلك (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة (من بينهم) من بين النصارى أو اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم (فويل للذين ظلموا) من المتحزبين (من عذاب يوم أليم) هو القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقريش أو للذين ظلموا (أن تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) غافلون عنها لاشتغالهم بأمور الدنيا وانكارهم لها (الأخلاء) الاحباء (يومئذ بعضهم لبعض عدو) أى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب (الا المتقين) فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة أبد الآباد (ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء (الذين آمنوا بآياتنا) صفة المنادى (وكانوا مسلمين) حال من الواو أى الذين آمنوا مخلصين غير أن هذه العبارة آكد وأبلغ (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة أو تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له (وفيها) وفى الجنة (ما تشتهيه الانفس) وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه الانفس على الاصل (وتلذ الاعين) بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ (وأنتم فيها خالدون) فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) وقرأ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتى أورثتموها صفتها أو الجنة صفة تلك والتى خبرها أو صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة (ان المجرمين) الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار (فى عذاب جهنم خالدون) خبران أو خالدون خبر والظرف متعلق به (لا يفتر عنهم) لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من النجاة (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) مر مثله غير مرة وهم فصل (ونادوا يامالك) وقرئ يامال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بأنهم

أى ينتظرون لما كانوا مستحقين للعذاب الواقع فى الساعة ووجب وقوعه عليهم فكانهم منتظرون له (قوله فجأة) أى بلا مقدمة وقوله وهم لا يشعرون ليس بتأكيد بل تأسيسا اذ لا يلزم من عدم المقدمة عدم الشعور اذ يمكن وقوع الشئ المشعور به من غير سبق مقدمة (قوله وذلك تعميم بعد تخصيص) أى ذكر ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين بعد يطاف عليهم بصحاف من ذهب تعميم بعد تخصيص لان الصحاف والاكواب المذكورين بعض ما تشتهى الانفس (قوله لانه يخلفه عليه العامل) العامل فاعل يخلفه والضمير فى يخلفه راجع الى العمل وفى عليه الى الجزاء والمعنى يخلف العامل العمل متمكنا على الجزاء فكان الجزاء الميراث الحاصل للعامل عن العمل (قوله لما كان بهم من الشدة) أى لما حصل للفقراء المسلمين من الشدة والفاقة فكان توجههم الى المطعم والملبس شديدا (قوله لانه جعل قسيم المؤمنين) فيه انه ان أراد انه جعل قسيم مطلق المؤمنين فليس كذلك اذ لم يصح ان مطلق المؤمنين ليس لهم الخوف ولا هم يحزنون فان العاصين لهم خوف وحزن وان أراد انه جعل قسيم المؤمنين المتقين عن المعاصى فهذا لا يوجب أن يكون المجرمون مخصوصين بالكفار لان العاصين من المؤمنين مجرمون أيضا (قوله والتركيب للضعف) أى التركيب من حروف فتريد على الضعف

لضعفهم لايستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا (ليقض علينا ربك) والمعنى سل ربنا أن يقضي علينا من قضى عليه اذا أماته وهو لاينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة (قال انكم ماكثون) لاخلاص لكم بموت ولا بغيره (لقد جئناكم بالحق) بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والاجواب منه فكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك (ولكن أكثركم للحق كارهون) لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح (أم أبرموا أمرا) في تكذيب الحق وردّه ولم يقتصروا على كراهته (فانا مبرمون) أمرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك أسوأ من كراهتهم أو أم أحكم المشركون أمرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم) حديث أنفسهم بذلك (ونجواهم) وتناجيهم (بلى) نسمعهما (ورسلنا) والحفظة معنا ذلك (لديهم) ملازمة لهم (يكتبون) ذلك (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) منكم فان النبي صلى الله عليه وسلم يكون أعلم بالله وبما يصح له وبما لايصح له وأولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير أن لو تم مشعرة بانتفاء الطرفين وان ههنا لاشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشريطة بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء لزومه والدلالة على ان انكاره الولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان أولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله الموحدين له أو الآنفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه أو ما كان له ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم وسكون اللام (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها أصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي يوم القيامة وهو دلالة على أن قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود أو متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا في من قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبر اله لانه لا يبقى له عائد لكن لو جعل صلة وقدر له مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على أن كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية (وهو الحكيم العليم) كالدليل عليه (وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما) كالهواء (وعنده علم الساعة) العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها (واليه ترجعون) للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق وهم يعلمون) بالتوحيد والاستثناء متصل ان أريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) سألت العابدين أو المعبودين (ليقولن الله) لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره (فأنى يؤفكون) يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (وقيله) وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم أو على محل الساعة أو لاضمار فعله أي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره (يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) أو معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب

(قوله فانه جؤار وتمن) وهما لاينافيان الابلاس من التخليص من العذاب اما الجؤار فظاهر وأما التمني فلانه يجوز تمني المستحيل (قوله والاجواب منه الخ) أي ان لم يكن الضمير في قال ضمير الله يكون لقد جئناكم جوابا لهم من الله بعد جواب مالك لهم وجوابه انكم ماكثون (قوله تعالى فانا مبرمون) جزاء شرط محذوف والمعنى بل أبرموا وان أبرموا فانا مبرمون أو علة لامر محذوف والمعنى بل أبرموا أمرا ولا ينال به فانا مبرمون (قوله للاشعار الخ) وجه الاشعار ان الفاعل لهذا الأمر لا يستحق أن يخاطب (قوله ما كان له ولد) فتكون ان نافية (قوله وكذا فيمن قرأ الله) أي ذلك الحكم في قراءة من قرأ الله والرافع مبتدا محذوف والتقدير وهو الذي في السماء هو الله (قوله يكون به جملة مبينة للصلة) أي مبينة لمعنى كون الله في السماء اذ يعلم أن المراد حصول معبوديته اذ المراد الذي هو المعبود (قوله بتقدير مضاف) فيكون المعنى وعلم قيله

بحذف الجار أو مجرور باضماره أو مرفوع بتقدير وقيله يارب قسمي وان هؤلاء جوابه (فاصفح عنهم) فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم (وقل سلام) تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على أنه من المأمور بقوله * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة ياعبادي لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون * (سورة الدخان) * مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهي سبع أو تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم والكتاب المبين) القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما به والا فللقسم والجواب قوله (انا أنزلناه في ليلة مباركة) ليلة القدر أو البراءة ابتدئ فيها انزاله أو أنزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ثم أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية أو لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية (انا كنا منذرين) استئناف يبين المقتضى للانزال وكذلك قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) فان كونها مفرق الامور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز أن يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على أن الليلة ليلة القدر لانه صفتها القوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل أي يفرقه الله وتفرق بالنون (أمرا من عندنا) أي أعني بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز أن يكون حالا من كل أو أمرا أو ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وأن يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدر اليفرق أو لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به أو حالا من أحد ضميري أنزلناه بمعنى آمرين أو مأمورا (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بدل من انا كنا منذرين أي أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بأن الربوبية اقتضت ذلك فانه أعظم أنواع التربية أو علة ليفرق أو أمرا ورحمة مفعول به أي يفصل فيها كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا أن نرسل رحمتنا فان فصل كل أمر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة (انه هو السميع العليم) يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته فانها لاتحق الا لمن هذه صفاته (رب السموات والارض وما بينهما) خبر آخر أو استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم من أهل الايقان في العلوم أو كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الامر كما قلنا أو ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (لا اله الا هو) اذ لا خالق سواه (يحيي ويميت) كما تشاهدون (ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرئا بالجر بدلا من ربك (بل هم في شك يلعبون) ردا لكونهم موقنين (فارتقب) فانتظر لهم (يوم تأتي السماء بدخان مبين) يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره أو لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار أو لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى أكلوا الجيف والكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار أو يوم ظهور الدخان المعدود في أشراط الساعة لما روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال أول الايات الدخان ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب

(قوله وقيل يارب قسمي) قال صاحب الكشاف الضمير في قيله للرسول صلى الله عليه وسلم فاقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم الدعاء به

﴿سورة الدخان﴾

(قوله لانه موصوف) أي مرجعه وهو امر موصوف بحكيم فيجب أن يكون فيه ضمير راجع اليه (قوله وأن يكون المراد مقابل النهي) أي يحتمل أن يكون المراد بالامر الامر المقابل للنهي وأن يكون مصدر اليفرق حتى يكون مفعولا له أو مصدر الفعله المقدر أي نأمر أمرا من عندنا وعلى كلا التقديرين مفعول مطلق وتوضيحه انه ان كان مصدر اليفرق كان مفعولا مطلقا لليفرق فيكون بمعنى الفرق وان كان مصدر الفعل تكون الجملة مرتبطة بيفرق من حيث ان الفرق به (قوله أو علة) عطف على قوله بدل أي أو يكون انا كنا مرسلين علة ليفرق أو علة لامرا (قوله ابين) بكسر الهمزة وفتحها اسم رجل بنى هذه البلدة وسكن بها

يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره أو يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين (يغشى الناس) يحيط بهم صفة للدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم (أنى لهم الذكرى) من أين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) بين لهم ما هو أعظم منها فى ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى قال بعضهم لبعض غلام أعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون (انا كاشفوا العذاب) بدعاء النبى عليه الصلاة والسلام فانه لما دعا رفع القحط (قليلا) كشفا قليلا أو زمانا قليلا وهو ما بقى من أعمارهم (انكم عائدون) الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فربما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما فى القيامة أوله بالشرط والتقدير (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة أو يوم بدر ظرف لفعل دل عليه (انا منتقمون) لا المنتقمون فان ان تحجزه عنه أو بدل من يوم تأتى وقرئ نبطش أى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم أو نحمل الملائكة على بطشهم وهو اتناول بصولة (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم أو أوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد أو لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله أو على المؤمنين أو فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (أن أدوا الى عباد الله) بأن أدوهم الى وأرسلوهم معى أو بأن أدوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز أن تكون أن مخففة ومفسرة لان مجىء الرسول يكون برسالة ودعوة (انى لكم رسول أمين) غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه أو لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر (وأن لا تعلوا على الله) ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وأن كالاولى فى وجهيها (انى آتيكم بسلطان مبين) علة للنهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى (وانى عذت بربى وربكم) التجأت اليه وتوكلت عليه (أن ترجمون) أن تؤذونى ضربا أو شتما أو أن تقتلونى وقرئ عت بالادغام فيه (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) فكونوا بمعزل منى لا على ولا لى ولا تتعرضوا الى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم (فدعا ربه) بعد ما كذبوه (أن هؤلاء) بأن هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول (فأسر بعبادى ليلا) أى فقال أسر أو قال ان كان الامر كذلك فأسر وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير بوصل الهمزة من سرى (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم (واترك البحر رهوا) مفتوحا اذا جوزته واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضرب به بعصاك ولا تغير منه شيأ ليدخله القبط (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لانهم (كم تركوا) كثيرا تركوا (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) محافل مزينة ومنازل حسنة (ونعمة) وتنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرئ فكهين (كذلك) مثل ذلك الاخراج أخرجناهم أو الامر كذلك (وأورثناها) عطف على المقدر أو على تركوا (قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر (فما بكت عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء والارض وكسفت لهلاكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ما روى فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم أهل

السماء

(قوله والدخان يحتمل المعنيين) أى يحتمل أن يراد بالدخان المعنى المشهور ويحتمل أن يكون غيره وهو الشر الغالب (قوله مقدر بقول) والمعنى قائلين وهو حال من الناس (قوله أوله بالشرط) فيكون معنى قوله تعالى انا كاشفوا العذاب الخ انا كشفنا العذاب انكم عائدون (قوله فان ان يحجزه عنه) لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها (قوله وقرئ بالتشديد الخ) فان باب التفعيل قد يكون للتأكيد وقد يكون لتكثير الفعل وقد يكون لكثرة المفعول (قوله ويجوز أن تكون مخففة) تبع الكشاف وقال العلامة التفتازانى هذا القول مع ظهور التفعيل بعيد جدا لتصريحهم بأنه لا بد فيها من النفى أو قد أو السين أو سوف وان خبر ضمير الشان لا يكون الا جملة خبرية (قوله ولذكر الامين الخ) لان الاداء يناسب الامانة والاعلاء يناسب السلطان (قوله عطف على الفعل المقدر) فيكون المعنى مثلا نزعناها منهم وأورثنا

السماء والارض (وما كانوا منظرين) ممهلين الى وقت آخر (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) من استعباد فرعون وقتله أبناءهم (من فرعون) بدل من العذاب على حذف المضاف أو جعله عذابا بالافراط فى التعذيب أو حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكير له لنكر ما كان عليه من الشيطنة (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) فى العتو والشرارة وهو خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير فى عاليا أى كان رفيع الطبقة من بينهم (ولقد اخترناهم) اخترنا بنى اسرائيل (على علم) عالمين بأنهم أحقاء بذلك أو مع علم منا بأنهم يزيغون فى بعض الاحوال (على العالمين) لكثرة الانبياء فيهم أو على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى (مافيه بلاء مبين) نعمة جلية أو اختبار ظاهر (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على أنهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ماحل بهم (ليقولون ان هى الا موتتنا الأولى) ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدم منكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الأولى أى ما الموتة التى من شأنها كذلك الا الموتة الأولى (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فأتوا بآبائنا) خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين (ان كنتم صادقين) فى وعدكم ليدل عليه (أهم خير) فى القوة والمنعة (أم قوم تبع) تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبيا أم غير نبى وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل لهم الاقيال لانهم يتقيلون (والذين من قبلهم) كعاد وثمود (أهلكناهم) استئناف بما آل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش أو حال باضمار قد أو خبر من الموصول ان استؤنف به (انهم كانوا مجرمين) بيان للجامع المقتضى للاهلاك (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن (لاعبين) لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر فى الانبياء وغيرها (ما خلقناهما الا بالحق) الا بسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة أو البعث والجزاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لقلة نظرهم (ان يوم الفصل) فصل الحق عن الباطل أو المحق عن المبطل بالجزاء أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه (ميقاتهم) وقت موعدهم (أجمعين) وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه الاسم أى ان ميعاد جزائهم فى يوم الفصل (يوم لا يغنى) بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل (مولى) من قرابة أو غيرها (عن مولى) أى مولى كان (شيأ) من الاغناء (ولا هم ينصرون) الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام (الا من رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) لا ينصر منه من اراد تعذيبه (الرحيم) لمن أراد أن يرحمه (ان شجرة الزقوم) وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق فى الصافات (طعام الأثيم) الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ماقبله ومابعده عليه (كالمهل) وهو مايمهل فى النار حتى يذوب وقيل دردى الزيت (تغلى فى البطون) وقرأ ابن كثير وحفص وروبس بالياء على أن الضمير للطعام أو الزقوم للمهل اذ الاظهر أن الجملة حال من أحدهما (كغلى الحميم) غليانا مثل غليه (خذوه) على ارادة القول والمقول له الزبانية (فاعتلوه) فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان (الى سواء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان أصله يصب من فوق

مختارون على جميع بنى آدم الموجودين فى جميع الازمنة فيلزم كونهم مختارين على المسلمين الذين سموا أمة محمد صلى الله عليه وسلم والعجب أن صاحب الكشاف ضعف هذا الوجه فقال وقيل على الناس جميعا (قوله ولا قصد فيه الخ) أى ليس القصد من ذكر الاولى اثبات الموتة الثانية وتوضيح الكلام انه يقال لما وبخهم بقولهم ان هى الا موتتنا الاولى وأبطل قولهم هذا فهم منه اثبات الموتة الثانية فافاد المصنف أنه ليس المقصود ذلك بل المراد من الموتة الاولى الموتة المزيلة للحياة الدنيوية (قوله ان استؤنف به) أى لا يكون الموصول معطوفا على قوم تبع (قوله من الايمان والطاعة) بيان لحق (قوله أو صفة لميقاتهم) فيه ان ميقاتهم معرفة وهى لا توصف بما يضاف الى الجملة (قوله للفصل) أى للفصل بين الفصل الذى هو المضاف اليه فى يوم الفصل وبين يوم القيامة (قوله الضمير لمولى الاول الخ) ولا يعود الى المولى الثانى لانه يعلم من الكلام ان المولى الثانى لم ينصر (قوله اذ الاظهر أن الجملة حال من أحدهما) أى من الزقوم أو الطعام لان الغلى فى البطون يناسب الطعام وكونه حالا من الطعام أو من الزقوم فيه خفاء لانه مضاف اليه ليس فيه شائبة الفاعلية والمفعولية فالاولى ان يقال انه حال من المهل

رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع (ذق انك أنت العزيز الكريم) أى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائى أنك بالفتح أى ذق لانك أو عذاب أنك (ان هذا) ان هذا العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون وتمارون فيه (ان المتقين فى مقام) فى موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم (أمين) يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال (فى جنات وعيون) بدل من مقام جىء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان أو حال من الضمير فى الجار أو استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب استبره أو مشتق من البراقة (متقابلين) فى مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) الامر كذلك أو آتيناهم مثل ذلك (وزوجناهم بحور عين) قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف فى أنهن نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا بزمان (آمنين) من الضرر (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع أو متصل والضمير للآخرة والموت أول أحوالها أو الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها أو الاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا ادا أمكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ ووقاهم على المبالغة (فضلا من ربك) أى أعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع أى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب (فانما يسرناه بلسانك) سهلناه حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلكة السورة (لعلهم يتذكرون) لعلهم يفهمونه فيتذكرون به ما لم يتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة أصبح مغفورا له

﴿ سورة الجاثية مكية وآيها سبع أو ست وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب) ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم (ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهو يحتمل أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله (وفى خلقكم وما يبث من دابة) ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه بأحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار (آيات لقوم يوقنون) محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بالنصب حملا على الاسم (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) من مطر وسماه رزقا لانه سببه (فأحيا به الارض بعد موتها) يبسها (وتصريف الرياح) باختلاف جهاتها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح (آيات لقوم يعقلون) فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين فى والابتداء أو ان الآن

باعتبار مفعول فعل التشبيه المستفاد من الكاف وامّا ما قيل من أن المهل لا يغلى فى البطون ففيه أن ما يذوب فى النار يمكن أن يغلى أو المراد به دردى الزيت اذا اشتد غليانه (قوله أو عذاب انك) أى عذاب مضمون هذه الجملة (قوله للمبالغة فى تعميم النفى) اذ المفهوم الظاهر من لا يذوقون الخ أنه لا يذوق فيها الموت أصلا لكن يحتمل أن لا يكون النفى عاما لجميع الاوقات بل يكون مختصا ببعضها فلما استثنى الموتة الاولى صار صريحا فى عموم النفى بحيث لا يحتمل غيره

﴿سورة الجاثية﴾

(قوله ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور) أى لا يحسن عطف ما على الضمير المجرور الذى هو كم لان العطف على الضمير المجرور مستلزم لاعادة الجار بل عطف على ما يضاف الى الضمير وهو الخلق (قوله بأحد الاحتمالين) هما الاحتمالان المذكوران فى قوله وهو يحتمل أن يكون على ظاهره الخ (قوله فيه القراءتان) أى قراءة الرفع والنصب (قوله ويلزمهما العطف الخ) لان آيات معطوف على محل اسم ان اذا كان مرفوعا وعلى لفظه اذا كان منصوبا واختلاف الليل والنهار معطوف على خلقكم فيكون فى عاملا فيه

يضمر في أو ينصب آيات على الاختصاص أو يرفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور (تلك آيات الله) أي تلك الآيات دلائله (نتلوها عليك) حال عاملها معنى الاشارة (بالحق) ملتبسين به أوملتبسة به (فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون) أي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك أعجبني زيد وكرمه أو بعد حديث الله وهو القرآن كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وآياته دلائله المتلوة أوالقرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وأبو عمر وروح يؤمنون بالياء ليوافق ماقبله (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) كثير الآثام (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر) يقيم على كفره (مستكبرا) عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله * برى عمرات ثم يزورها * (كأن لم يسمعها) أي كأنه خففت وحذف ضمير الشان والجملة في وضع الحال أي يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) على اصراره والبشارة على الاصل أوالتهكم (واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شئ من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها هزوا) لذلك من غير أن يرى فيها ماينا سب الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بأنه اذا سمع كلاما وعلم أنه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ماسمعه أولشئ لانه بمعنى الآية (أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم) من قدامهم لانهم متوجهون اليها أومن خلفهم لانها بعد آجالهم (ولايغني عنهم) ولايدفع عنهم (ما كسبوا) من الاموال والاولاد (شيأ) من عذاب الله (ولا ماتخذوا من دون الله أولياء) أي الاصنام (ولهم عذاب عظيم) لايتحملونه (هذا هدى) الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع أليم والرجز أشد العذاب (الله الذي سخر لكم البحر) بأن جعله أملس السطح يطفو عليه مايتخلخل كالاخشاب ولايمنع الغوص فيه (لتجري الفلك فيه بأمره) بتسخيره وأنتم راكبوها (ولتبتغوا من فضله) التجارة والغوص والصيد وغيرها (ولعلكم تشكرون) هذه النعم (وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا) بان خلقها نافعة لكم (منه) حال من ما أي سخر هذه الاشياء كائنة منه أوخبر لمحذوف أي هي جميعا منه أولما في السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد أولما في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الاسناد المجازي أوخبر محذوف (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) في صنائعه (قل للذين آمنوا يغفروا) حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا أي يعفوا ويصفحوا (للذين لايرجون أيام الله) لايتوقعون وقائعه بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعهم أولايأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم أن يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) علة للامر والقوم هم المؤمنون أوالكافرون أوكلاهما فيكون التنكير للتعظيم أوالتحقير أوالشيوع والكسب المغفرة أوالاساءة أومايعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما أي ليجزي الخير أوالشر أوالجزاء أعني مايجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أي لها ثواب العمل وعليها عقابه (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) والحكمة النظرية والعملية أوفصل الخصومات (والنبوة) اذ كثر فيهم الانبياء مالم يكثر وافي غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله من اللذائذ (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم مالم نؤت غيرهم (وآتيناهم بينات من الامر) أدلة في أمر الدين ويندرج فيها

(قوله ولعل اختلاف الفواصل الخ) فان السموات والارض أظهر من غيرهما في الدلالة على المقصود الذي هو رد القادر الكل بعد الموت وهو البعث لان خلق السموات والارض دال على غاية كمال القدرة ودلالة خلق الانسان والدابة على القدرة على البعث ليس كدلالة خلق السماء والارض ولما كان خلق السماء والارض أظهر دلالة من غيرهما يكون خلقهما آيات للمؤمنين اذ يكفي فيه مجرد الايمان ثم ان خلق الانسان والحيوانات الاخر أظهر في الدلالة من اختلاف الليل والنهار الخ فهو آيات للموقنين لما كان الايقان أعلى من الايمان فاسب الآيات التي فيها نوع خفاء ولما كان اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض من بعد موتها دلالته على المثوبات العظيمة والبعث الذي هو شبيه باحياء الارض من وجه لابد له من تصرف عقل فيه نوع خفاء فصل الآيات بيعقلون الذي يدل على ادراك الدقائق وطريق الاستدلال فيكون ترتيب الفواصل لذلك الترقي (قوله لذلك) أي للعلم بكونه من آيات الله أي يصير العلم

بكونه من آيات الله سببا للهزء (قوله لانه بعد آجالهم) وآجالهم من خلفهم لانهم متوجهون الى الحياة مقبلون اليها

المعجزات وقيل آيات من أمر النبي عليه الصلاة والسلام مبينة لصدقه (فما اختلفوا) في ذلك الامر (الا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقة الحال (بغيا بينهم) عداوة وحسدا (ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمؤاخذة والمجازاة (ثم جعلناك على شريعة) طريقة (من الامر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) مما أرادبك (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع أهوائهم (والله ولي المتقين) فوالله بالتقى واتباع الشريعة (هذا) أي القرآن أو اتباع الشريعة (بصائر للناس) بينات تبصرهم وجه الفلاح (وهدى) من الضلالة (ورحمة) ونعمة من الله (لقوم يوقنون) يطلبون اليقين (أم حسب الذين اجترحوا السيآت) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة (أن نجعلهم) أن نصيرهم (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله (سواء محياهم ومماتهم) بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل أو الحال من الضمير في الكاف أو المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه أو استئناف يبين المقتضى للانكار وان كان لهما فبدل أو حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار أن يستووا بعد الممات في الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة أو استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على أن محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج (ساء ما يحكمون) ساء حكمهم هذا أو بئس شيأ حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والارض بالحق) كأنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لانه في معنى العلة أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) ترك متابعة الهدى الى متابعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان أحدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه (وأضله الله) وخذله (على علم) عالما بضلاله وفساد جوهر روحه (وختم على سمعه وقلبه) فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات (وجعل على بصره غشاوة) فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلاله (أفلا تذكرون) وقرئ تتذكرون (وقالوا ما هي) ما الحياة أو الحال (الا حياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيا) أي نكون أمواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا أو يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم أرادوا به التناسخ فانه عقيدة أكثر عبدة الاوثان (وما يهلكنا الا الدهر) الامر والزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه (وما لهم بذلك من علم) يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال أو انكار البعث أو كليهما (ان هم الا يظنون) اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم أو مبينات له (ما كان حجتهم) ما كان لهم متشبث يعارضونها به (الا

(قوله بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول) أي ان كان ضمير محياهم ومماتهم راجعا الى الذين اجترحوا السيئات كان جملة سواء محياهم بدلا من أن نجعلهم والمعنى أم حسب الذين اجترحوا السيئات سواء محياهم وقوله لان المماثلة فيه أي المماثلة في استواء الحياة والممات فبهذا الاعتبار صح أن يكون بدلا (قوله أو الحال من الضمير في الكاف) أي الضمير المستتر فيما يستتبعه من الكاف اذ المعنى مماثلين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله أو المفعولية والكاف حال يعني يكون سواء محياهم مفعولا ثانيا لنجعلهم ويكون كالذين آمنوا بتأويل المشتق كما ذكر (قوله فبدل) أي بدل من أن نجعلهم الخ والمعنى أم حسب الذين اجترحوا السيآت سواء محيا المؤمنين والكافرين (قوله ظرفان) والمعنى سواء حالهم وقت حياتهم ومماتهم (قوله رفضه اليه) أي ترك ما كان يعبده أولا مائلا الى ما استحسنه آخرا (قوله من دهره اذا غلبه) ولعل تشبيه الزمان المذكور بالدهر لانه غلب كل شئ فيهلك وهو باق (قوله أو مبينات) أي مبينات لما يخالف معتقدهم أو للمعتقد أي لما يجب اعتقاده

أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم أو على أسلوب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * فانه لا يلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا (قل الله يحييكم ثم يميتكم) على ما دلت عليه الحجج (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه) فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك أمكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع للجزاء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه (ولله ملك السموات والارض) تعميم للقدرة بعد تخصيصها (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) أى ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه (وترى كل أمة جاثية) مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة أو باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية أى جالسة على أطراف الاصابع لاستيفازهم (كل أمة تدعى الى كتابها) صحيفة أعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة أو مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) محمول على القول (هذا كتابنا) أضاف صحائف أعمالهم الى نفسه لانه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ) نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) أعمالكم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) التى من جملتها الجنة (ذلك هو الفوز المبين) الظاهر الخلوص عن الشوائب (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) أى فيقال لهم ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) عادتكم الاجرام (واذا قيل ان وعد الله) يحتمل الموعود به والمصدر (حق) كائن هو أو متعلقه لا محالة (والساعة لا ريب فيها) افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان (قلتم ما ندرى ما الساعة) أى شئ الساعة استغرابا لها (ان نظن الا ظنا) أصله نظن ظنا فادخل حرفا النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ما عداه كأنه قال ما نحن الا نظن ظنا أولنفى ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم أكده بقوله (وما نحن بمستيقنين) أى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما نليت عليهم من الآيات فى أمر الساعة (وبدا لهم) ظهر لهم (سيئات ما عملوا) على ما كانت عليه بأن عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاؤها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو الجزاء (وقيل اليوم ننساكم) نتركم فى العذاب ترك ما ينسى (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى يوم اضافة المصدر الى ظرفه (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) يخلصونكم منها (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها (وغرتكم الحيوة الدنيا) فحسبتم ان لا حياة سواها (فاليوم لا يخرجون منها) وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه لفوات أوانه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اذ الكل نعمة منه ودال على كمال قدرته (وله الكبرياء فى السموات والارض) اذ ظهر فيها آثارها (وهو العزيز) الذى لا يغلب (الحكيم) فيما قدر وقضى فاجدوه وكبروه وأطيعوه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿سورة الاحقاف مكية وآيها أربع أو خمس وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا

(قوله فانه لا يلزم الخ) أى ليس قولهم هذا حجة اذ لا يلزم من عدم حصول البعث فى الحال عدم حصوله مطلقا لم لا يجوز أن يكون فى المستقبل (قوله أو مفعول ثان) أراد انه بدل على المفعول الثانى وهو جاثية (قوله كائن هو أو متعلقه) الاول اذا فسر الوعد بالموعود والثانى اذا فسر الوعد بالمصدر (قوله فراد للمقصود) لان الساعة من جملة الموعودات وهو المقصود منها (قوله فكأنه قال ما نحن الا نظن ظنا) أورد هذا التكلف البليغ للمبالغة ولا يخفى ما فيه من تغيير ترتيب نظم القرآن وههنا توجيهان غير ما ذكر لا يحتاج سيهما (الى ما ذكره الاول أن يقال ان المراد من نظن نعتقد فكأنه قيل ما نعتقد الا ظنا لا جزما الثانى أن يكون المراد من الا ظنا الا ظنا ضعيفا (قوله أو لنفى ظنهم فيما سوى ذلك) فكأن المعنى ان نظن الا ظنا كائنا فى أمر الساعة فكان ظنهم منحصرا فى أمر الساعة (قوله اضافة اللقا الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه) فيكون المعنى كما نسيتم لقاء ربكم فى يومكم هذا

﴿سورة الاحقاف﴾

خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قرر ناه مرارا (وأجل مسمى) وبتقدير أجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيامة أوكل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدرة له (والذين كفروا عما أنذروا) من هول ذلك الوقت ويجوز أن تكون ما مصدرية (معرضون) لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات) أى أخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل أن يكون لها فى أنفسها مدخل فى خلق شئ من أجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم أن للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفلية (ائتونى بكتاب من قبل هذا) من قبل هذا الكتاب يعنى القرآن فانه ناطق بالتوحيد (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة أو الامر به (ان كنتم صادقين) فى دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على ألوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ أثارة بالكسر أى مناظرة فان المناظرة تثير المعانى وأثرة أى شئ أوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكار أن يكون أحد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع البصير المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا أن يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم (الى يوم القيمة) مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) يضرونهم ولا ينفعونهم (وكانوا بعبادتهم كافرين) مكذبين بلسان الحال أو المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات أو مبينات (قال الذين كفروا للحق) لاجله وفى شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة (لما جاءهم) حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل (هذا سحر مبين) ظاهر بطلانه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو أشنع منه وانكار له وتعجيب (قل ان افتريته) على الفرض (فلا تملكون لى من الله شيأ) أى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف أجترئ عليه وأعرض نفسى للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم (هو أعلم بما تفيضون فيه) تندفعون فيه من القدح فى آياته (كفى به شهيدا بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) ويعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) بديعا منهم أدعوكم الى ما لا يدعون اليه أو أقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على أنه كقيم أو مقدر بمضاف أى ذا بدع (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتاكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى وما اما موصولة منصوبة أو استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل أى يفعل الله (ان أتبع الا ما يوحى الى) لا أتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار

يتوهم الخ) انه قد تقرر فى أوهام القاصرين ان للوسائط شركة ودخلا فى ايجاد الحوادث السفليات ولما نفى الله تعالى أن يكون لمعبوداتهم خلق شئ فى الارض بالاستقلال فكأن قائلا قال يمكن ان يكون لمعبوداتهم شركة فى السموات فى ايجاد الحوادث السفلية نفى ذلك بقوله أم لهم شرك فى السموات بأن يكون لكل منها دخل فى خلق السفليات يعنى قوله احتراز الخ انه احتراز عما يتوهم ان للاصنام دخلا فى ايجاد الخلق كما ان السموات كذلك فيكون معنى الكلام أم لهم شرك فى خلق السموات وتوضيحه انه لما توهم أن للوسائط شركة فى الخلق فيمكن أن يتوهم ان من جملة الوسائط الاصنام فيكون لها شركة فى الخلق فنفى ذلك بقوله أم لهم شرك فى السموات فهو احتراز أن يتوهم أن للاصنام شركة كما توهم ان للسموات شركة (قوله بلسان الحال أو المقال) فالاول حال الجمادات كالاصنام والثانى حال ذوى العقول (قوله الى ذكر ما هو أشنع) أى أشنع من السحر لان السحر أمر خارق للعادة للساحر فيه صنعة عمل بخلاف الافتراء فانه محض كذب على الغير (قوله أو استجهال المسلمين الخ) عطف على افتراحهم

عما لم يوح اليه من الغيوب أو استجهال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين (وما أنا الا نذير) من عقاب الله (مبين) بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة (قل أرأيتم ان كان من عند الله) أي القرآن (وكفرتم به) وقد كفرتم به ويجوز أن تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله (وشهد شاهد من بني اسرائيل) الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه الصلاة والسلام وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول عليه الصلاة والسلام (على مثله) مثل القرآن وهو ما في التوراة من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة له أو مثل ذلك وهو كونه من عند الله (فآمن) أي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق (واستكبرتم) عن الايمان (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) استئناف مشعر بأن كفرهم به اضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم (لو كان) الايمان أو ما أتى به محمد عليه الصلاة والسلام (خيرا ما سبقونا اليه) وهم سقاط اذعانهم فقراء وموالي ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار أو اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه (واذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وهو كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله (كتاب موسى) ناصب لقوله (اماما ورحمة) على الحال (وهذا كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وقد قرئ به (لسانا عربيا) حال من ضمير كتاب في مصدق أو منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على أن كونه مصدقا للتوراة كاف دل على أنه حق دل على أنه وحي وتوقيف من الله سبحانه وتعالى وقيل مفعول مصدق أي يصدق ذا لسان عربي بإعجازه (لينذر الذين ظلموا) علة مصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء (وبشرى للمحسنين) عطف على محله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في أصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أي جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا أي ايصاء حسنا (حملته أمه كرها ووضعته كرها) ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله أو وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال

كل حي مستكمل عدة العمـ * ـر وموداذا انتهى أمده

(ثلاثون شهرا) كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما (حتى اذا بلغ أشده) اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يبعث نبي الا بعد الاربعين (قال رب أوزعني) ألهمني وأصله أولعني من أوزعته بكذا

(قوله الا انها تعطفه بما عطف عليه الخ) أي الا أن هذه الواو تعطف جملة شهد شاهد من بني اسرائيل مع ما بعدها وهو قوله تعالى فآمن واستكبرتم على ما قبلها وهو كفرتم به لان المقصود انه لو شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم كنتم قوما ضالين كافرين (قوله دل على انه وحي) انما دل عليه لان المراد من اللسان العربي اللسان العربي المعجز اذ لو لم يعتبر هذا القيد لكان ذكر لسانا عربيا لا يكون له كثير فائدة (قوله ويدل عليه الخ) هذا بناء على أن فصل الولد لا يستعمل الا في الفطام لكن الفصال قد يستعمل في غيره (قوله أو وقته) أي المراد من الفصال اما الفطام نفسه أو وقته فان كان الاول كان المعنى ومدة حمله وفصله حتى يكون الفصال معطوفا على حمله وان كان الثاني يكون الفصال معطوفا على مدة الحمل اذ المعنى ومدة حمله ووقت فصله ثلاثون شهرا (قوله لانضباطهما) يفهم منه ان لا انضباط لاكثر الحمل وأقل مدة الرضاع (قوله وتحقق ارتباط حكم النسب الخ) لان النسب لا يتحقق بدون اقل مدة الحمل وحكم الرضاع لا يثبت باكثر من حولين

(أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) يعني نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ماروى أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن أحد أسلم هو وأبواه من المهاجرين والانصار سواه (وأن أعمل صالحا ترضاه) نكره للتعظيم أو لانه أراد نوعا من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل (وأصلح لي في ذريتي) واجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي راسخا فيهم ونحوه قوله

وان تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها * الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي

(اني تبت اليك) عما لا ترضاه أو يشغل عنك (واني من المسلمين) المخلصين لك (أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا) يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه (و يتجاوز عن سيئاتهم) لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما (في أصحاب الجنة) كائنين في عدادهم أو مثابين أو معدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل و يتجاوز وعد (الذي كانوا يوعدون) أي في الدنيا (والذي قال لوالديه أف لكما) مبتدأ خبره أولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي أف قراآت ذكرت في سورة بني اسرائيل (أتعدانني أن أخرج) أبعث وقرأ هشام أتعداني بنون واحدة مشددة (وقد خلت القرون من قبلي) فلم يرجع أحد منهم (وهما يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك أو يسألانه أن يغيثه بالتوفيق للايمان (ويلك آمن) أي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه (ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين) أباطيلهم التي كتبوها (أولئك الذين حق عليهم القول) بانهم أهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على أنه من أهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه (في أمم قد خلت من قبلهم) كقوله في أصحاب الجنة (من الجن والانس) بيان للامم (انهم كانوا خاسرين) تعليل للحكم على الاستئناف (ولكل) من الفريقين (درجات مما عملوا) مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب (وليوفيهم أعمالهم) جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب وزيادة عقاب (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض (أذهبتم) أي يقال لهم أذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير أن ابن كثير يقرأه بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها و بهمزتين محققتين (طيباتكم) لذاتكم (في حياتكم الدنيا) باستيفائها (واستمتعتم بها) فما بقي لكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) الهوان وقد قرئ به (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق و بما كنتم تفسقون) بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر (واذكر أخا عاد) يعني هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن (وقد خلت النذر) الرسل (من بين يديه ومن خلفه) قبل هود و بعده والجملة حال أو اعتراض (ألا تعبدوا الا الله) أي لا تعبدوا أو بان لا تعبدوا فان النهي عن الشئ انذار من مضرته (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) هائل بسبب شرككم (قالوا أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) في وعدك (قال انما العلم عند الله) لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم وما على

(قوله يجرح في عراقيبها) أي يحدث الجرح في عراقيبها (قوله وان صح الخ) وان قدر صحة نزولها (قوله لانه يدل على انه من أهلها) لما قاله من انكار البعث (قوله وقد جب عنه) أي قطع اثم انكار البعث عنه أي عن عبد الرحمن ان كان أي ان تحقق انه أنكر البعث لاسلامه (قوله جزاء ما عملوا) فيكون ههنا مضاف مقدر اذ المعنى درجات من جزاء ما عملوا (قوله وههنا جاءت على التغليب) لان الدرجات تعم المؤمنين والكافرين (قوله فقلب مبالغة) لان في القلب افادة أن النار أمر ثابت يعرض غيرها عليها ففيه مبالغة في ثبوت النار واحراقها لانه اذا عرض شئ على النار كان احراقها أشد من أن تعرض النار عليه والاولى أن يقال ان عرض الشخص على النار أشد في اهانته من عرض النار عليه اذ عرضه على النار يفيد انه كالحطب المخلوق للاحتراق

الرسول الا البلاغ (ولكني أراكم قوما تجهلون) لا تعلمون أن الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين (فلما رأوه عارضا) سحابا عرض في أفق السماء (مستقبل أوديتهم) متوجه أوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله (قالوا هذا عارض ممطرنا) أي يأتينا بالمطر (بل هو) أي قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب وقرئ قل بل (ريح) هي ريح ويجوز أن يكون بدل ما (فيها عذاب أليم) صفتها وكذا قوله (تدمر) تهلك (كل شئ) من نفوسهم وأموالهم (بأمر ربها) اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا أو الهاء في ربها و يحتمل أن يكون استئنافا للدلالة على أن لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر وتكون الهاء لكل شئ فانه بمعنى الاشياء (فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم) أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة و رفع المساكن (كذلك نجزي القوم المجرمين) روي أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فاماتت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشفت عنهم واحتملتهم فقذفتهم في البحر (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية وهي أحسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت ألفها هاء في مهما أو شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي أو في شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم أكثر أو صلة كما في قوله

يرجى المرء ما ان لا يراه * و يعرض دون أدناه الخطوب

والاول أظهر وأوفق لقوله هم أحسن أثاثا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) ليعرفوا تلك النعم و يستدلوا بها على مانحها تعالى و يواظبوا على شكرها (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) من الاغناء وهو القليل (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) صلة لما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما أضيف اليه وكذلك حيث (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) بتكريرها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول محذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل أو عطف بيان أو آلهة وقربانا حال أو مفعول له على أنه بمعنى التقرب وقرئ عقربانا بضم الراء (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرهم وامتنع أن يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال (وذلك افكهم) وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم أي جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك أي ذو الافك (وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أملناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار (يستمعون القرآن) حال محمولة على المعنى (فلما حضروه) أي القرآن أو الرسول (قالوا أنصتوا) قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه (فلما قضي) أتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام (ولوا الى قومهم منذرين) أي منذرين اياهم بما سمعوا روي أنهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا أو ماسمعوا بأمر عيسى عليه الصلاة والسلام (مصدقا لما بين يديه يهدي

(قوله والاضافة فيه لفظية الخ) أي الاضافة في مستقبل أوديتهم لفظية حتى يكون صالحا لان يكون صفة لعارضا وانما كانت لفظية لان المستقبل بمعنى الحال والممطر بمعنى المستقبل أو بمعنى الحال توسعا (قوله و يجوز أن يكون بدل ما) أي يجوز ان يكون ريح بدلا من ما فيما استعجلتم (قوله أو صلة) أي زائدة (قوله وهو أوفق لقوله تعالى الخ) لان قولهم هم أحسن اثاثا وكذا قوله تعالى كانوا أكثر منهم الخ يدلان على انه كان لقوم ما ليس للمخاطبين وان اذا كانت نافية كان هذا صريح معناها (قوله أو آلهة) أي والمفعول الثاني آلهة (قوله وقرئ افكهم بالتشديد الخ) أي بتشديد الفاء وآفكهم بصيغة افعل من باب الافعال وآفكهم بصيغة اسم الفاعل

الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) من الشرائع (ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما يكون فى خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان (ويجركم من عذاب أليم) هو معد للكفار واحتج أبو حنيفة رضى الله عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على أن لا ثواب لهم والاظهر أنهم فى توابع التكليف كبنى آدم (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) اذ لا ينجى منه مهرب (وليس له من دونه أولياء) يمنعونه منه (أولئك فى ضلال مبين) حيث أعرضوا عن اجابة من هذا شأنه (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن) ولم يتعب ولم يعجز والمعنى أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد أبد الآباد (بقادر على أن يحيى الموتى) أى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفى فانه مشتمل على أن ومافى حيزها ولذلك أجاب عنه بقوله (بلى انه على كل شئ قدير) تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ أراد ختمها باثبات المعاد (و يوم يعرض الذين كفروا على النار) منصوب بقول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق) والاشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم فى الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) أولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض وأولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى صلى الله وسلم عليهم وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح و يعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة (ولا تستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لا محالة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة (بلاغ) هذا الذى وعظتم به أو هذه السورة بلاغ أى كفاية أو تبليغ من الرسول عليه الصلاة والسلام و يؤيده أنه قرئ بلغ وقيل بلاغ مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض أى لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب أى بلغوا بلاغا (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) الخارجون عن الاتعاظ أو الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿وتسمى سورة القتال وهى مدنية وقيل مكية وآيها سبع أو ثمان وثلاثون أو أربعون آية﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه أو منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر أو شياطين قريش أو المصرين من أهل الكتاب أو عام فى جميع من كفر وصد (أضل أعمالهم) جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة أى ضائعة محبطة بالكفر أو مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن أو ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم (وآمنوا

(قوله فان المظالم لا تغفر بالايمان) قد حقق العلامة الطيبى ان المظالم تغفر أيضا به وأورد على ذلك دلائل منها انه نقل من سنن ابن ماجه أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا عشية عرفة لامته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فأجيب له انى قد غفرت لهم ما خلا المظالم فانى آخذ للمظلوم منه قال أى رب ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب الى ما قيل فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبسم فقال له أبو بكر رضى الله عنه فما الذى أضحكك أضحك الله سنك فقال ان عدو الله ابليس لما علم بأن الله استجاب دعائى وغفر لامتى أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه و يدعو بالويل والثبور فأعجبنى ما رأيت من جزعه (قوله وموسى قال له قومه الخ) هذا الكلام منهم دال على تعييرهم لموسى وانه أوقعهم فى يد فرعون حتى يهلكهم (قوله و يؤيده انه قرئ بلغ) مشددا من باب التفعيل ولا يخفى تأييده لما ذكر

﴿سورة محمد عليه الصلاة والسلام﴾

بما نزل على محمد) تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وأنه الاصل فيه ولذلك أكده بقوله (وهو الحق من ربهم) اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيقته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناءين ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سياآتهم) سترها بالايمان وعملهم الصالح (وأصلح بالهم) حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (ذلك) اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما أشعر به ما قبلها ولذلك سمي تفسيرا (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس) يبين لهم (أمثالهم) أحوال الفريقين أو أحوال الناس أو يضرب أمثالهم بأن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم (فاذا لقيتم الذين كفروا) في المحاربة (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد والاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بأنه ينبغي أن يكون بضرب الرقاب حيث أمكن وتصويره بأشنع صورة (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الثخين وهو الغليظ (فشدوا الوثاق) فأسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به (فاما منا بعد واما فداء) أي فاما تمنون منا أو تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين أخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا أسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية أو مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل أو الاسترقاق وقرئ فدا كعصا (حتى تضع الحرب أوزارها) آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع أي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم أو مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب أو الشد أو للمن والفداء أو للمجموع بمعنى أن هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام (ذلك) أي الامر ذلك أو افعلوا بهم ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم بالاستئصال (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) ولكن أمركم بالقتال ليبلوا المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قاتلوا في سبيل الله) أي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا أي استشهدوا (فلن يضل أعمالهم) فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول (سيهديهم) الى الثواب أو سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به أو بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) ان تنصروا دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت أقدامكم) في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار (والذين كفروا فتعسا لهم) فعثورا لهم وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى * فالتعس أولى بها من أن أقول لعا * وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا أو مفسرة لناصبه (وأضل أعمالهم) عطف عليه (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال (فاحبط أعمالهم) كرره اشعارا بأنه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال (أفلم يسيروا في الارض

(قوله على طريقة الحصر) لانه اذا كان الخبر ذا لام يكون مفيدا للحصر والمراد من الحصر اما الاضافي أي بالنسبة الى سائر الكتب والمبالغة في الحقيقة (قوله على البناءين) أي البناء للفاعل والبناء للمفعول (قوله وهو تصريح بما أشعر به ما قبلها) لان قوله تعالى الذين كفروا الخ يشعر بأن الكفر والصد للذين هما اتباع الباطل سبب للاختلال مع ان قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ مشعر بأن الايمان والعمل الصالح اللذين هما اتباع الحق سبب التكثير والاصلاح (قوله ضما الى التأكيد والاختصار) والتأكيد مستفاد من أصل التركيب والاختصار حاصل من الحذف (قوله ونقيضه لعا) اللعا بالالف المقصورة الثبات (قوله أو مفسر لناصبه) أي يكون هذا الفعل المقدر مفسر الناصب الذين فيكون الذين كفروا مفعولا لنفس المقدر

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم (وللكافرين) من وضع الظاهر موضع المضمر (أمثالها) أمثال تلك العاقبة أو العقوبة أو الهلكة لان التدمير يدل عليها أو السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا) ناصرهم على أعدائهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) حريصين غافلين عن العاقبة (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) على حذف المضاف واجراء أحكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب (أهلكناهم) بأنواع العذاب (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم العذاب وهو كالحال المحكية (أفمن كان على بينة من ربه) حجة من عنده وهو القرآن أو ما يعمه والحجج العقلية كالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (كمن زين له سوء عمله) كالشرك والمعاصي (واتبعوا أهواءهم) في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجرى مثله تصويرا لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار أو بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا للانكار المساواة (فيها أنهار من ماء غير آسن) استئناف لشرح المثل أو حال من العائد المحذوف أو خبر لمثل وآسن من أسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه أو بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لم يصر قارصا ولا حازرا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ أو مصدر نعت به باضمار ذات أو تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة (وأنهار من عسل مصفى) لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بأنواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها (ولهم فيها من كل الثمرات) صنف على هذا القياس (ومغفرة من ربهم) عطف على الصنف المحذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم مغفرة (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما) مكان تلك الاشربة (فقطع أمعاءهم) من فرط الحرارة (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك) يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا (قالوا للذين أوتوا العلم) أي لعلماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم (ماذا قال آنفا) ما الذي قال الساعة استهزاء أو استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم أنف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا. وتنفا أو حال من الضمير في قال وقرأ ابن كثير أنفا (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم

والمولى الواقع في قوله تعالى مولاهم الحق المالك فنفى أحدهما لا يوجب نفى الآخر (قوله وهو كالحال المحكية) لان المفهوم من قوله فلا ناصر لهم انه لا ناصر لهم في الحال فيكون حكاية الحال الماضية وانما قال كالحال لانه ليس بصيغة الحال (قوله استغناء يجرى فيه مثله) أي حذف ما حذف للاستغناء عنه بذكر مثله أي ذكر في أحد المثلين ما حذف في الآخر فان الاهل محذوف في الاول ومذكور قبله في الآخر وهو من هو خالد وقس عليه التقدير الآخر (قوله وهو على الاول خبر محذوف الخ) أعنى قوله تعالى كمن هو خالد في النار على التقدير الاول وهو ان يكون مثل الجنة مبتدأ خبره محذوف أو يكون كمن هو خالد في النار بدلا من قوله تعالى كمن زين له سوء عمله وما بينهما وهو من قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون الى قوله مغفرة من ربهم جمل اعتراضية (قوله والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها) هذا مستفاد من كون الاشربة أنهارا (قوله صنف على هذا القياس) أي على قياس الاشربة لان لهم فيها صنفا من الاشربة (قوله على معنى الحدوث) فان اسم الفاعل موضوع للحدوث وأما الاسن بأن يكون صفة مشبهة كما هو قراءة ابن كثير فهو للثبوت (قوله كالعلة له) أي كالعلة لا انتظار الساعة لان ظهور اشراط الشئ

واتبعوا أهواءهم) فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه (والذين اهتدوا زادهم هدى) أى زادهم الله بالتوفيق والالهام أو قول الرسول عليه الصلاة والسلام (وآتاهم تقواهم) بين لهم ما يتقون أو أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها (فهل ينظرون الا الساعة) فهل ينتظرون غيرها (أن تأتيهم بغتة) بدل اشتمال من الساعة وقوله (فقد جاء أشراطها) كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها كمبعث النبى عليه الصلاة والسلام وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم أى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة بغتة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك) أى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك (وللمؤمنين والمؤمنات) ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم وفى اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب له ماله تبعة ما بترك الاولى (والله يعلم متقلبكم) فى الدنيا فانهم راحل لا بد من قطعها (ومثواكم) فى العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا المعاد كم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) أى هلا نزلت سورة فى أمر الجهاد (فاذا أنزلت سورة محكمة) مبينة لا تشابه فيها (وذكر فيها القتال) أى الامر به (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) ضعف فى الدين وقيل نفاق (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) جبنا ومخافة (فاولى لهم) فويل لهم أفعل من الولى وهو القرب أو فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤل اليه أمرهم (طاعة وقول معروف) استئناف أى أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية قولهم لقراءة أبى يقولون طاعة (فاذا عزم الامر) أى جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل (فلو صدقوا الله) أى فيما عزموا من الحرص على الجهاد أو الايمان (لكان) الصدق (خيرا لهم فهل عسيتم) فهل يتوقع منكم (ان توليتم) أمور الناس وتأمرتم عليهم أو أعرضتم وتوليتم عن الاسلام (أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الولاية وتجاذبا لها أو رجوعا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى أنهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره أن تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم أى ان توليتم كظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطعية الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع (أولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم الارحام (فأصمهم) عن استماع الحق (وأعمى أبصارهم) فلا يهتدون سبيله (أفلا يتدبرون القرآن) يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصى (أم على قلوب أقفالها) لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها أمر وقيل أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم أو للاشعار بانها لابهام أمرها فى القساوة أو لفرط جهالتها ونكرها كأنها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ أقفالها على المصدر (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) أى الى ما كانوا عليه من الكفر (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة (الشيطان سول لهم) سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده

موجب لانتظاره (قوله فكيف لهم ذكراهم) أى كيف لهم تعاظهم أى لا ينفعهم الاتعاظ (قوله اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم) وجه الاشعار انه أمر بحسب الظاهر أن يستغفر لذوات المؤمنين فكأنهم عين الذنوب واعادة حرف الجر دالة على شدة الاهتمام بالاستغفار لذنوبهم ويدل على أن ذنوبهم جنس آخر غير جنس ذنب النبى صلى الله عليه وسلم فان الذنب الى ذنبه عليه السلام عبارة عما له تبعة ما بترك الاولى أى ذنبه عبارة عن ترك الاولى لا ما يستحق العقاب به (قوله أفعل الخ) أى فأولى لهم بمعنى ويل لهم فان كان أفعل من الولى فالمعنى الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه ويقربهم وان كان فعل من آل فالمعنى الدعاء عليهم بأن يؤل الى المكروه أمرهم (قوله فان توليتم اعراض) لانه جملة شرطية جزاؤها محذوف والتقدير ان توليتم تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم تأكيد لافسادهم فى الارض عند القدرة (قوله لان المراد قلوب بعضهم) فيكون قلوب بعض آخر ليس عليها اقفال لكن لا يتدبرون

بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف أى كيد الشيطان سول لهم (وأملى لهم) ومد لهم فى الآمال والاماني أو أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب وأملى لهم أى وأنا أملى لهم فتكون الواو للحال أو الاستئناف وقرأ أبو عمرو وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان أو لهم (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أى قال اليهود الذين كفروا بالنبى عليه الصلاة والسلام بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين أو المنافقون لهم أو أحد الفريقين للمشركين (سنطيعكم فى بعض الامر) فى بعض أموركم أو فى بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان أخرجوا والتظافر على الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يعلم أسرارهم) ومنها قولهم هذا الذى أفشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) فكيف يصنعون و يحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تاءيه (يضربون وجوههم وأدبارهم) تصوير لتوفيهم بما يخافون منه و يجبنون عن القتال له (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بانهم اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر وكتمان نعت الرسول عليه الصلاة والسلام وعصيان الامر (وكرهوا رضوانه) مايرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات (فأحبط أعمالهم) لذلك (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله) أن لن يبرز الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أضغانهم) احقادهم (ولو نشاء لأريناكهم) لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف (ولتعرفنهم فى لحن القول) جواب قسم محذوف ولحن القول أسلوبه أو أماليته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات (ولنبلونكم) بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاقه (ونبلوا أخباركم) مايخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها أو أخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ أبو بكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق ماقبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى) هم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر (لن يضروا الله شيأ) بكفرهم وصدهم أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط أعمالهم) ثواب حسنات أعمالهم بذلك أو مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بما أبطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى أصحاب القليب و يدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه (فلا تهنوا) فلا تضعفوا (وتدعوا الى السلم) ولا تدعوا الى الصلح خوارا وتذللا و يجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر السين (وأنتم الاعلون) الاغلبون (والله معكم) ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن يضيع أعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا به من قريب أو حميم فأفردته منه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لاثبات لها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) جميع أموالكم

(قوله أو لهم) أى أملى مسند الى لهم (قوله لتعظيمه الخ) لتعظيم الرسول بان يفيد ان مشاقته مشاقة الله وهو يفيد شناعة مشاقته (قوله وليس فيه دليل الخ) رد على الزمخشرى فانه فسره باحباط الطاعات بالكبائر لكن الآية لا تدل على ذلك بل المراد منه احباط الطاعات السابقة بالكفر والنفاق أو بالأمور المقارنة لها من الأمور النافية للثواب كالعجب والرياء وغيرهما وليس فيه مايدل على ان الطاعات السابقة تبطل بالكبائر التى حصلت بعدها

بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر (ان يسألكموها فيحفكم) فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج أضغانكم) ويضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير فى يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون أو البخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع أضغانكم (هاأنتم هؤلاء) أى أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق (والله الغنى وأنتم الفقراء) فما يأمركم به فهو لاحتياجكم اليه فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم (وان تتولوا) عطف على ان تؤمنوا (يستبدل قوما غيركم) يقم مقامكم قوما آخرين (ثم لا يكونوا أمثالكم) فى التولى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه أو الانصار واليمن او الملائكة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

﴿سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضى لتحققه أو بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك أو اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وأدخل فى الاسلام خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهى أنه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جيش من كان معه أو فتح الروم فانهم غلبوا الفرس فى تلك السنة وقد عرفت كونه فتحا للرسول عليه الصلاة والسلام فى سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء أى قضينا لك أن تدخل مكة من قابل (ليغفر لك الله) علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن أيدى الظلمة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) جميع ما فرط منك مما يصح أن تعاتب عليه (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرئاسة (وينصرك الله نصرا عزيزا) نصرا فيه عز ومنعة أو يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة (هو الذى أنزل السكينة) الثبات والطمأنينة (فى قلوب المؤمنين) حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر (ولله جنود السموات والارض) يدبر أمرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم أخرى كما تقتضيه حكمته (وكان الله عليما) بالمصالح (حكيما) فيما يقدر ويدبر (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير أى دبر ما دبر من تسليط

(قوله هؤلاء الموصوفون) أى الموصوفون بانه لو يحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم (قوله استئناف مقرر لذلك) أى مقرر انهم ان يحفهم الله يبخلوا (قوله وهو كالدليل على الآية المتقدمة) لانه يفهم منه انه لابد من جماعة بخلاء فهو دليل على أنهم يبخلون ان يحفهم الله (قوله لتضمنه معنى الامساك) يعدى بعن وباعتبار التعدى يتعدى بعلى

﴿سورة الفتح﴾

(قوله ليصير ذلك بالتدريج اختيارا) أى ليصير ما ذكر من ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس اختيارا بعد ما كان بالقهر فانه اذا أزيح الشرك عن شخص قهرا صارت تلك الازاحة بالتدريج اختيارا أى يبعد ذلك الشخص الشرك عن نفسه باختياره (قوله وقد عرف كونه فتحا الخ) لانه مر ان غلبة الروم وهى أهل الكتاب على فارس التى هى المجوس مطلوب النبى صلى الله عليه وسلم (قوله ويهديك صراطا مستقيما) المراد منه اما زيادة الاهتداء أو الثبات عليها

المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك أو فتحنا أو أنزل أو جميع ما ذكر أو ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال (ويكفر عنهم سيئاتهم) يغطيها ولا يظهرها (وكان ذلك) أي الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضر وعند حال من الفوز (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل منه (الظانين بالله ظن السوء) ظن الامر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير أن المفتوح غلب في أن يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم) عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية (وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا أرسلناك شاهدا) على أمتك (ومبشرا ونذيرا) على الطاعة والمعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي والأمة أو لهم على أن خطابه منزل منزلة خطابهم (وتعزروه) وتقووه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتنزهوه أو تصلوا له (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا أو دائما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بالزاءين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لانه المقصود ببيعته (يد الله فوق أيديهم) حال أو استئناف مؤكد له على سبيل التخييل (فمن نكث) نقض العهد (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) في مبايعته (فسيؤتيه أجرا عظيما) هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان (سيقول لك المخلفون من الاعراب) هم أسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم (شغلتنا أموالنا وأهلونا) اذ لم يكن لنا من يقوم بأشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) من الله على التخلف (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (ان أراد بكم ضرا) ما يضركم كقتل أو هزيمة أو خلل في المال والاهل عقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم (أو أراد بكم نفعا) ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد (بل كان الله بما تعملون خبيرا) فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) لظنكم أن المشركين يستأصلونهم وأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على أن أصله أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال (وزين ذلك في قلوبكم) فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله أو الشيطان (وظننتم ظن السوء) الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء أو هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة (وكنتم قوما بورا) هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير

(قوله وعند حال من الفوز) والمعنى وكان ذلك فوزا عظيما حاصلا عند الله (قوله والغضب سبب له) أي سبب اللعن (قوله لاستقلال الكل في الوعيد) أي كل من الغضب واللعن والاعداد في الوعيد (قوله أو لهم على ان خطابه الخ) فكانه قيل انا أرسلنا محمدا اليكم أيها المؤمنون لتؤمنوا بالله (قوله حال أو استئناف مؤكد على سبيل التخييل) أما تأكيده فلان مفهومه يستفاد مما سبق وهو قوله تعالى انما يبايعون الله وأما كونه على سبيل التخييل فلان كون يد الله فوق ايديهم ليس أمرا حقيقيا كما لا يخفى بل أمر مخيل (قوله بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم الخ) بل الاول اضراب عن مقدر منهم من الكلام السابق كانه قيل لا يخفى على الله شئ من أعمالكم دنياكم بل كان الله بما تعملون خبيرا وبل الثانية اضراب عن مقدر آخر فكانه قيل وليس تخلفكم لما ذكر بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول الخ أي بل ظنكم المذكور مما يوجب تخليفكم فان قيل علام عطف وليس تخلفكم الخ قلنا عطف على قوله تعالى فمن يملك لكم فهو في تقدير قل ليس تخلفكم لما ذكر (قوله وهو تعريض بالرد) أي تعريض بالرد في اعتذارهم اذ يفهم منه انهم تخلفوا عن الضرر وطلبوا النفع لتخيل ان التخلف سبب لدفع الضرر وطلب النفع مع ان تخلفهم وعدمه سواء بالنسبة الى قضاء الله تعالى اذ لو أراد الله ضرهم أو نفعهم للحق بهم ألبتة ولا ينفعه التخلف بكفره

بكفره وتنكير سعيرا للتهويل أولانها نار مخصوصة (ولله ملك السموات والارض) يدبره كيف يشاء (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) اذلا وجوب عليه (وكان الله غفورا رحيما) فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي (سيقول المخلفون) يعني المذكورين (اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم (ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) أن يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي أبدا والظاهر أنه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة (قل لن تتبعونا) نفي في معنى النهي (كذلكم قال الله من قبل) من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) أن نشاركم في الغنائم وقرئ بالكسر (بل كانوا لا يفقهون) لا يفهمون (الا قليلا) الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومنى الاضراب الاول رد منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات للحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بأمور الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) بني حنيفة أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركين فانه قال (تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة أو يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم أو يعطى الجزية وهو يدل على امامة أبي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح أنهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) عن الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) لتضاعف جرمكم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) لما أوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناءهم عن الوعيد (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) فصل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال (ومن يتول يعذبه عذابا أليما) اذ الترهيب ههنا أنفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) روي أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي الى أهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وكانوا ألفا وثلثمائة أو أربعمائة أو خمسمائة وبايعهم على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة أو سدرة (فعلم ما في قلوبهم) من الاخلاص (فأنزل السكينة عليهم) الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع أو الصلح (وأثابهم فتحا قريبا) فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة أو هجر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني مغانم خيبر (وكان الله عزيزا حكيما) غالبا مراعيا مقتضى الحكمة (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني مغانم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان أو أيدي قريش بالصلح (ولتكون) هذه الكفة أو الغنيمة (آية للمؤمنين) أمارة يعرفون بها أنهم من الله بمكان أو صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه

(قوله وتنكير سعيرا للتهويل الخ) الاول باعتبار انها نارا لا يمكن تعريفها وتوصيفها وأما الثاني فباعتبار انها نوع خاص منها فيكون التنكير للتنويع (قوله والظاهر) أي الظاهر ان قوله لن تخرجوا معي أبدا ورد في غزوة تبوك كما دل عليه قراءة أو يسلموا لان معنى قراءة أو يسلموا الى أن يسلموا فيكون منتهى المقاتلة الى الاسلام لا غير وهذا مخصوص بابي بكر لان من عداه بني حنيفة يقاتل حتى يسلم أو يعطى الجزية (قوله ومن عداهم يقاتل الخ) أي غير المرتدين أو المشركين يقاتل حتى يسلم أو يعطى الجزية (قوله فصل الوعد) لانه قال جنات تجري من تحتها الانهار وأجمل الوعيد للاقتصار (قوله على سبيل التعميم) لان المخاطب في يعذبكم جماعة مخصوصة وأما من فيمن يتول عام (قوله اذ الترهيب الخ) أي انما كرر الوعيد دون الوعد لشدة الاهتمام بالوعيد

من الحديبية أو وعد المغانم أو عنوا بالفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف أو عجل مثل لتسلموا أولتأخذوا أو العلة لمحذوف مثل فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه (وأخرى) ومغانم أخرى معطوفة على هذه أو منصوبة بفعل يفسره قد أحاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب (لم تقدروا عليها) بعد لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) استولى فاظفركم بها وهى مغانم هوازن أوفارس (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته ذاتية لاتختص بشئ دون شئ (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا (لولوا الادبار) لانهزموا (ثم لايجدون وليا) يحرسهم (ولانصيرا) ينصرهم (سنة الله التى قد خلت من قبل) أى سن غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال تعالى لاغلبن أنا ورسلى (ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذى كف أيديهم عنكم) أى أيدى كفار مكة (وأيديكم عنهم ببطن مكة) فى داخل مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أظهركم عليهم وذلك أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على أن مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم أولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ أبو عمرو بالياء (بصيرا) فيجازيهم عليه (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله) يدل على أن ذلك كان عام الحديبية والهدى مايهدى الى مكة وقرئ الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لامكانه الذى لايجوز أن ينحر فى غيره والالما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أحصر فلاينهض حجة للحنفية على أن مذبح هدى المحصر هو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين (أن تطؤهم) أن توقعوا بهم وتبيدوهم قال

ووطئتنا وطأ على حنق * وطء المقيد نابت الهرم

وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبى صلى الله عليه وسلم بها وأصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء أو من ضميرهم فى تعلموهم (فتصيبكم منهم) من جهتهم (معرة) مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير فى البحث عنهم مفعلة من عره اذا اغراه ما يكرهه (بغير علم) متعلق بان تطؤهم أى تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم (ليدخل الله فى رحمته) علة لما دل عليه كف الايدى عن أهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين أى كان ذلك ليدخل الله فى رحمته أى فى توفيقه لزيادة الخير أو للاسلام (من يشاء) من مؤمنيهم أو مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) بالقتل والسبى (اذ جعل الذين كفروا) مقدر باذكر أو ظرف لعذبنا أو صدوكم (فى قلوبهم الحمية) الأنفة (حمية الجاهلية) التى تمنع اذعان الحق (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ماروى أنه عليه الصلاة والسلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه على أن يخلى له قريش مكة من القابل ثلاثة أيام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام

(قوله والعطف الخ) أى عطف ليكون على محذوف وقوله أو علة لمحذوف عطف جملة على جملة اذ هو فى تقدير أو هو علة لمحذوف والحاصل أن ليكون اما عطف على محذوف أو علة محذوف (قوله من الجولة) الجولة هى الغلبة ولعل المراد من الغلبة غلبة الكفار فى يوم حنين وقيل المراد من الجولة هزيمة المسلمين وقيل المراد منها الهزيمة ثم الرجوع ثم الهزيمة ثم الرجوع (قوله وهو ضعيف) أى كون المراد من الظفر ظفر المسلمين يوم فتح مكة وكذا استدلال بعضهم على ان فتح مكة كانت عنوة ضعيف لما ذكر (قوله فلا ينتهض حجة للحنفية الخ) أى لو كان المراد من المحل الذى لا يجوز ان ينحر فى غيره لكان ذبح هدى الحصر حراما لكنه ليس كذلك

لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحملوا (وألزمهم كلمة التقوى) كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم أو الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها أو كلمة أهلها (وكانوا أحق بها) من غيرهم (وأهلها) والمستأهلين لها (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم أهل كل شئ وييسره له (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) رأى عليه الصلاة والسلام أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أن ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه (بالحق) ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز أن يكون بالحق صفة مصدر محذوف أي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وأن يكون قسما اما باسم الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد أو اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه (آمنين) حال من الواو والشرط معترض (محلقين رؤسكم ومقصرين) أي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون (لا تخافون) حال مؤكدة أو استئناف أي لا تخافون بعد ذلك (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة في تأخير ذلك (فجعل من دون ذلك) من دون دخولكم المسجد أو فتح مكة (فتحا قريبا) هو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الموعود (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) ملتبسا به أو بسببه أو لاجله (ودين الحق) و بدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهله اذ ما من أهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن أو على نبوته باظهار المعجزات (محمد رسول الله) جملة مبينة للمشهود به ويجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف أو مبتدأ (والذين معه) معطوف عليه وخبرهما (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يغلظون على من خالف دينهم و يتراحمون فيما بينهم كقوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) لانهم مشتغلون بالصلاة في أكثر أوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الثواب والرضا (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا أعلمه وقد قرئت ممدودة ومن أثر السجود بيانها أو حال من المستكن في الجار (ذلك) اشارة الى الوصف المذكور أو اشارة مبهمة يفسرها كزرع (مثلهم في التوراة) صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها (ومثلهم في الانجيل) عطف عليه أي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله (كزرع) تمثيل مستأنف أو تفسير أو مبتدأ وكزرع خبره (أخرج شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) فقواه من المؤازرة وهي المعاونة أو من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجره في أجره (فاستغلظ) فصار

(قوله ملتبسا به) فيكون حالا من الرؤيا (قوله أو بتسليط المؤمنين على أهله) فيكون التقدير ليظهر أهل دين الاسلام على أهل الدين كله (قوله أو حال من المستكن في الجار) أي سيماهم يكون في وجوههم حاصلا من أثر السجود (قوله الوصف المذكور) وهو من أشداء على الكفار الى ههنا (قوله تمثيل مستأنف الخ) فالاول اذا كان ذلك اشارة الى الوصف المذكور والثاني اذا كان اشارة الى مبهم يفسره كزرع

من الدقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس (ليغيظ بهم الكفار) علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لقوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام فتح مكة

﴿سورة الحجرات مدنية وآيها ثمانى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) أى لا تقدموا أمرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن أو ترك لان المقصود نفى التقديم رأسا أو لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم (بين يدى الله ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعظيم له واشعار بأنه من الله بمكان يوجب اجلاله (واتقوا الله) فى التقديم أو مخالفة الحكم (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بأفعالكم (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أى اذا كلمتموه فلا تجاوزوا أصواتكم عن صوته (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته محاماة على الترجيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به (أن تحبط أعمالكم) كراهة أن تحبط فيكون علة للنهى أو لان تحبط على أن النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان فى الجهر والرفع استخفافا قد يؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى أن ثابت بن قيس كان فى أذنه وقر وكان جهور يا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة (وأنتم لا تشعرون) انها محبطة (ان الذين يغضون أصواتهم) يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب أو مخافة عن مخالفة النهى قيل كان أبو بكر وعمر بعد ذلك يسران حتى يستفهمهما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كنه للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف أو للفعل باعتبار الاصل أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا أذابه وميز ابريزه من خبثه (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر عظيم) لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان أو استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما أخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم

(قوله مستعار مما بين الجهتين الخ) أى المراد مما بين يدى الله ورسوله محضرهما مستعار مما بين الجهتين المذكورتين ليدى الانسان لانه محضره ثم ان ما بين يدى الانسان عبارة عما بين الجهتين المذكورتين وسميا باليدين لعلاقة بينهما وبين اليدين (قوله تهجينا الخ) معناه ان ذكر ما بين الله ورسوله للتهجين والتقبيح لان التقدم فى الحكم بين يدى الاكابر قبيح (قوله والدلالة الخ) أى التكرير للدلالة على ان كلا من التقدم والرفع منادى له بالاستقلال ولو لم يكرر النداء فلعله توهم أن مجموع الامرين منادى له (قوله باعتبار التأدية) أى باعتبار ما يؤدى اليه الأمر وحاصل ما قال فى الاحتمال ان الجهر بالقول لما كان قد يؤدى الى حبوط العمل فكان الجهر كائن لحبوطه قهرا على الجهر المعلل بحبوط العمل بالاعتبار المذكور (قوله واللام صلة محذوف أو للفعل باعتبار الاصل) الاول بالنظر الى التفسير الثانى والثانى باعتبار التفسير الاول وذلك لان المراد من جربها للتقوى كونها عريقة فى التقوى معتادة عليها فاللام فى قوله للتقوى باعتبار الاصل أى تعلقها بامتحن باعتبار المعنى الاصلى لا بالنظر الى المعنى المجازى (قوله أو ضرب الله قلوبهم) أى جربها (قوله المتضمن لما جعل عنوانا لهم) أى وصفا لهم والتضمن باعتبار ان فى اسم الاشارة اشارة الى الوصف المذكور لما تقرر من ان اسم الاشارة جعل المشار اليه كالمحسوس الحاضر ولا بد فى ذلك من كونه معلوما بالوصف حتى يكون المعلوم كالمحسوس

اقصى

أقصى الكمال مبالغة فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) من خارجها خلفها أو قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على أن المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وأن يختلف المبتدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبى عليه الصلاة والسلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها أو بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما أسندا الى جميعهم لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لانه وجد فيما بينهم (أكثرهم لا يعقلون) اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم) أى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان أن وان دلت بما فى حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد أن الصبر ينبغى أن يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لو خرج لالاجلهم ينبغى أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه اليهم (لكان خيرا لهم) لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى أنهم وفدوا شافعين فى أسارى بنى العنبر فاطلق النصف وفادى النصف (والله غفور رحيم) حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فتعرفوا وتصفحوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم مناديين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وأن خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا أى فتوقفوا الى أن يتبين لكم الحال (أن تصيبوا) كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) جاهلين بحالهم (فتصبحوا) فتصيروا (على ما فعلتم نادمين) مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) أن بما فى حيزه سادمسد مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) فانه حال من أحد ضميرى فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى أن فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى أنكم تريدون أن يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى الجهد من العنت وفيه اشعار بأن بعضهم أشار اليه بالايقاع بنى المصطلق وقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) استدراك ببيان عذرهم وهو أنه من فرط حبهم للايمان وكراهتهم للكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد أو

(قوله تعالى أكثرهم لا يعقلون) قال صاحب الكشاف الاخبار عن أكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء منهم قصدا الى نفى معنى أن يكون منهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفى فى كلامهم (قوله فان حتى مختصة الخ) أى حتى مختصة بحسب الوضع بغاية الشئ فى نفسه وهو الجزء الآخر منه حقيقة بخلاف الى فانه ليس كذلك بحسب الوضع (قوله وتركيب هذه الاحرف الثلاث) أى تركيب النون والدال والميم دال على الدوام قال الزمخشرى الندم غم يصحب الانسان صحبة ملازما دواما ومن مقلوبانه ادمن ومدن بالمكان اذ لزمه (قوله احدى ضميرى فيكم) لانه فى تقدير كائن ولآخر الضمير المجرور (قوله أشار اليه لا يقاع بنى المصطلق) هذا مفهوم من تفسير الآية التى سبقت

بصفة من لم يفعل ذلك منهم احماد الفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله (أولئك هم الراشدون) أي أولئك المستثنون هم الذين أصابوا الطريق السوى وكره يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة بغض فعدى الى آخر بالى أو نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد (فضلا من الله ونعمة) تعليل لكره أو حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدون فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم أو مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) حيث يفضل وينعم بالتوفيق عليهم (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع (فأصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فان بغت احداهما على الاخرى) تعدت عليها (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) ترجع الى حكمه أو ما أمر به وانما أطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة (وأقسطوا) واعدلوا في كل الامور (ان الله يحب المقسطين) يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهي تدل على أن الباغي مؤمن وأنه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى أمر الله تعالى وأنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة (انما المؤمنون اخوة) من حيث انهم منتسبون الى أصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال (فأصلحوا بين أخويكم) ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة في التقرير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما أقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم (واتقوا الله) في مخالفة حكمه والاهمال فيه (لعلكم ترحمون) على تقواكم (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) أي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع أو جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب أو الاكتفاء بذكر الرجال على ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فهي على هذا ذات خبر (ولا تلمزوا أنفسكم) أي ولا يغتب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم (ولا تنابزوا بالالقاب) ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى أن الآية نزلت في صفية بنت حيي رضي الله عنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التنابز فسوق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح (ومن لم يتب) عما نهى

(قوله ويؤيده قوله أولئك هم الراشدون) وجه التأييد ان أولئك هم الراشدون بعض من المؤمنين وهم الذين أصابوا طريق التقوى وهو التبيين اذ حمل النبي صلى الله عليه وسلم على الايقاع المذكور ليس برشيد (قوله لكنه لما تضمن معنى التبغيض) وجه التضمين ان قوله تعالى ولكن الله حبب الخ استدلال بحال بغض المؤمنين الكفر كما سبق فيكون معنى كره اليكم بغضكم ولما كان التبغيض متعديا الى المفعول الثاني بالى جعل اليكم مفعولا ثانيا للكره (قوله أو مصدر لغير فعله) عطف على قوله تعليل والمراد انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل أي يكون مفعولا مطلقا بحبب أو الراشدون باعتبار ان كلا منهما فضل (قوله وانما أطلق الفيء على الظل الخ) أي اطلاق الفيء على الظل وعلى الغنيمة باعتبار ان في كل منهما رجوعا (قوله للمبالغة في التقرير والتخصيص) أي المبالغة في تقرير الصلح وتخصيص المتنازعين بهم (قوله وحيث فسر بالقبيلين) أي من حيث فسر القوم بالرجال والنساء هنا كقوم عاد اذ المراد منه اياهما فاما بطريق التغليب أي تغليب الرجال على النساء أو الاكتفاء بذكر الرجال لانهم المتبوعون والنساء توابع لهم ولا يخفى ان الاكتفاء بذكر الرجال لا يناسب تفسير القوم بالقبيلين والاولى أن يقال في مثل قوم عاد وفرعون اما أن

عنه (فأولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن و يتأمل حتى يعلم أنه من أى القبيل فان من الظن مايجب اتباعه كالظن حيث لاقاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى ومايحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومايباح كالظن فى الأمور المعاشية (ان بعض الظن اثم) مستأنف للامر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الاعمال أى يكسرها (ولاتجسسوا) ولاتبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار مافيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الخمس الجواس وفى الحديث لاتتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته (ولايغتب بعضكم بعضا) ولايذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله (فكرهتموه) تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك أوعرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولايمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم أو الاخ وشدده نافع (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) لمن اتقى مانهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة فى التواب لانه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب أو لكثرة المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما ادما وكان أسامة على طعامه فقال ماعندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء عليهما السلام أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز أن يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل بها الاشخاص فمن أراد شرفا فليلتمسه منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام ياأيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله (ان الله عليم) بكم (خبير) ببواطنكم (قالت الاعراب آمنا) نزلت فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة وأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة و يمنون (قل لم تؤمنوا) اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما منتم على الرسول عليه الصلاة والسلام بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة (ولكن قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام

يكون القوم مشتملا للقبيلين بالتغليب أو المقصود من القوم الرجال وترك ذكر النساء لانهن توابع (قوله تقريرا وتحقيقا) أى حملا على الاقرار بعدم المحبة اذ لايقدر أحد أن ينكر عدم المحبة المذكورة (قوله فلا وجه للتفاخر بالنسب) لك أن تقول لايلزم من مجرد ماذكر عدم الافتخار بالنسب لم لايجوز الافتخار بالآباء الافاضل قلنا مقصوده لا وجه للافتخار بمجرد النسب وأما ماذكر فليس بمجرده بل للفضل أو الشرف مدخل (قوله لتعارفوا بالادغام) أى الاصل لتتعارفوا بالتاءين فأدغمت احداهما بالاخرى

(قوله احترازا من النهى الخ) أى لو قيل لا تقولوا آمنا الدل على النهى من أن يقول أحد آمنا فللاحتراز عن النهى عدل الى ماذكر وكذا لم يقل ولكن أسلمتم للاحتراز من الجزم باسلامهم لفقد شرطه شرعا (قوله توقيت) أى تعيين لقولهم أى قولهم أسلمنا فى حال مواطأة قلوبهم ألسنتهم (قوله وفيه اشارة الى مايوجب نفى الايمان عنهم) أى نفى الايمان عمن كانوا على خلاف ذلك وهم الفرقة السابقة (قوله والمجاهدة بالاموال الخ) أى سواء (٩٠) كانت المجاهدة فى الغزو أو غيره (قوله أتخبرونه بقولكم آمنا) فان قيل انهم لم يخبروا الله بل يخبرون الرسول قلنا لعلهم اعتقدوا ان ماعلم الله من حالهم أعلم رسوله به فلما لم يعلمه الرسول كان غير عالم به فيكون اعلامهم الرسول فى الحقيقة اعلام الله على زعمهم الفاسد (قوله لايستتيب موليها ممن نزلها اليه) أى لايطلب الثواب والعوض معطيها ممن ينقل النعمة اليه (قوله أو تضمين الفعل معنى الاعتداد) فيكون المعنى قل لاتمنوا على معتدين اسلامكم أى معتبرين اياه (قوله وفى سياق هذه الآية لطف) أى نكتة لطيفة وهى جعل ماسموه ايمانا اسلاما ونفى كونه ايمانا الخ قال (قوله من المن) وهو عبارة عن رطلين لان المن يقبل الوزن (قوله على مازعمتم مع ان الهداية لاتستلزم الاهتداء) لك أن تقول هذان الكلامان متناقضان فان زعمهم دال على ان الهداية غير حاصلة حقيقة وقوله مع ان الهداية لاتستلزم الاهتداء دال على ان الهداية حاصلة لكنها لاتستلزم الاهتداء والجواب ان قوله على مازعمتم بالنظر الى أحد معنيي الهداية وهى الدلالة الموصلة وأما قوله مع ان الهداية لاتستلزم الاهتداء بالنظر الى المعنى الآخر للهداية وهو الدلالة على مايوصل ﴿سورة ق﴾ (قوله كما مر فى ص الخ) فيكون الجواب ماذكر فى ص من أنه محذوف دل عليه مافى ق من الدلالة على التحدى أو الأمر بالمعادلة أى انه لمعجز الى آخر ماقال (قوله أولا لانه كلام المجيد أولان الخ) فيكون وصف القرآن بالمجيد بالاعتبارين المذكورين مجازا عقليا

أن يقول لاتقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أولم تؤمنوا ولكن أسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) توقيت لقولوا فانه حال من ضميره أى ولكن قولوا أسلمنا ولم تواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لايلتكم من أعمالكم) لا ينقصكم من أجورها (شيأ) من لات يليت ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لايألتكم من الألت وهو لغة غطفان (ان الله غفور) لمافرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ماأوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها (أولئك هم الصادقون) الذين صدقوا فى ادعاء الايمان (قل أتعلمون الله بدينكم) أتخبرونه به بقولكم آمنا (والله يعلم مافى السموات ومافى الارض والله بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية (يمنون عليك أن أسلموا) يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لايستتيب موليها ممن نزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن (قل لاتمنوا على اسلامكم) أى باسلامكم فنصب بنزع الخافض أو تضمين الفعل معنى الاعتداد (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) على مازعمتم مع أن الهداية لاتستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم (ان كنتم صادقين) فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ماقبله أى فلله المنة عليكم وفى سياق الآية لطف وهو أنهم لما سموا ماصدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى أنه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير أن يمن به عليك بل لو صح ادغاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) ماغاب فيهما (والله بصير بما تعملون) فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه مافى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ق والقرآن المجيد) الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن ذى الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب أولانه كلام المجيد أولان من علم معانيه وامتثل أحكامه مجد (بل عجبوا أن جاءهم

(قوله أحدمن جنسهم أومن أبناء جلدتهم) أى أحدمن بنى آدم أوأحدمن قومهم (قوله واضمار ذكرهم ثم اظهاره الخ) قديقال وجه الاشعار ان تكرار ذكرهم لابد له من نكتة ولايناسب فى هذا المقام الاهذا والوجه ان يقال ان وضع الكافرين موضع الضمير اشعار بالتعنت لان هذا شأن الكافرين (قوله أوعطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة الخ) هذا عطف على قوله حكاية لتعجبهم والمعنى لتعجبهم من البعث الذى هو الحشر على البعثة التى

هى بعثة النبى صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا (قوله أومجملا الخ) المراد بالمبهم مالا تعين له بوجه من الوجوه بان ليس فى الكلام مايدل على تعينه بوجه ومن المجمل ما يكون فى السابق مايدل عليه بوجه والمراد من التفسير والتفصيل هو قوله تعالى أئذا متنا وكنا ترابا واعلم انه اذا كان هذا اشارة الى الأمر المخوف مطلقا كان قوله أئذا متنا الخ تفسيرا له وان كان اشارة الى البعث كان قوله تعالى أئذا الخ تفصيلا (قوله لانه أدخل) علة لعطف تعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة قيل انما كان أدخل فى الانكار لان الاجمال ثم التفسير أوقع فى النفس والوجه أن يقال زيادة الانكار لزيادة التقريع والتوبيخ فكانه قيل انهم تعجبوا من فضل النبى صلى الله عليه وسلم عليهم مع كونه واحدا من جنسهم وهذا تعجب فاسد اذ لله تعالى أن يفضل واحدا من قوم على آخرين باعطاء الفضل والكمال له دون غيره فهذا أمر علم بالعقل بل هم تعجبوا من أمر كان ماهو محسوس لهم أشد منه اذ الاعادة أيسر وأسهل من الابداء وحاصل الكلام أن تعجبهم الاول يعلم فساده بالعقل وتعجبهم الثانى يعلم فساده بالحس فالثانى يكون أبلغ اذ الترقى من الأمر العقلى الى الحسى يفيد زيادة الانكار فى الصورة المذكورة بخلاف مالو عكس كما لايخفى على المتأمل (قوله وهو رد لاستبعادهم بازاحة ماهو الاصل فيه) أى هو رد لاستبعادهم البعث بازالة ماهو الاصل فى الاستبعاد ومنشؤه لانهم

منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم أومن أبناء جلدتهم (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمد للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك أوعطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره مابعده أومجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره أوتفصيله لانه أدخل فى الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله تعالى عما هو أهون مما يشاهدون من صنعه (أئذا متنا وكنا ترابا) أى أنرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله (ذلك رجع بعيد) أى بعيد عن الوهم أوالعادة أوالامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع (قد علمنا ماتنقص الارض منهم) ماتأكل من أجسادموتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ماهو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها أومحفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه أوتأكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات أوالنبى صلى الله عليه وسلم أوالقرآن (لما جاءهم) وقرئ لما بالكسر (فهم فى أمر مريج) مضطرب من مرج الخاتم فى أصبعه اذا حرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بلاعمد (وزيناها) بالكواكب (ومالها من فروج) فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق (والارض مددناها) بسطناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج) أى من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الأخير (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات) أشجارا وأثمارا (وحب الحصيد) وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالبر والشعير (والنخل باسقات) طوالا أوحوامل من أبسقت الشاة اذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باسقات لاجل القاف (لها طلع نضيد) منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أوكثرة مافيه من الثمر (رزقا للعباد) علة لانبتنا أومصدر فان الانبات رزق (وأحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) أرضا جدبة لانماء فيها (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ماقبله وما بعده (واخوان لوط) اخذ انه لانهم كانوا أصهاره (وأصحاب الايكة وقوم

تبع) سبق فى الحجر والدخان (كل كذب الرسل) أى كل واحد أو قوم منهم أو جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه (فحق وعيد) فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا بالخلق الاول) أى أفعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار (بل هم فى لبس من خلق جديد) أى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكيرا لخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها فى صوت بكذا أو للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أى ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل فى القرب قال * والموت أدنى لى من الوريد * والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده (اذ يتلقى المتلقيان) مقدر باذكر أو متعلق بأقرب أى هو أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى أى يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ الملكين فانه أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتأكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كقوله * فانى وقيار بها لغريب * وقد يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير (ما يلفظ من قول) ما يرمى به من فيه (الا لديه رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب أو عقاب وفى الحديث كاتب الحسنات أمين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وجاءت سكرة الموت بالحق) لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الامر أو الموعود الحق أو الحق الذى ينبغى أن يكون من الموت أو الجزاء فان الانسان خلق له أو مثل الباء فى تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على أنها الشدة تها اقتضت الزهوق أو لاستعقابها له كأنها جاءت به أو على أن الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت (ذلك) أى الموت (ما كنت منه تحيد) تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) ملكان أحدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله أو ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيآت والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو فى حكم

اسثبعد والبعث بسبب أن من يعيد الميت يحتاج الى أن يعلم أجزاءه المنتشرة المتفرقة فى أقطار الارضين حتى يقدر على جمعها على واحد (قوله أو قوم) بالجر عطف (قوله أفعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة) معناه لم نعجز عن الابداء فلا نعجز عن الاعادة لكن الظاهر ان معنى قوله تعالى أفعيينا بالخلق الاول نعجز بسبب الخلق الاول والبعث فيه عن الخلق الثانى (قوله والاشعار الخ) لان التنكير دال على عدم التعارف (قوله وللانسان ان جعلت مامصدرية والباء للتعدية) فيكون المعنى ونعلم وسوسة نفس الانسان اياه (قوله تجوز بقرب الذات لقرب العلم) فيكون معنى قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وعلمنا أقرب منه من علم من كان أقرب اليه من حبل الوريد (قوله بالوتين) هو عرق من القلب اذا انقطع مات صاحبه (قوله ولعله يكتب الخ) انما اختار ذلك لان كتب ما لا ثواب له ولا عقاب عليه ليس فيه فائدة ظاهرة لكن أكثر المفسرين على انهما يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه فان قيل قد علم من قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان الآية انهما يحفظان أعماله فما فائدة قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلنا يعلم من الآية الثانية ان الملك معد لذلك بخلاف الاولى فانه لا يعلم منها وأيضا يعلم صريحا من الآية الثانية ان الملك يضبط كل لفظ له ولا يعلم من الاولى (قوله المعرفة بتحقيق قدرته وعلمه عز وجل) اما القدرة فمن قوله تعالى أفلم ينظروا الى السماء فوقهم الخ الآيات وأما العلم فمن قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم (قوله لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة) لان هذا الحكم عام فهو فى حكم المحلى بلام الاستغراق

المعرفة (لقد كنت فى غفلة من هذا) على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذما من أحد الا وله اشتغال ما عن الآخرة أو للكافر (فكشفنا عنك غطاءك) الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام والمعنى كنت فى غفلة من أمر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى مالا يرون وتعلم مالا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس (وقال قرينه) قال الملك الموكل عليه (هذا ما لدىّ عتيد) هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدى أو الشيطان الذى قيض له هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها أو خبر بعد خبر أو خبر محذوف (ألقيا فى جهنم كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله

فان تزجراني يا ابن عفان أنزجر * وان تدعاني أحم عرضا ممنعا

أو الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ القين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى أخيه عنه (معتد) متعد (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره (فألقياه فى العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) أى الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه (ربنا ما أطغيته) كان الكافر قال هو أطغانى فقال قرينه ربنا ما أطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ماقبلها للدلالة على الجمع بين مفهومهما فى الحصول أعنى مجىء كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان فى ضلال بعيد) فأعنته عليه فان اغواء الشياطين انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى (قال) أى الله تعالى (لا تختصموا لدىّ) أى فى موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهى أى لا تختصموا عالمين بأنى أوعدتكم والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم ويجوز أن يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله (ما يبدل القول لدىّ) أى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا أن أبدل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد (وما أنا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس لى تعذيبه (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب جىء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تملأ لقوله تعالى لاملأن جهنم أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ أو أنها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثرة لهم والطالبة لزيادتهم وقرأ نافع وأبو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد أو مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر أو ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف (وأزلفت الجنة للمتقين) قربت لهم (غير بعيد) مكانا غير بعيد ويجوز أن يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف أى شيأ غير بعيد أو على زنة المصدر أو لان الجنة بمعنى البستان (هذا ما توعدون) على اضمار القول والاشارة الى الثواب أو مصدر أزلفت وقرأ ابن كثير بالياء (لكل

الغفلة انكار البعث بل عدم التوجه اليه ولو فى بعض الاحوال (قوله أو خبر بعد خبر أو خبر محذوف) يعنى لدى خبر أول وعتيد خبر آخر بعده أو لدى خبر وعتيد خبر محذوف والتقدير هذا ما لدى هو عتيد (قوله ويؤيده الخ) أى يؤيد أن يكون ألقيا خطابا لواحد أنه قرئ ألقين بصيغة الواحد (قوله ويجوز أن يكون بالوعيد حالا الخ) والمعنى وقد قدمت اليكم مخبرا بالوعيد ما يبدل القول لدى (قوله فان دلائل العفو الخ) أى دلائل العفو مشتملة على تخصيص الوعيد مثلا اذا دل دليل على عقوبة من عمل عملا قبيحا فهو فى التقدير مخصص بان العقوبة واقعة اذا لم يعف الله عنه واذا كان معنى الوعيد ذلك فاذا عفا عنه لسبب لم يبدل القول لدى (قوله فيكون ذلك اشارة اليه الخ) أى ذلك فى قوله ذلك يوم الوعيد اشارة الى اليوم لان المعنى ونفخ فى الصور يوم نقول لجهنم هل امتلأت ذلك يوم الوعيد وعلى هذا لا حاجة الى تقدير مضاف فى ذلك يوم الوعيد لان المعنى ذلك اليوم أى الذى يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت يوم الوعيد هذا اذا كان ذلك اشارة الى اليوم أما اذا لم يكن كذلك كان صحة الكلام محتاجة الى تقدير مضاف بان يقال التقدير يوم ذلك يوم الوعيد أى يوم نفخ الصور يوم الوعيد (قوله وتذكيره الخ) يعنى ينبغى أن يقال غير بعيدة حتى يطابق ذا الحال فتذكيره لاحد الأمور المذكورة

أوّاب) رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار (حفيظ) حافظ لحدوده (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أوّاب ولا يجوز أن يكون فى حكمه لان من لا يوصف به أو مبتدأ خبره (ادخلوها) على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع و بالغيب حال من الفاعل أو المفعول أو صفة لمصدر أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب أو العقاب بعد غيب أو هو غائب عن الاعين لا يراه أحد وتخصيص الرحمن للاشعار بأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه أو بأنهم يخشون مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله (بسلام) سالمين من العذاب وزوال النعم أو مسلما عليكم من الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن هم أشد منهم بطشا) قوّة كعاد وثمود وفرعون (فنقبوا فى البلاد) فخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها أو جالوا فى الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثانى لمجرد التعقيب وأصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه (هل من محيص) أى لهم من الله أو من الموت وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة أى ساروا فى أسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده أنه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أى أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو أخفاف مراكبهم (ان فى ذلك) فيما ذكر فى هذه السورة (لذكرى) لتذكرة (لمن كان له قلب) أى قلب واع يتفكر فى حقائقه (أو ألقى السمع) أى أصغى لاستماعه (وهو شهيد) حاضر بذهنه ليفهم معانيه أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفى تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) مر تفسيره مرارا (وما مسنا من لغوب) من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش (فاصبر على ما يقولون) ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما أنعم عليك من اصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين (ومن الليل فسبحه) أى وسبحه بعض الليل (وأدبار السجود) وأعقاب الصلوات جمع دبر من أدبر وقرأ الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر من أدبرت الصلاة اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء (واستمع) لما أخبرك به من أحوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به (يوم ينادى المنادى) اسرافيل أو جبريل عليهما السلام فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله فى الاعادة نظير كن فى الابداء و يوم نصب بما دل عليه يوم الخروج (يوم يسمعون الصيحة) بدل منه والصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور وهو من أسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد (انا نحن نحيي ونميت) فى الدنيا (والينا المصير) للجزاء فى الآخرة

(قوله ولا يجوز أن يكون فى حكمه الخ) أى لا يجوز أن يكون من خشى فى حكم أواب حتى يكون صفة لموصوف لان من لا يصح أن يكون صفة (قوله والفاء على الاول للتسبب الخ) اذا فسر نقبوا بتصرفوا كان الفاء فى فنقبوا للتسبب لان التصرف فى البلاد سبب القوة واذا فسر بالجولان فى الارض حذر الموت كان الفاء لمجرد التعقيب (قوله فى بلاد القرون) أى فى بلاد القرون الماضية (قوله بما يدل عليه يوم الخروج) فيكون المعنى يخرجون من القبور يوم ينادى المنادى

(يوم تشقق) تتشقق وقرئ تنشق وقرأ عاصم وحمزة والكسائى وخلف وأبو عمر بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بعث وجمع (علينا يسير) هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال الله تعالى ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (نحن أعلم بما يقولون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (وما أنت عليهم بجبار) بمسلط تقسرهم على الايمان أو تفعل بهم ما تريد وانما أنت داع (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فانه لا ينتفع به غيره عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته والله أعلم

﴿سورة والذاريات﴾ مكية وآيها ستون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والذاريات ذروا) يعنى الرياح تذرو التراب وغيره أو النساء الولود فانهن بذرين الاولاد أو الاسباب التى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ أبو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) فالسحب الحاملة للامطار أو الرياح الحاملة للسحاب أو النساء الحوامل أو أسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسرا) فالسفن الجارية فى البحر سهلا أو الرياح الجارية فى مهابها أو الكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف أى جريا ذا يسر (فالمقسمات أمرا) الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها أو مايعمهم وغيرهم من أسباب القسمة أو الرياح يقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار مابينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو والابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به باسطة له الى حيث أمرت به فتقسم المطر (انما توعدون لصادق وان الدين لواقع) جواب القسم كأنه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث للجزاء الموعود وما موصولة أو مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل (والسماء ذات الحبك) ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب أو المعقولة التى يسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف أو النجوم فان لها طرائق أو أنها تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشى جمع حبيكة كطريقة وطرق أو حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق (انكم لفى قول مختلف) فى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون أو فى القرآن أو القيامة أو أمر الديانة ولعل النكتة فى هذا القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها (يؤفك عنه من أفك) يصرف وعنه الضمير للرسول أو القرآن أو الايمان من صرف اذ لا صرف أشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة اليه أو يصرف من صرف فى علم الله وقضائه و يجوز أن يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من أفك عن القول المختلف و بسببه كقوله * ينهون عن أكل وعن شرب * أى يصدرتناهيهم عنهما و بسببهما وقرئ أفك بالفتح أى من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان (قتل الخراصون) الكذابون من أصحاب القول المختلف وأصله الدعاء بالقتل أجرى مجرى اللعن (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون أيان يوم الدين) أى فيقولون متى يوم الجزاء أى وقوعه وقرئ ايان بالكسر (يوم هم على النار يفتنون) يحرقون جواب للسؤال أى يقع

يوم هم على النار يفتنون أو هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه أنه قرئ بالرفع (ذوقوا فتنتكم) أى مقولا لهم هذا القول (هذا الذى كنتم به تستعجلون) هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم والذى صفته (ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لما أعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضى متلقى بالقبول (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) تفسير لاحسانهم وما مزيدة أى يهجعون فى طائفة من الليل أو يهجعون هجوعا قليلا أو مصدرية أو موصولة أى فى قليل من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه ولا يجوز أن تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت السبات والهجوع الذى هو الفرار من النوم وزيادة ما (وبالاسحار هم يستغفرون) أى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم أحقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه (وفى أموالهم حق) نصيب يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس (للسائل والمحروم) للمستجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة (وفى الارض آيات للموقنين) أى فيها دلائل من أنواع المعادن والحيوانات أو وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف أجزائها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته (وفى أنفسكم) أى وفى أنفسكم آيات اذما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) أسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات (وما توعدون) من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة أو لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستأنف خبره (فورب السماء والارض انه لحق) وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعد (مثل ما أنكم تنطقون) أى مثل نطقكم كما أنه لا شك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى أن لا تشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن فى لحق أو الوصف لمصدر محذوف أى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وأن بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائى وأبى بكر بالرفع (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه أوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف (المكرمين) أى مكرمين عند الله أو عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته (اذ دخلوا عليه) ظرف للحديث أو الضيف أو المكرمين (فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته أحسن من تحيتهم وقرئ سلم فوعين وقرأ حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد (قوم منكرون) أى أنتم قوم منكرون وانما أنكرهم لانه ظن أنهم بنو آدم ولم يعرفهم أو لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فان من أدب المضيف أن يبادر بالقرى حذرا من أن يكفه الضيف أو يصير منتظرا (فجاء بعجل سمين)

(قوله وفتح يوم الخ) أى اليوم على هذا التفسير خبر المبتدا الذى هو وفتحه لما ذكر ويؤيد خبريته انه قرئ بالرفع (قوله مفعولا لهم) هذا القول حال من ضمير يفتنون (قوله وزيادة ما) لان الحرف الزائد يوجب التأكيد (قوله وتنبيه على انه أوحى اليه) لان هل أتاك نفى للاتيان فدل على ان علمه به لا يكون الا بسبب انه تعالى ذكره فى القرآن (قوله وهو كالتعرف عنهم) أى طلب المعرفة عنهم أى المقصود من قوله قوم منكرون عرفونى حالكم

لانه كان عامة ماله البقر (فقربه اليهم) بأن وضعه بين أيديهم (قال ألا تأكلون) أى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله أول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما رأى اعراضهم (فأوجس منهم خيفة) فأضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه أنهم جاؤه لشر وقيل وقع فى نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انا رسل الله قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بغلام) هو اسحق عليه السلام (عليم) يكمل علمه اذا بلغ (فأقبلت امرأته) سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم (فى صرة) فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال أو المفعول ان أول فأقبلت بأخذت (فصكت وجهها) فلطمت بأطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى بشرنا به (قال ربك) وانما نخبرك به عنه (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله محكما (قال فما خطبكم أيها المرسلون) لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) يريد السجيل فانه طين متحجر (مسومة عند ربك) مرسلة من أسمت الماشية أو معلمة من السومة وهى العلامة (للمسرفين) المجاوزين الحد فى الفجور (فأخرجنا من كان فيها) فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة (من المؤمنين) ممن آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) غير أهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة (وتركنا فيها آية) علامة (للذين يخافون العذاب الاليم) فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار أو صخر منضود فيها أو ماء أسود منتن (وفى موسى) عطف على وفى الارض أو تركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) هو معجزاته كالعصا واليد (فتولى بركنه) فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه أو فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون) كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد فى أنه حصل ذلك باختياره وسعيه أو بغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) فأغرقناهم فى البحر (وهو مليم) آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى فأخذناه (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) سماها عقيما لانها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور أو الجنوب أو النكباء (ما تذر من شئ أتت) مرت (عليه الا جعلته كالرميم) كالرمادمن الرم وهو البلى والتفتت (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فأخذتهم الصاعقة) أى العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائى الصعقة وهى المرة من الصعق (وهم ينظرون) اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار (فما استطاعوا من قيام) كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين منه (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو اذكر ويجوز أن يكون عطفا على محل فى عاد وبؤيده قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائى بالجر (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان (والسماء بنيناها بأيد) بقوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق أو لموسعون السماء أو ما

(قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين الخ) أى بعد ارادة اهلاكهم أخرجنا من كان فيها من المؤمنين ثم بعد ارادة الاهلاك فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (قوله من أن يكفه الضيف) اى يمنع الضيف المضيق عن الضيافة (قوله وتردد الخ) فان كان باختياره فهو ساحر وان كان بغيره فهو مجنون وانما حمل كلام فرعون على ذلك لان الجزم بنسبة موسى الى الجنون بمعنى عدم العقل مع ظهور تلك الخوارق مما لا يفوه به عاقل (قوله أن يكون عطفا على محل فى عاد) لان فى عاد مفعول به فيكون فى محل النصب ويكون الفعل المقدر عليه مثل أغرقنا فيكون من قبيل ما ذكر من قوله * علفتها تبنا وماء باردا *

بينها وبين الارض أو الرزق (والارض فرشناها) مهدناها لتستقروا عليها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) من الاجناس (خلقنا زوجين) نوعين (لعلكم تذكرون) فتعلمون أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام (ففروا الى الله) من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة (انى لكم منه) أى من عذابه المعد لمن أشرك أو عصى (نذير مبين) بين كونه منذرا من الله بالمعجزات أو مبين ما يجب أن يحذر عنه (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) افراد لاعظم ما يجب أن يفر منه (انى لكم منه نذير مبين) تكرير للتأكيد أو الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك (كذلك) أى الأمر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا أو مجنونا وقوله (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) كالتفسير له ولا يجوز نصبه بأنى أو ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها (أتواصوا به) أى كأن الاولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا (بل هم قوم طاغون) اضراب عن أن التواصى جامعهم لتباعد أيامهم الى أن الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد (فما أنت بملوم) على الاعراض بعد ما بذلت جهدك فى البلاغ (وذكر) ولا تدع التذكير والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) من قدر الله ايمانه أو من آمن فانه يزداد بها بصيرة (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع أن الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة أو ليكونوا عبادا لى (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) أى ما أريد أن أصرفكم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما أنتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد أن يبين أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل أن يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا (ان الله هو الرزاق) الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى أنا الرزاق (ذو القوة المتين) شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة (فان للذين ظلموا ذنوبا) أى للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) مثل نصيب نظرائهم من الأمم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) من يوم القيامة أو يوم بدر * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

﴿ سورة والطور مكية وآيها تسع أو ثمان وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والطور) يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى والطور الجبل بالسريانية أو ما طار من أوج الايجاد الى حضيض المواد أو من عالم الغيب الى عالم الشهادة (وكتاب مسطور) مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ أو ألواح موسى عليه السلام أو فى قلوب أوليائه من المعارف والحكم أو ما تكتبه الحفظة (فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بأنهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس (والبيت المعمور) يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج

(قوله ولا يجوز نصبه بأنى أو ما يفسره لان ما بعد ما النافية الخ) هذا الدليل فى الصورة الاولى وهى ما اذا كان نصبه بأنى وأما فى الصورة الثانية ففيه نظر اذ لا يجب فيما يفسره تقدم كذلك على ما ولذا لم يذكر الصورة الثانية صاحب الكشاف واقتصر على الاولى (قوله مع أن الدليل يمنعه) لان معنى ظاهر الآية ان المراد من خلقهم العبادة وخلاف مراد الله تعالى محال (قوله لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم الخ) لان ظاهره ان المراد من خلق كثير من الجن والانس دخولهم فى جهنم هذا مناف لكون المراد من خلقهم العبادة وانما قال لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا الخ لانه يمكن الجمع بجعل اللام لجهنم للعاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا (قوله كالمخلوقين له) نظر الى التفسير الذى ذكر أولا بقوله لما خلقهم

﴿سورة الطور﴾

والمجاورين أو الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة أو قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) أى المملوء وهو المحيط أو الموقد من قوله واذا البحار سجرت روى أنه تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا يسجر بها نار جهنم أو المختلط من السجير وهو الخليط (ان عذاب ربك لواقع) لنازل (ماله من دافع) يدفعه ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك أنها أمور تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وصدق أخباره وضبطه أعمال العباد للمجازاة (يوم تمور السماء موراً) تضطرب والمور تردد فى المجىء والذهاب وقيل تحرك فى تموج ويوم ظرف (وتسير الجبال سيرا) أى تسير عن وجه الارض فتصير هباء (فويل يومئذ للمكذبين) أى اذا وقع ذلك فويل لهم (الذين هم فى خوض يلعبون) أى فى الخوض فى الباطل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) يدفعون اليها دفعا بعنف وذلك بان تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر محكيه (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى يقال لهم ذلك (أفسحر هذا) أى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفهذا المصداق أيضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) هذا أيضا كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا ما يدل عليه وهو تقريعهم أو أم سدت أبصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت أبصارنا (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا) أى ادخلوها على أى وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها (سواء عليكم) أى الامران الصبر وعدمه (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) فى أية جنات وأى نعيم أو فى جنات ونعيم مخصوصة بهم (فاكهين) ناعمين متلذذين (بما آتاهم ربهم) وقرئ فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية أو فى جنات أو حال باضمار قد من المستكن فى الظرف أو الحال أو من فاعل آتى أو مفعوله أو منهما (كلوا واشربوا هنيئا) أى أكلا وشربا هنيأ أو طعاما وشرابا هنيأ أو هو الذى لا تنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه أو بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيأ والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون أى جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق أو للسببية اذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن أو لما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف (والذين آمنوا) على حور أى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله (واتبعتهم ذريتهم بايمان) اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر و يعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ أبو عمرو واتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير أو الذرية أو منهما وتنكيره للتعظيم أو الاشعار بانه يكفى للالحاق المتابعة فى أصل الايمان (ألحقنا بهم ذريتهم) فى دخول الجنة أو الدرجة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم (وما ألتناهم) وما نقصناهم (من عملهم من شئ) بهذا الالحاق فانه كان يحتمل أن يكون بنقص مرتبة الآباء أو باعطاء الابناء بعض مثوباتهم ويحتمل أن يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد

(قوله أفهذا المصداق أيضا سحر) أى هذا الذى يوجب صدق الوحى الذى قاله النبى فى الدنيا لكم سحر أيضا (قوله والظرف لغو) أى اذا كان فاكهون خبرا لان كان فى جنات متعلقا بفاكهين فيكون ظرفا لغوا وأما اذا كان فى جنات خبرا لان كان التقديران المتقين كائنون فى جنات فيكون ظرفا مستقرا ان جعل ما مصدرية اذ لو كانت موصولة لزم أن يكون التقدير فاكهين بالذى أتاهم ووقاهم ولا معنى له (قوله أو فى جنات) أى عطف على فى جنات فيكون المعنى ان المتقين ووقاهم ربهم (قوله اعتراض للتعليل) أى لتعليل الحاق ذرية المؤمنين بهم (قوله والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير) فى كونه تصريحا نظر اذ لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الذريات جمع الجمع (قوله أو الاشعار الخ) لك أن تقول لو عرف باللام لكان مشعرا بما ذكر والظاهر أن المراد منه حقيقة الايمان (قوله يتعاطون هم الخ) انما فسره لان التنازع بمعنى التخاصم لا يقع بينهم

(كل امرئ بما كسب رهين) بعمله مرهون عند الله تعالى فان عمل صالحا فكه والا أهلكه (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أى وزدناهم وقتا بعد وقت مايشتهون من أنواع التنعم (يتنازعون فيها) يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب (كأسا) خمرا سماها باسم محلها ولذلك أنث الضمير فى قوله (لالغو فيها ولا تأثيم) أى لايتكلمون بلغو الحديث فى أثناء شربها ولا يفعلون مايؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا وذلك مثل قوله تعالى لافيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح (ويطوف عليهم) أى بالكأس (غلمان لهم) أى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله (قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة والتوفيق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد (أنا كنا من قبل) من قبل ذلك فى الدنيا (ندعوه) نعبده أو نسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن وقرأ نافع والكسائى أنه بالفتح (الرحيم) الكثير الرحمة (فذكر) فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم (فما أنت بنعمة ربك) بحمد الله وانعامه (بكاهن ولا مجنون) كما يقولون (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) مايقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وأمر الاحلام به مجاز عن أدائها اليه (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم (أم يقولون تقوّله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فيرمونه بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى ويجوز أن يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد (أم خلقوا من غير شئ) أم أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه أو من أجل لاشئ من عبادة ومجازاة (أم هم الخالقون) يؤيد الاول فان معناه أم خلقوا أنفسهم ولذلك عقبه بقوله (أم خلقوا السموات والارض) وأم فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (بل لا يوقنون) اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته (أم عندهم خزائن ربك) خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته (أم هم المصيطرون) الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاى والباقون بالصاد خالصة (أم لهم سلم) مرتقى الى السماء (يستمعون فيه) صاعدين فيه الى كلام الملائكة ومايوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه (أم له البنات ولكم البنون) فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا أن يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب (أم تسألهم أجرا) على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم) من التزام غرم (مثقلون) محملون الثقل فلذلك زهدوا فى اتباعك (أم عندهم الغيب) اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات (فهم

(قوله أولادهم الذين سبقوهم) أى سبقوهم بالموت ودخول الجنة (قوله أنه بالفتح) فيكون المعنى لانه البر الرحيم

يكتبون) منه (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم (فالذين كفروا) يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على أنه الموجب للحكم المذكور (هم المكيدون) هم الذين يحيق بهم الكيد أو يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (أم لهم اله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون) عن اشراكهم أو شركة ما يشركونه به (وان يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه أو أصعقه (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ) أى شيأ من الاغناء فى رد العذاب (ولا هم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (وان للذين ظلموا) يحتمل العموم والخصوص (عذابا دون ذلك) أى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة فى الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وابقائك فى عنائهم (فانك بأعيننا) فى حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من أى مكان قمت أو من منامك أو الى الصلاة (ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه أشق على النفس وأبعد من الرياء ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل (وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح أى فى أعقابها اذا غربت أو خفيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته

﴿سورة والنجم مكية وآيها احدى أو ثنتان وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والنجم اذا هوى) أقسم بجنس النجوم أو الثريا فانه غلب فيها اذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد أو بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل أو النبات اذا سقط على الارض أو اذا نما وارتفع على قوله (ما ضل صاحبكم) ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش (وما غوى) وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ما ينسبون اليه (وما ينطق عن الهوى) وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى (ان هو) ما القرآن أو الذى ينطق به (الا وحى يوحى) أى الا وحى يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له وأجيب عنه بانه اذا أوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى (علمه شديد القوى) ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق روى أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين (ذو مرة) حصافة فى عقله ورأيه (فاستوى) فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها قيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر (وهو بالافق الاعلى) فى أفق السماء والضمير لجبريل (ثم دنا) من النبى عليه الصلاة والسلام (فتدلى) فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة ويقال دلى رجليه من السرير وأدلى دلوه والدوالى

(قوله يحتمل العموم والخصوص) أى يحتمل ان يكون المراد من الذين ظلموا مطلق الظالمين ويحتمل أن يكون المراد كفار قريش

﴿سورة النجم﴾

(قوله اذا غرب الخ) لا يخفى أن غروب النجم وطلوعه دليل على كمال قدرة الخالق اذ هو دال على أن له التصرف فى السموات فبارادته تغرب الكواكب وتطلع فبهذا الاعتبار أقسم به تعالى (قوله واحتج به الخ) أى احتج به من جعل هو راجعا الى ما ينطق به لانه اذا كان كل ما نطق به وحيا لا يكون للاجتهاد مجال وقوله يكون بالوحى لا الوحى أى يكون ما يسند الى الاجتهاد بسبب الوحى لا نفس الوحى

الثمر المعلق (فكان) جبريل عليه السلام كقولك هو مني معقد الازار أو المسافة بينهما (قاب قوسين) مقدارهما (أو أدنى) على تقديركم كقوله أو يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحى اليه بنفي البعد الملابس (فاوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها (ما أوحى) جبريل عليه السلام وفيه تفخيم للموحى به أو الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس (ما كذب الفؤاد ما رأى) ما رأى ببصره من صورة جبريل عليه السلام أو الله تعالى أي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره أو ما رآه بقلبه والمعنى انه لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرأ هشام ما كذب أي صدقه ولم يشك فيه (أفتمارونه على ما يرى) أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب أفتمرونه أي أفتغلبونه في المراء من ماريته فريته أو أفتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى التضمين الفعل معنى الغلبة فان الماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (ولقد رآه نزلة أخرى) مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت أيضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة (عند سدرة المنتهى) التي ينتهي اليها أعمال الخلائق وعلمهم أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا أنها في السماء السابعة (عندها جنة المأوى) الجنة التي يأوي اليها المتقون أو أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها (ما زاغ البصر) ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها اللعنية بما رأى ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف أي شيأ من آيات ربه أو من مزيدة (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي وروي س عن يعقوب اللات بالتشديد على أنه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى بالتشديد سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وأصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة وهي مفعلة من النوء فانهم كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه أو الاخرى من التأخر في الرتبة (ألكم الذكر وله الانثى) انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته أو هيا كل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله أفرأيتم (تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء

(قوله كقوله على ظهرها) وهو في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة فانه لم يجر ذكر الارض لكنه معلوم (قوله وفيه تفخيم للموحى به) أي عدم بيان الموحى به تفخيم له وفيه ايماء بأنه لعظمته لم يقدر على تبيينه (قوله فان الامور القدسية الخ) فان الامر القدسي اذا أدركه القلب يمثل في البصر صورة مناسبة له كما يمثل جبريل للانبياء (قوله من مرى الناقة) يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها (قوله لانهم يجتمعون تحت ظلها) أي العرب يجتمعون في ظل السدرة اذ لا شجرة لهم في البادية ظلها كظل السدرة فوجه الشبه اجتماع الاشياء فكما أن السدرة تجمع العرب كذلك تجتمع الاعمال الصالحة عدة وما ينزل من فوق عند سدرة المنتهى (قوله المعنية بما رأى) أي قيل المقصود بما رأى في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى الآيات والعجائب (قوله ويجوز أن يكون الكبرى الخ) غرضه ان الكبرى لا يجب أن تكون صفة للآيات بل يحتمل أن يكون المفعول محذوفا أو يكون من مزيدة ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا ومن آيات ربه بيانا لها

كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم تأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على أنه مصدر نعت به (ان هى الأسماء) الضمير للاصنام أى ماهى باعتبار الالوهية الأسماء تطلقونها عليها لانهم يقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية أو للصفة التى تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء أو للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين (سميتموها) سميتم بها (أنتم وآباؤكم) بهواكم (ما أنزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الا توهم أن ماهم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا (وما تهوى الانفس) وما تشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول أو الكتاب فتركوه (أم للانسان ما تمنى) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفى طمعهم فى شفاعة الآلهة وقولهم لئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقولهم لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوهما (فلله الآخرة والاولى) يعطى منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد أن يتحكم عليه فى شئ منهما (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ) وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم شيأ ولا تنفع (الا من بعد أن يأذن الله) فى الشفاعة (لمن يشاء) من الملائكة أن يشفع أو من الناس أن يشفع له (ويرضى) ويراه أهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أى كل واحد منهم (تسمية الانثى) بان يسموه بنتا (وما لهم به من علم) أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيأ) فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة اليها (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا) فأعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله وأعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل (ذلك) أى أمر الدنيا أو كونها شهية (مبلغهم من العلم) لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض أى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت (ولله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء أو بمثله أو بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله أى خلق العالم وسوّاه للجزاء أو ميز الضال عن المهتدى وحفظ أحوالهم لذلك (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بأحسن من أعمالهم أو بسبب الاعمال الحسنى (الذين يجتنبون كبائر الاثم) ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقيل ما أوجب الحد وقرأ حمزة والكسائى وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس أو الشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا (الا اللمم) الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة أو المدح أو الرفع على انه خبر محذوف (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر أو له أن يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى (هو أعلم بكم) أعلم بأحوالكم منكم (اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم) علم أحوالكم ومصارف أموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحين صوركم فى الارحام (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير أو

(قوله فان فعلى بالكسر الخ) أى انما قيل ان أصله فعلى بالضم وكسر فاؤه لما ذكر وما قيل انه فى الأصل بكسر الفاء لان فعلى بالكسر لم يأت وصفا فى لغة العرب (قوله أى ماهى باعتبار الالوهية الخ) أى ما الالوهية الأسماء وفيه انه راجع الى المعنى الثانى فالاولى الاقتصار على الوجهين الأخيرين

بالطهارة عن المعاصي والرذائل (هو أعلم بمن اتقى) فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام (أفرأيت الذي تولى) عن اتباع الحق والثبات عليه (وأعطى قليلا وأكدى) وقطع العطاء من قولهم أكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على أنها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله تعالى فضمن أن يتحمل عنه العقاب ان أعطاه بعض ماله فارتد وأعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي (أعنده علم الغيب فهو يرى) يعلم أن صاحبه يتحمل عنه (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى) وفروا تم ما التزمه أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمروذ حتى أتاه جبريل عليه السلام حين ألقي في النار فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وذبح الولد وأنه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه كرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى عليه الصلاة والسلام لان صحفه وهي التوراة كانت أشهر وأكبر عندهم (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أن هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأنه قيل ما في صحفهما فأجاب به والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره (وأن ليس للانسان الا ما سعى) الا سعيه أي كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه (وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) أي يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون مصدرا وأن تكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله (وان الى ربك المنتهى) انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على أنه منقطع مما في الصحف وكذلك ما بعده (وانه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا) لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله تعالى على سبيل العادة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى اذا قدر (وأن عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بالمد وهو أيضا مصدر نشأ (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها أشف الاموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية (وأنه هو رب الشعرى) يعني العبور وهي أشد ضياء من الغميصاء عبدها أبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام وان وافق أبا كبشة في مخالفتهم خالفه أيضا في عبادتها (وأنه أهلك عادا الاولى) القدماء لانهم أولى الامم هلاكا بعد قوم نوح عليه السلام وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا الولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرأ نافع وأبو عمرو عادا لولى بضم اللام بحركة الهمزة وبادغام التنوين وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو (وثمودا) عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الالف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف (فما أبقى) الفريقين (وقوم نوح) أيضا معطوف عليه (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت بأهلها أي

(قوله وقرئ بالكسر على انه منقطع الخ) يعني اذا قرئ ان بالكسر لا يدل على ان الى ربك المنتهى وما بعده داخل فيما في الصحف (قوله فان القاتل ينقض البنية الخ) جواب سؤال وهو ان القاتل يميت المقتول بسبب نقض بنيته فلا تنحصر الاماتة في الله تعالى كما هو المفهوم من انه أمات وأحيا وأجاب بأن القاتل سبب لنقض البنية وتفريق أجزائها وعنده يحصل الموت بفعل الله تعالى على سبيل العادة (قوله أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية) عطف على وأعطى القنية) فيكون على هذا معنى أقنى أرضى وتحقيقه أي توضيح معنى أقنى على هذا انه بمعنى جعل الرضا للراضي قنية أي مدخرا فكما ان المقتني يدخر شرائف الأموال كذلك يحصل للفقير الشاكر الرضا وصبره (قوله لان ما بعدها لا يعمل فيما) أي لا يعمل فما أبقى في ثمود اما لاجل ان الفاء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها واما لاجل ان ما النافية يمنع العمل فيها لصدارتها أي لصدارة ما

انقلبت وهى قرى قوم لوط (أهوى) بعد أن رفعها فقلبها (فغشاها ما غشى) فيه تهويل وتعميم لما أصابهم (فبأى آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب للرسول أو لكل أحد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما فى نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين (هذا نذير من النذر الاولى) أى هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة أو هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين (أزفت الآزفة) دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها أو الآن بتأخيرها الا الله أو ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه أو ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية (أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) تحزنا على ما فرطتم (وأنتم سامدون) لاهون أو مستكبرون من سمد البعير فى مسيره اذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء (فاسجدوا لله واعبدوا) أى واعبدوه دون الآلهة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجد به بمكة

﴿سورة القمر﴾ مكية وآيها خمس وخمسون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقتربت الساعة وانشق القمر) روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول أنه قرئ وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله (وان يروا آية يعرضوا) عن تأملها والايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك أو محكم من المرة يقال أمررته فاستمر اذا أحكمته فاستحكم أو مستبشع من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته أو مار ذاهب لا يبقى (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضى للاشعار بانهما من عادتهم القديمة (وكل أمر مستقر) منته الى غاية من خذلان أو نصر فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح أى ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل معطوف على الساعة (ولقد جاءهم) فى القرآن (من الانباء) أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة (ما فيه مزدجر) ازدجار من تعذيب أو وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الذال والدال والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها (حكمة بالغة) غايتها الاخلال فيها وهى بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة أو مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى أو استفهام انكار أى فاى غناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو المنذر منه أو مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك بان الانذار لا يغنى فيهم (يوم يدع الداع) اسرافيل ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالامر فى قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون أو باضمار اذكر (الى شئ نكر) فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى أنكر (خاشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث) أى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا أبصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقى التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر

(قوله على كشفها) أى رفعها (قوله أو الآن بتأخيرها الا الله) عطف على اذا وقعت أى ليس لها الآن كاشفة أى مؤخرة لها الى وقتها المعين الا الله فالكشف فيه بمعنى الرفع وأما قوله أو ليس لها كاشفة لوقتها الا الله فالكشف فيه بمعنى الايضاح

﴿سورة القمر﴾

(قوله وذكرهما بلفظ الماضى الخ) هو أن يقال وتكذبوا وتتبعوا لكونهما معطوفين على يقولوا لكنهما ذكرا بلفظ الماضى (قوله وقرئ بالفتح) أى بفتح القاف فيكون مصدرا (قوله وبالكسر والجر) أى قرئ بكسر القاف وجر الراء (قوله ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر الخ) أى يجوز أن لا يكون المقصود بالدعاء حقيقته بل المراد تمثيل حاله فى التوجه الى المبعوثين وبعثهم من القبور وسرعة انبعاثهم منها بحال الداعى المطاع واقبال المطيعين اليه

وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا (كأنهم جراد منتشر) في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة (مهطعين الى الداع) مسرعين مادى أعناقهم اليه أو ناظرين اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب (كذبت قبلهم قوم نوح) قبل قومك (فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبوه بعد ما كذبوا الرسل (وقالوا مجنون) هو مجنون (وازدجر) وزجر عن التبليغ بأنواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته (فدعا ربه أنى) بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول (مغلوب) غلبنى قومى (فانتصر) فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة وأصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الارض وقرئ الما آن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله تعالى فى الازل من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدرما أنزل على قدرما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح) ذات أخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدى مؤداها (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أى محفوظة بحفظنا (جزاء لمن كان كفر) أى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله تعالى ورحمة على أمته ويجوز أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر أى للكافرين (ولقد تركناها) أى السفينة أو الفعلة (آية) يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر (فهل من مدكر) معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع (ولقد يسرنا القرآن) سهلناه أو هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها (للذكر) للاذكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر أو للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ (فهل من مدكر) متعظ (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) وانذارى أى لهم بالعذاب قبل نزوله أو لمن بعدهم فى تعذيبهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردا أو شديد الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) أى استمر شؤمه أو استمر عليهم حتى أهلكهم أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم أحدا أو اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم روى أنهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (كانهم أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت أجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله أعجاز نخل خاوية للمعنى (فكيف كان عذابى ونذر) كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال أيضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) بالانذارات والمواعظ أو الرسل (فقالوا أبشرا منا) من جنسنا أو من جملتنا الافضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ

(قوله لانه ليس على صيغة تشبه الفعل) به يدخل ما يدل على معنى الجمع والتنبيه عليه كما ان القائلين كذلك بخلاف خشعا فانه لا يحسن يقدمون غلمانهم لا يحسن قائمون غلمانهم (قوله وهو تفصيل بعد اجمال) لان تكذيب قوم نوح يحتمل أن يكون تكذيبهم لنوح ولغيره لكن كذبوا عبدنا تفصيل وتوضيح لهذا المجمل (قوله فقد روى الخ) أى يدل على أن هذا الدعاء عند الياس قوله فى شأنهم اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون اذ ما ذكر يدل على غاية شفقته لهم (قوله وهو مبالغة الخ) أى فتح أبواب السماء تمثيل لكثرة الامطار لان بفتح الابواب يسهل خروج الخارجين ويكثر (قوله فغير للمبالغة) لانه بعد التغير يدل على كون الارض كلها عيونا (قوله ويجوز أن يكون الخ) فيكون الاصل لمن كفر به فحذف الباء واستتر الضمير فى كفر

بالرفع على الابتداء والاول أوجه للاستفهام (واحدا) منفردا لاتبع له أومن آحادهم دون أشرافهم (نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر) جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه مارتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة (أ ألقي الذكر) الكتاب أو الوحي (عليه من بيننا) وفينا من هو أحق منه بذلك (بل هو كذاب أشر) حمله بطره على الترفع علينا بادعائه اياه (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) الذي حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح عليه السلام أم من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة وروي ستعلمون على الالتفات أو حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر فحذر والأشر أي الابلغ في الشرارة وهو أصل مرفوض كالاخير (انا مرسلو الناقة) مخرجوها وباعثوها (فتنة لهم) امتحانا لهم (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر مايصنعون (واصطبر) على أذاهم (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم لهم يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب محتضر) يحضره صاحبه في نوبته أو يحضره عنه غيره (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشئ بتكلف (وكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء أي كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم (الا آل لوط نجيناهم بسحر) في سحر وهو آخر الليل أو مسحرين (نعمة من عندنا) انعاما منا وهو علة لنجيناهم (كذلك نجزي من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا أعينهم) فمسحناها وسويناها بسائر الوجه روي أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فأعماهم (فذوقوا عذابي ونذر) فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال (ولقد صبحهم بكرة) وقرئ بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار معين (عذاب مستقر) يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) كرر ذلك في كل قصة اشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب فهو علة تكرير ذوقوا عذابي ونذر لان هذه العبارة أو ما هو قريب منه كرر في السورة في كل قصة وأما قوله واستماع كل قصة مستدع للادكار والايقاظ الخ فنكتة تكرير ولقد يسرنا القرآن (قوله والتوحيد على لفظ الجمع) يعني توحيد لفظ منتصر وان كان موصوفه جميعا في المعنى الا أن لفظه مفرد

(قوله والاول أوجه للاستفهام) لما تقرر في النحو من ان المختار في مثل هذا الاسم النصب اذا كان بعد الاستفهام (قوله فرتبوا على اتباعهم اياه الخ) لان نبيهم رتب على ترك اتباعهم اياه كونهم في ضلال وسعر أي أنواع النار المسعورة وهم عكسوا الامر فرتبوا على اتباعهم اياه مارتبه نبيهم على ترك الاتباع (قوله أو مسحرين) فتكون الباء للملابسة اذ المعنى نجيناهم ملتبسين بسحر وهذا هو المراد من المسحرين (قوله أو ظاهر الحال) يعني لم يكن قول من الله ولا من الملائكة بل المراد انه فعل بهم مايدل على نبيخهم الذي هو مضمون ذوقوا عذابي ونذر (قوله كرر ذلك الخ) أما قوله اشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب فهو علة تكرير ذوقوا عذابي ونذر لان هذه العبارة أو ما هو قريب منه كرر في السورة في كل قصة وأما قوله واستماع كل قصة مستدع للادكار والايقاظ الخ فنكتة تكرير ولقد يسرنا القرآن (قوله والتوحيد على لفظ الجمع) يعني توحيد لفظ منتصر وان كان موصوفه جميعا في المعنى الا أن لفظه مفرد

عذابهم الأصلى ومايحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه (والساعة أدهى) أشد والداهية أمر فظيع لايهتدى لدوائه (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق فى الدنيا (وسعر) ونيران فى لآخرة (يوم يسحبون فى النار على وجوههم) يجرون عليها (ذوقوا مس سقر) أى يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) أى انا خلقنا كل شئ مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى أن يجعل خلقناه خبر الا نعتا ليطابق المشهورة فى الدلالة على أن كل شئ مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود (وما أمرنا الا واحدة) الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة أو الا كلمة واحدة وهو قوله كن (كلمح بالبصر) فى اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم فى الكفر ممن قبلكم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شئ فعلوه فى الزبر) مكتوب فى كتب الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور فى اللوح (ان المتقين فى جنات ونهر) أنهارا واكتفى باسم الجنس أو سعة أو ضياء من انهار وقرئ نهر وبضم الهاء جمع نهر كأسد واسد (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى وقرئ مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند من تعالى أمره فى الملك والاقتدار بحيث أبهمه ذوو الافهام * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

﴿سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة وآيها ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الرحمن علم القرآن) لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والأخروية صدرها بالرحمن وقدم ماهو أصل النعم الدينية وأجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه أساس الدين ومنشأ الشرع وأعظم الوحى وأعز الكتب اذهو بالاعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم أتبعه قوله (خلق الانسان علمه البيان) ايماء بأن خلق البشر ومايميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما فى الضمير وافهام الغير لما أدرك لتلقى الوحى وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التى هى أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد (الشمس والقمر بحسبان) يجريان بحساب معلوم مقدر فى بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات ويعلم السنون والحساب (والنجم) والنبات الذى ينجم أى يطلع من الارض ولا ساق له (والشجر) الذى له ساق (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم فى الجملتين أن يقال وأجرى الشمس والقمر وأسجد النجم والشجر أو الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ماقبلهما ومابعدهما فى اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بأن وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على أن مايحس به من تغيرات أحوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ قضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) العدل بأن وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض أوما

(قوله وعلى هذا فالاولى الخ) لانه اذا جعل خبرا كان المعنى اثبات المخلوقية لكل شئ وأما اذا جعل وصفا كان المعنى اما كل شئ صفته انه مخلوقنا ملتبسين بقدر فيتوهم انه فى لواقع شئ ليس مخلوقه تعالى (قوله لما فيه من النصوصية على المقصود) وهو النص على ان كل شئ مخلوق لله تعالى (قوله أبهمه ذوو الافهام) أى نسبوه الى الابهام والخفاء

﴿سورة الرحمن﴾

(قوله لتلقى الوحى الخ) خبر لان فى قوله بأن خلق البشر ومايميز به عن سائر الحيوان يعنى ذكر خلق الانسان وتعليم البيان بعد ذكر تعليم القرآن للدلالة على ان خلقه وتعليمه للبيان لاجل تعلم القرآن (قوله لمجيئها على نهج التعديد) لعل مجيئها على النهج المذكور للاشعار بأن كل واحد منها مستقل بكونه خبرا لايحتاج الى الجمع بينهما بخلاف مالو جىء بها على طريق العطف فانه لاشعار للعطف بما ذكر

يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة من حيث انها مصدر القضايا والاقدار أراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب (ألا تطغوا فى الميزان) لئلا تطغوا فيه أى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه فان من حقه أن يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة فى التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وتخسروا بفتحها على أن الأصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل (والارض وضعها) خفضها مدحوّة (للانام) للخلق وقيل الأنام كل ذى روح (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الأكمام) أوعية التمر جمع كم أو كل ما يكم أى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالكموم كالجذع والجمار والتمر (والحب ذو العصف) كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن (والريحان) يعنى المشموم أو الرزق من قولهم خرجت أطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان أى وخلق الحب والريحان أو وأخص ويجوز أن يراد وذا الريحان بحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائى والريحان بالخفض ما عدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله أيها الثقلان (خلق الانسان من صلصال كالفخار) الصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه (وخلق الجان) الجن أو أبا الجن (من مارج) من صاف من الدخان (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما أفاض عليكما فى أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات (رب المشرقين ورب المغربين) مشرق الشتاء والصيف ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من الفوائد التى لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك (مرج البحرين) أرسلهما من مرجت الدابة اذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) يتجاوران ويتماس سطوحهما أو بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى أو من الارض (لا يبغيان) لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الأحمر وان صح أن الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه مخرج من مجتمع الملح والعذب أو لانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكأن المخرج من أحدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) أى السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله

لها ثنايا أربع حسان * وأربع فكلها ثمان

(المنشآت) المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج أو السير (فى البحر كالاعلام) كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره (كل من عليها) من على الارض من الحيوانات أو المركبات

(قوله بالرفعة التى هى من حيث انها الخ) أى بالرفعة التى هى أى تلك الرفعة من حيث انها مصدر قضايا الله تعالى فى الخلائق وأقداره (قوله وقرئ لا تطغوا فى الميزان) فيكون لا للنهى (قوله على أن الاصل لا تخسروا فى الميزان الخ) انما كان الاصل ما ذكر لان معنى خسر لازم اذ هو بالفارسية زكان كارشد فلا بد من تقرير فى (قوله أو أخص) يعنى يكون المقدر هو أخص (قوله حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات) الاول ينتظم والثانى فيه نظر لان الملائكة من الكائنات فلا يصح أن يقال ان الجن خلاصة الكائنات ومن جملتها الملائكة الا أن يقال المراد الكائنات التى تركبت من العناصر (قوله كالمخرج منهما) لا يخفى انه اذا لم يخرج من مجتمعهما لا يلائم أن يقال يخرج منهما ولا يرد عليه انه خلاف المشاهد لان عدم مشاهدتنا لا يصادم ظاهر القرآن فان قيل قد قال تعالى جعل القمر فيهن نورا مع أن القمر فى احداهن قلنا لما لم تكن السموات متميزة بعضها من بعض فى الحس فكان السموات واحدة فهو فى الظاهر فى المجموع لانها واحدة ظاهرا (قوله فكلها ثمان) حذف الياء من ثمانى ورفع النون لان الحسان أيضا مرفوع

ومن للتغليب أو من الثقلين (فان و يبقى وجه ربك) ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الا الوجه الله أى الوجه الذى يلى جهته (ذو الجلال والاكرام) ذو الاستغناء المطلق والفضل العام (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما ذكرنا قبل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا أو مما يترتب على فناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم (يسئله من فى السموات والارض) فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم و يعنيهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشئ فى ذواتهم وصفاتهم نطقا كان أو غيره (كل يوم هو فى شان) كل وقت يحدث أشخاصا و يجدد أحوالا على ما سبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا (سنفرغ لكم أيه الثقلان) أى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشئ كان أقوى عليه وأجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم أى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض أو لرزانة رأيهما وقدرهما أو لانهما مثقلان بالتكليف (فبأى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض) ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه (فانفذوا) فاخرجوا (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) الا بقوة وقهر وأنى لكم ذلك أو ان قدرتم أن تنفذوا والتعلموا ما فى السموات والارض فانفذوا والتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها باف كاركم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة أو مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلا (يرسل عليكما شواظ) لهب (من نار ونحاس) ودخان قال

تضىء كضوء سراج السليـ * ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

أو صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو و يعقوب فى رواية وقرئ ونحس وهو جمع كالحف (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام الكفار فى عداد الآلاء (فاذا انشقت السماء فكانت وردة) أى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله

ولئن بقيت لارحلن بغزوة * نحو الغنائم أو يموت كريم

(كالدهان) مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام أو جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما يكون بعد ذلك (فيومئذ) أى فيوم تنشق السماء (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم و يحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى فور بك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما أنعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (يعرف المجرمون بسيماهم) وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى تارة و بالاقدام أخرى

(قوله أى الوجه الذى يلى جهته) هى من كل جهة وحيثية فانية الا من الوجه أى الحيثية التى استفاد من فيض الله تعالى وهو جهة كونه موجودا و يمكن أن يقال المراد من الوجه الذى ذر العمل الصالح الذى أريد به وجه الله فقط فان كل شئ يتعلق بالعبد فهو فى حد ذاته باطل هالك الا ما ذكر (قوله فالتحذير) فان التحذير لطف ونعمة كما سيجىء فى قوله فان التهديد لطف (قوله تعالى فاذا انشقت السماء) يمكن أن يكون معطوفا على قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان والاظهر أن يقال ان الفاء فاء السببية وهى باعتبار ان الفراغ للجزاء سبب لقيام القيامة فكان سببا لما وقع فيها ومن جملته انشقاق السماء (قوله فيكون من باب التجريد) وهو أن ينزع من أمر ذى صفة أمرا آخر مثله فى تلك الصفة كما لها فيه جرد من السماء شيأ يسمى وردة كما جرد الشاعر من نفسه صفة الكرم لكما لها فيه (قوله والهاء للانس الخ) ظاهر هذا الكلام يدل على ان المراد انه لا يسأل انس ولا جان ذنب الانس لكن المراد انه لا يسأل انس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه

(فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها) بين النار يحرقون بها (و بين حميم) ماء حار (آن) بلغ النهاية فى الحرارة يصب عليهم أو يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله من قام عليه اذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضيف الى الرب تفخيما وتهويلا أو ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

(جنتان) جنة للخائف الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصى أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أنواع من الاشجار والثمار جمع فن أو أغصان جمع فنن وهى الغصنة التى تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (وجنى الجنتين دان) قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنان فان جنتان تدل على جنان هى للخائفين أو فيما فيهما من الاماكن والقصور أو فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) لم يمس الانسيات انس ولا الجنيات جن وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرأ الكسائى بضم الميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان) أى فى حمرة الوجنة و بياض البشرة وصفائهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الثواب وهو الجنة (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء وهو أيضا أقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به أبو حنيفة رضى الله عنه على أن من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا أو رمانا لم يحنث (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات) أى خيرات فخففت لان خيرا الذى بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل (حسان) حسان الخلق والخلق (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أى مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن (فبأى آلاء

كالقدرة المغلى (قوله لم يحنث) لانه تعالى عطفهما على الفاكهة فيدل على انهما ليسا بفاكهة لان العطف يدل على التغاير وأجاب المصنف بأنه هو تخصيص بعد تعميم لما ذكر

ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) كحور الاولين وهم أصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف) وسائد أو نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط أو ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض (خضر وعبقرى حسان) العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد للجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك) تعالى اسمه من حيث انه مطابق على ذاته فلاحظ بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة أو مقحم كما فى قوله

* الى الحول ثم اسم السلام عليكما * (ذى الجلال والاكرام) وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم *

عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله تعالى عليه

﴿سورة الواقعة مكية وآيها ست وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا وقعت الواقعة) اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر أو كان كيت وكيت (ليس لوقعتها كاذبة) أى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب فى نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى أو ليس لاحد فى وقعتها كاذبة فان من أخبر عنها صدق أو ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطافة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له أنه يطيقه (خافضة رافعة) تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله ورفع أوليائه أو ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجو وقرئتا بالنصب على الحال (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة أو بدل من اذا وقعت (وبست الجبال بسا) أى فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته أو سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها (فكانت هباء) غبارا (منبثا) منتشرا (وكنتم أزواجا) أصنافا (ثلاثة) وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج (فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) فاصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنيئة من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل أو أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين (والسابقون السابقون) والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان أو سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات أو الانبياء فانهم مقدمو أهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت ما آلهم كقول أبى النجم

* أنا أبو النجم وشعرى شعرى * أو الذين سبقوا الى الجنة (أولئك المقربون فى جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فى الجنة وأعليت مراتبهم (ثلة من الاولين) أى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليه الصلاة والسلام (وقليل من الآخرين) يعنى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ان أمتى يكثرون سائر الامم لجواز أن يكون سابقو سائر الامم أكثر من سابقى هذه الامة وتابعو هذه أكثر من تابعيهم ولا يرده قوله فى أصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافى أكثرية أحدهما

(قوله لانهما يدلان عليهم) أى أصحاب الجنتين وان كانوا غير مذكورين لكن ذكر الجنتين يدلان عليهم

﴿سورة الواقعة﴾

(قوله أو تكذيب فى نفيها ووقعتها) فيكون اللام بمعنى فى كما فى قدمت لحياتى (قوله من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل) يعنى ذكر أصحاب الميمنة وأراد به أصحاب المنزلة السنية مأخوذ من تيمن العرب بالميامن (قوله ومعناهما التعجب من حال الفريقين) فالمعنى فأصحاب الميمنة يستحقون أن يتعجب من حالهم وقس عليه الجملة الاخرى (قوله هم الذين عرفت حالهم وعرفت ما آلهم) هذا معنى السابقون الثانى الذى هو خبر الاول أى المعنى السابقون هم الذين عرفت حالهم وما آلهم كقول أبى النجم شعرى شعرى اذ معناه ان شعرى معروف مشهور بالفصاحة والبلاغة

(قوله وروى مرفوعا انهما من هذه الامة) أى روى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم ان الثلة والقليل أيضا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله خبر آخر للضمير المحذوف) والخبر الاول ثلة من الاولين اذ التقدير هم ثلة من الاولين على سرر موضونة

وروى مرفوعا أنهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع (على سرر موضونة) خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير فى على سرر (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) مبقون أبدا على هيئة الولدان وطراوتهم (باكواب وأباريق) حال الشرب وغيره والكوب اناء بلا عروة ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك (وكأس من معين) من خمر (لا يصدعون عنها) بخمار (ولا ينزفون) ولا تنزف عقولهم أو لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاى لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون أى لا يتفرقون (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارون (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور عين) عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أو ولهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف أى هم فى جنات ومصاحبة حور أو على أكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا (كأمثال اللؤلؤ المكنون) المصون عما يضر به فى الصفاء والنقاء (جزاء بما كانوا يعملون) أى يفعل ذلك كله بهم جزاء بأعمالهم (لا يسمعون فيها لغوا) باطلا (ولا تأثيما) ولا نسبة الى الاثم أى لا يقال لهم أثمتم (الا قيلا) أى قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما أو صفته أو مفعوله بمعنى الا أن يقولوا سلاما أو مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود) لا شوك فيه من خضد الشوك اذا قطعه أو مثنى أغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب (وطلح) وشجر موز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين (منضود) نضد حمله من أسفله الى أعلاه (وظل ممدود) منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت (وماء مسكوب) يسكب لهم أين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب أو مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين فى التنعم بما على ما يتصور لاهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بما كل ما يتمناه أهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) كثيرة لاجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع فى وقت (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها أنها على الارائك ويدل عليه قوله (انا أنشأناهن انشاء) أى ابتدأنا هن ابتداء جديدا من غير ولادة ابتداء أو اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر ترابا على ميلاد واحد كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا (فجعلناهن أبكارا عربا) متحببات الى أزواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وأبو بكر وروى عن نافع وعاصم مثله (أترابا) فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن (لاصحاب اليمين) متعلق بانشأنا أو جعلنا أو صفة لابكارا أو خبر لمحذوف مثل هن أو لقوله (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وهى على الوجوه الاول خبر محذوف (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء متناه فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود يفعول من الحمة (لا بارد) كسائر الظل (ولا كريم) ولا نافع نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) منهمكين فى الشهوات (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برفيهما وتحنث اذا تأثم (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا

(قوله حالان من الضمير فى على سرر) اذ التقدير مستقرين على سرر فالمراد من قوله من الضمير فى على أنهما حالان من الضمير المستقر فيما يتعلق به الجار والمجرور (قوله اشعارا بالتفاوت بين الحالين) أى بين حالى السابقين وأصحاب اليمين فان حال أصحاب المدن أعلى من حال أهل البوادى (قوله ابتداء أو اعادة) الاول على أن تكون الحور هى التى خلقت ابتداء فى الجنة من غير أن يكون لها سبق وجود فى الدنيا والثانى على أن تكون هى النساء اللاتى وصفت فى الحديث (قوله أو لقوله ثلة الخ) فتكون اللام فى قوله لاصحاب اليمين بمعنى من وقد أثبته صاحب المغنى واستشهد بشاهدين أحدهما نحو قوله سمعت له صراخا الثانى قول جرير لنا الفضل فى الدنيا وأنفك راغم * ونحن لكم يوم القيامة أفضل لكن فى الاستشهاد الاول ضعف (قوله وهى على الوجوه الاول خبر محذوف) اذ التقدير هم أصحاب اليمين ثلة من الاولين (قوله للدلالة

على انكار البعث مطلقا) يعنى لو لم يكرر الهمزة لدل على انكار بعث التراب والعظام ولا يدل على انكار البعث مطلقا فاذا أورد همزة الانكار على البعث دل على انكاره مطلقا أعم من أن يكون بعث التراب والعظام أو بعث

تترابا (قوله كما دخلت العاطفة) أى كما دخلت الهمزة الواو العاطفة فى قوله

تترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله (أوآباؤنا الأولون) للدلالة على أن ذلك أشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف مادل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة (قل ان الأولين والآخرين لمجموعون) وقرئ لمجمعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ماوقت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له (ثم انكم أيها الضالون المكذبون) أى بالبعث والخطاب لاهل مكة وأضرابهم (لآكلون من شجر من زقوم) من الأولى للابتداء والثانية للبيان (فمالؤن منها البطون) من شدة الجوع (فشاربون عليه من الحميم) لغلبة العطش وتأنيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها (فشاربون شرب الهيم) الابل التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضى عليها هيامها

وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع أبيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين (هذا نزلهم يوم الدين) يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعدما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله فبشرهم بعذاب أليم لان النزل مايعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة عليه أو بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة (أفرأيتم ماتمنون) أى ما تقذفونه فى الأرحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها (أأنتم تخلقونه) تجعلونه بشرا سويا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال (ومانحن بمسبوقين) لايسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته أولا يغلبنا أحد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه (على أن نبدل أمثالكم) على الاول حال أو علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام ومانحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم أو نبدل صفاتكم على أن أمثالكم جمع مثل بمعنى صفة (وننشئكم فيما لاتعلمون) فى خلق أوصفات لاتعلمونها (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون) أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فانها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس (أفرأيتم مانحرثون) تبذرون حبه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه (أم نحن الزارعون) المنبتون (لونشاء لجعلناه حطاما) هشيما (فظلتم تفكهون) تعجبون أو تندمون على اجتهادكم فيه أو على ما أصبتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الأصل (انا لمغرمون) لملزمون غرامة ماأنفقنا أو مهلكون هلاك رزقنا من الغرام وقرأ أبو بكر أئنا لمغرمون على الاستفهام (بل نحن) قوم (محرومون) حرمنا رزقنا أو محدودون لامجدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) أى العذب الصالح للشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون) بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمتعلقة بالاستفهام (لونشاء جعلناه أجاجا) ملحا أو من الأجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط ومايتضمن معناه لعلم السامع بمكانها أو الاكتفاء بسبق ذكرها أو يختص مايقصد لذاته ويكون أهم وفقده أصعب بمزيد

البدن الميت قبل أن يصير أوآباؤنا الأولون فكأنهم قالوا انا لنتكرر أن نكون مبعوثين فبعث الآباء الاقدمين أولى بالانكار (قوله وقرأ نافع وابن عامر بالسكون) أى بسكون الواو (قوله وكل من المعطوف والمعطوف عليه الخ) اذ يمكن أن يكون شرب الحميم على الزقوم من غير أن يكون الشرب المذكور شرب الهيم ويمكن أيضا أن يكون شرب الهيم من غير شرب الحميم على الزقوم ويمكن اجتماعهما (قوله وعلى الاول حال أو علة الخ) أى على أن يكون مسبوقين بمعنى لايسبقنا أحد يكون على أن نبدل حالا والمعنى قادرين على أن نبدل أو علة لقدرنا اذ لا يصح تعلقه بمسبوقين وعلى الثانى هو متعلق بمسبوقين اذ المعنى ومانحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم (قوله على ان أمثالكم جمع مثل) بالتحريك بمعنى الصفة (قوله وفيه دليل على صحة القياس) فانه تعالى أشعر فى كلامه على قياس صحة الاعادة بصحة الابداء (قوله أو محدودون لامجدودون) الاول بالحاء المهملة يعنى الممنوع من الحظ والثانى بالجيم بمعنى المحظوظ (قوله وحذف اللام الفاصلة بين جواب مايتمحض للشرط ومايتضمن معناه) مايتمحض للشرط

التأكيد

التأكيد (فلولا تشكرون) أمثال هذه النعم الضرورية (أفرأيتم النار التي تورون) تقدحون (أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن) يعني الشجرة التي منها الزناد (نحن جعلناها) جعلنا نار الزناد (تذكرة) تبصرة في أمر البعث كما مر في سورة يس أو في الظلام أو تذكيرا وأنموذجا لنار جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهي القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من أقوت الدار اذا خلت من ساكنيها (فسبح باسم ربك العظيم) فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب وتعقيب الأمر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما التنزيه عما تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته أو للتعجب من أمرهم في غمط نعمه أو للشكر على ما عدها من النعم (فلا أقسم) اذ الأمر أوضح من أن يحتاج الى قسم أو فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في لئلا يعلم أو فلا نافي أقسم لحذف المبتدا وأشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلا قسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه (بمواقع النجوم) بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره أو بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (انه لقرآن كريم) كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضي في جنسه (في كتاب مكنون) مصون وهو اللوح المحفوظ (لا يمسه الا المطهرون) لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة أو لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي أو لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أي أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والالهام (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة أو رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب أي نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم) أي شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أي بما نحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم أي وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وتكذبون أي بقولكم في القرآن انه سحر وشعر أو في المطر انه من الانواء (فلولا اذا بلغت الحلقوم) أي النفس (وأنتم حينئذ تنظرون) حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال (ونحن أقرب) أي ونحن أعلم (اليه) الى المحتضر (منكم) عبر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى سبب الاطلاع (ولكن لا تبصرون) لا تدركون كنه ما يجري عليه (فلولا ان كنتم غير مدينين) أي مجزيين يوم القيامة أو مملوكين مقهورين من دانه اذا أذله واستعبده وأصل التركيب للذل والانقياد (ترجعونها) ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحض عليه بلولا الأولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم أفعال الله وتكذيبكم بآياته (ان كنتم صادقين) في أباطيلكم فلولا ترجعون الأرواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم (فأما ان كان من المقربين) أي ان كان المتوفى من السابقين (فروح) فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق طيب (وجنة نعيم) ذات تنعم (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك) ياصاحب اليمين (من أصحاب اليمين) أي من اخوانك

هوان ومايتضمن معناه لو وحاصل ماقال انه حذف ههنا اللام التي تدخل على جواب لو ههنا لكثرة وقوعها في هذا الموقع فاذا لم تذكر علم انها مقدرة أو لسبق ذكرها في قوله لو نشاء لجعلناه حطاما أو لتخصيص مايقصد لذاته ويكون فقده أصعب وهو هلاك الزرع بذكر اللام لمزيد التأكيد في التهديد والحذر عما يوجب هلاك الزرع (قوله فلا أقسم) الفاء للتعقيب أي بعد ما عددت النعم والرحمات المذكورة لا احتاج الى القسم بأن القرآن كريم حتى لا يتردد فيه (قوله والدلالة على وجود مؤثر لا يزول) كما قال ابراهيم عليه السلام عند غروب الكوكب لا أحب الآفلين واستدل بالافول على ان الكوكب لا يصلح للربوبية فوجب موجود مؤثر لا يزول تأثيره أصلا (قوله والمحض عليه بلولا الأولى) فان التحضيض المستفاد من لولا واقع على ترجعون فان المقصود التحضيض على الرجع (قوله وهي بما في حيزه دليل جواب الشرط) أي جملة ترجعونها بما تعلق بها دال عليه اذ المعنى ان كنتم غير مدينين ارجعوا النفس الى مقرها

(قوله وذلك مايجد فى القبر من سمومها ودخانها) انما خص القبر بالذكر لان الآيات المذكورة تفصيل حال المتوفى ﴿سورة الحديد﴾ (قوله لانه دلالة جبلية الخ) أى المراد من التسبيح دلالة المسبحين على وجوده وصفاته الكاملة وهذه دلالة جبلية لاتختلف باختلاف الحالات (قوله ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها الخ) انما قال بالنظر الى ذاتها لان كل ممكن لابد أن يكون كذلك على ماهو حكم البداهة بخلاف الفناء فى الواقع بزوال الوجود عنها فان عروضه لكل ممكن يحتاج الى دليل وأما قوله تنتهى اليه المسببات فباعتبار انا اذا اعتبرنا سلسلة من المسببات وابتدأنا من السبب الآخر حتى انتقلنا الى آخر السلسلة التى هى السبب الاول كان الذى بعد تلك السلسلة هو واجب الوجود وقوله أو الاول خارجا بالآخر ذهنا معناه انه يقال أول الموجودات فى الخارج اذ هو الفاعل الحقيقى لكل ممكن وهو الآخر ذهنا باعتبار ان العقل ينتقل من الممكنات الى الواجب لانه يعلم ان الممكن ليس وجوده من ذاته فيجب انتهاء سلسلة الممكنات الى ماهو وجوده من ذاته وهو الواجب تعالى (قوله فالواو الاولى والاخيرة الخ) انما قال ذلك لانه لامناسبة ظاهرة بين الاول والآخر ولا بين الظاهر حتى تفيد الواو الجمع بينهما لكن اذا اعتبر مجموع الاولين ومجموع الآخرين ظهرت بينهما مناسبة باعتبار اشتمال كل منهما على صفتين متقابلتين (قوله ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه) أى والانفاق الخلق دليل على العلم لانا بعد ان نعلم وجود الكائنات نعلم ان مبدعها عالم بها (قوله لانه كالمقدمة لهما) أى لان ذكر خلق السموات والارض كالدليل على العلم والاعادة لان العقل يحكم على أن من خلق السموات والارض قادر على الاعادة والبعث كما قال تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم (قوله وفيه حث على الانفاق الخ) لانه لما قال تعالى ان الاموال ليس لكم فى الحقيقة وأنتم

يسلمون عليك (وأما ان كان من المكذبين الضالين) يعنى أصحاب الشمال وانما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها واشعارا بما أوجب لهم ما أوعدهم به (فنزل من حيم وتصلية جحيم) وذلك مايجد فى القبر من سموم النار ودخانها (ان هذا) أى الذى ذكر فى السورة أو فى شأن الفرق (لهو حق اليقين) أى حق الخبر اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فنزهه بذكر اسمه تعالى عما لايليق بعظمة شأنه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

﴿سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله مافى السموات والارض) ذكر ههنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ماأسند اليه أن يسبحه فى جميع أوقاته لانه دلالة جبلية لاتختلف باختلاف الحالات ومجىء المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل أبلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدى باللام وهو متعد بنفسه مثل نصحت له فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه (وهو العزيز الحكيم) حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح (له ملك السموات والارض) فانه الموجد لها والمتصرف فيها (يحيى ويميت) استئناف أو خبر لمحذوف أو حال من المجرور فى له (وهو على كل شئ) من الاحياء والاماتة وغيرهما (قدير) تام القدرة (هو الاول) السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها (والآخر) الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها أو هو الاول الذى تبتدأ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات أو الاول خارجا والآخر ذهنا (والظاهر والباطن) الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول أو الغالب على كل شئ والعالم بباطنه ولواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين (وهو بكل شئ عليم) يستوى عنده الظاهر والخفى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض) كالبذور (ومايخرج منها) كالزروع (وماينزل من السماء) كالامطار (ومايعرج فيها) كالابخرة (وهو معكم أينما كنتم) لاينفك علمه وقدرته عنكم بحال (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه (له ملك السموات والارض) ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما (والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) بمكنوناتها (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم أو التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان

والانفاق و بناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر (ومالكم لاتؤمنون بالله) أى ومانصنعون غير مؤمنين به كقولك مالك قائما (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير تؤمنون والمعنى أى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات (وقد أخذ ميثاقكم) أى وقد أخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ أبو عمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم (ان كنتم مؤمنين) لموجب مافان هذا موجب لامزيد عليه (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم) أى الله أو العبد (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث نبهكم بالرسول و لآيات ولم يقتصر على مانصب لكم من الحجج العقلية (ومالكم ألاتنفقوا) وأى شئ لكم فى ألاتنفقوا (فى سبيل الله) فيما يكون قربة اليه (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما فلا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان أولى (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة) بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى الحاجات حثا على تحرى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة مابعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر أهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق (من الذين أنفقوا من بعد) أى من بعد الفتح (وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) أى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله ليطابق ماعطف عليه (والله بما تعملون خبير) عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أول من آمن وأنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) أى من الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء أن يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات له (فيضاعفه له) أى يعطى أجره أضعافا (وله أجر كريم) أى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى أن يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف أضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال أيقرض الله أحد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وقرأ ابن عامر و يعقوب فيضعفه منصوبا (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أو فيضاعفه أو مقدر باذكر (يسعى نورهم) مايوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة (بين أيديهم و بايمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين (بشراكم اليوم جنات) أى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم أى المبشر به جنات أو بشراكم دخول جنات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) الاشارة الى مانقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا انظرونا) انتظرونا فانهم يسرعون بهم الى الجنة كالبرق الخاطف أو انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيؤن بنور بين أيديهم وقرأ حمزة أنظرونا على أن اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه (قيل ارجعوا وراءكم) الى الدنيا (فالتمسوا نورا) بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها أو الى الموقف فانه من ثمة يقتبس أو الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لاسبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين أو الملائكة (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط (له

مستخلفون فى التصرف فيها كان تأكيدا فى الانفاق لان المالك للجميع أمر بالانفاق (قوله و بناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر) أى الحكم بان الأجر الكبير لهم بتقديم الضمير يفيد المبالغة وافادة التنكير اياها لان التنكير يدل على التعظيم (قوله بموجب مالخ) بموجب ما للايمان والتصديق أى ان كنتم مؤمنين بالرسول لدليل قاطع فآمنوا به لهذا الموجب الخاص الذى هو أخذ الميثاق (قوله ليطابق ماعطف عليه) أى ليطابق قوله تعالى أولئك أعظم درجة عند الله الخ فى كون كل منهما جملة اسمية (قوله بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى) انما قال باعتبار المعنى لان شرط النصب ان يقع الاستفهام على الفعل وههنا ليس كذلك بل يقع على الاسم وهو ذا الذى

(قوله تعالى وظاهره من قبله العذاب) ان قيل لم قيل باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ولم يقل ظاهره فيه العذاب قلنا لان الرحمة لما كانت عامة وسعت كل شئ فاذا قيل باطنه فيه الرحمة كان هذا القول ظاهرا فى الرحمة عمت باطنه جميعا وأما العذاب فلما لم يكن

باب) يدخل منه المؤمنون (باطنه) باطن السور أو الباب (فيه الرحمة) لانه يلى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) من جهته لانه يلى النار (ينادونهم ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم فى الظاهر (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) بالنفاق (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم فى الدين (وغرتكم الاماني) كامتداد العمر (حتى جاء أمر الله) وهو الموت (وغركم بالله الغرور) الشيطان أو الدنيا (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) فداء وقرأ ابن عامر و يعقوب بالتاء (ولا من الذين كفروا) ظاهرا و باطنا (مأواكم النار هى مولاكم) هى أولى بكم كقول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقته محراكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كقولك هو مئنة الكرم أى مكان قول القائل انه لكريم أو مكانكم عما قريب من الولى وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله

* تحية بينهم ضرب وجيع * أو متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا (وبئس المصير) النار (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ألم يأت وقته يقال أنى الامر يأنى أنيا وأنا واذا جاء اناه وقرئ ألم يئن بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى أتى وألما يأن يروى أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت (وما نزل من الحق) أى القرآن وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر و يجوز أن يراد بالذكر أن يذكر الله وقرأ نافع وحفص و يعقوب نزل بالتخفيف وقرئ أنزل (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهى عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله (فطال عليهم الامد فقست قلوبهم) أى فطال عليهم الاجل لطول أعمارهم وآمالهم أو ما بينهم و بين أنبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى كتابهم من فرط القسوة (اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بالاحياء الاموات ترغيبا فى الخشوع و زجرا عن القساوة (قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) كى تكمل عقولكم (ان المصدقين والمصدقات) ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد أى الذين صدقوا الله ورسوله (وأقرضوا الله قرضا حسنا) عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا أو صدقوا وهو على الاول للدلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص (يضاعف لهم ولهم أجر كريم) معناه والقراءة فى يضاعف كما مر غير أنه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم أو الى ضمير المصدر (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) أى أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء أو هم المبالغون فى الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع أخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم أو على الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد أو الذين استشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكنه من غير تضعيف ليحصل التفاوت أو الاجر والنور الموعودان لهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) فيه دليل على أن الخلود فى النار

عمومه كالرحمة فاذا قيل ظاهره فيه العذاب لم يكن دالا على عمومه وان العذاب من عنده السور المذكور وأما اذا قيل من قبله العذاب يدل على ان العذاب ابتدأ من عنده لان قبل بمعنى عند قال فى الصحاح لى قبل فلان حق أى عنده واذا كان ابتداء العذاب من عنده مع قربه من الجنة فكلما بعد كان العذاب فيه أشد (قوله فغدت كلا الفرجين تحسب انه الخ) قال العلامة الطيبى يصف بقرة وحشية نفرت من صوت الصائد ولم تقف لتنظر أصائدها خلفها أو امامها أى غدت على حالة كلا جانبيها مخوف بحيث لا يعرف منجاها من مهلكها وضمير انه راجع الى كلا باعتبار اللفظ (قوله وهو على الاول للدلالة الخ) أى فائدة قوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا الدلالة على أن المعتبر فى التصدق هو التصدق المقرون بالاخلاص لان مالا اخلاص فيه لا يكون حسنا (قوله غير انه لم يجزم) أى القراءة فى تضاعف هنا كالقراءة فى تضاعف المقدم ذكره فى قوله تعالى يضاعف لهم ولهم أجر كريم (قوله أو الى ضمير المصدر) أى تضاعف الاقراض لهم (قوله أولئك عند الله بمنزلة الصديقين) مخصوص فيه انه يلزم أن يكون كل مؤمن بمنزلة الصديق عند الله تعالى اذ المؤمن هو الذى آمن بالله ورسله والوجه ما قاله العلامة الطيبى ان معنى الكلام على التشبيه البليغ والمعنى أولئك هم كالصديقين والشهداء فيكون المشبه به أكمل (قوله ولكنه من غير تضعيف) توضيحه ان لكل

عامل أجرا معينا عند الله ثم يضعف الله تعالى ذلك الاجر عشرا الى مايشاء فيكون معنى الكلام لكل مؤمن بالله ورسله أجر الصديق من غير تضعيف حتى لايلزم تساوى كل مؤمن مع الصديق (قوله من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص) لان اسم الاشارة يفيد ان الحكم المذكور وهو كونهم من أصحاب الجحيم بسبب الوصف السابق وهو الكفر والتكذيب (قوله فيه دليل على أن الجنة مخلوقة) هذا مفهوم من صيغة الماضى وهو أعدت (قوله فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر) لانه لما علم تقديره علم وتيقن أن لامحيص عنه ومن اعتقد ذلك هان عليه الشدة (قوله وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها الخ) أى لما قال الله تعالى على مافاتكم من غير نسبة التفويت الى نفسه أشعر الكلام بان الفوت يلحق النعم الدنيوية اذا خليت وطباعها بان لايريد الله تعالى بقاءها ولما قال الله تعالى ولاتفرحوا بما آتاكم ونسب الايتاء الى نفسه علم من الكلام ان الحصول والبقاء لابد فيه من ارادته تعالى (قوله اذ قل من يثبت نفسه فى حالى السراء والضراء) أى تعقيب قوله والله لايحب كل مختال فخور من قوله ولا تفرحوا بما آتاكم للاشعار بان الفرح فى الاكثر يجر الى الفخر والاختيال اذ من يثبت نفسه على الاعتدال حالى السراء والضراء قليل بل الغالب على الانفس الخروج عن الحق حال السراء (قوله خبره محذوف مدلول عليه بقوله الخ) فيكون خبره مايوجب تهديدا مثل لهم العذاب (قوله بالحجج والمعجزات) فيكون فيه لف ونشر والحجج

مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحة تدل على الملازمة عرفا (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) لما ذكر حال الفريقين فى الآخرة حقر أمور الدنيا أعنى مالا يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جدا اتعاب الصبيان فى الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب أو تكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) وهو تمثيل لها فى سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحراث أو الكافرون بالله لانهم أشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر لايتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج أى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم أمور الآخرة الابدية بقوله (وفى الآخرة عذاب شديد) تنفيرا عن الانهماك فى الدنيا وحثا على مايوجب كرامة العقبى ثم أكد ذلك بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) أى لمن أقبل عليها ولم يطلب الا الآخرة (وما الحياة الدنيا لامتاع الغرور) أى لمن أقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة (سابقوا) سارعوا مسارعة المسابقين فى المضمار (الى مغفرة من ربكم) الى موجباتها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أى عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأن الايمان وحده كاف فى استحقاقها (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب (والله ذو الفضل العظيم) منه التفضل بذلك وان عظم قدره (ما أصاب من مصيبة فى الارض) كجدب وعاهة (ولا فى أنفسكم) كمرض وآفة (الا فى كتاب) الا مكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله تعالى (من قبل أن نبرأها) نخلقها والضمير للمصيبة أو الارض أو للانفس (ان ذلك) ان اثباته فى كتاب (على الله يسير) لاستغنائه تعالى فيه عن العدة والمدة (لكيلا تأسوا) أى أثبت وكتب كى لاتحزنوا (على مافاتكم) من نعم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) بما أعطاكم الله منها فان من علم أن الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ أبو عمرو بما أتاكم من الاتيان ليعادل مافاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها وأما حصولها وابقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله (والله لايحب كل مختال فخور) اذ قل من يثبت نفسه فى حالى الضراء والسراء (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لايضره الاعراض عن شكره ولاينفعه التقرب اليه بشكر من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى (لقد أرسلنا رسلنا) أى الملائكة الى الانبياء أو الانبياء الى الامم (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) ليبين الحق ويميز صواب العمل (والميزان) لتسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال تعالى ليقوم الناس بالقسط

وانزاله انزال أسبابه والامر باعداده وقيل أنزل الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز أن يراد به العدل (ليقوم الناس بالقسط) لتقام به السياسة وتدفع به الاعداء كما قال (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) فان آلات الحروب متخذة منه (ومنافع للناس) اذ ما من صنعة الا والحديد آلاتها (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا أو اللام صلة لمحذوف أى أنزله ليعلم الله (بالغيب) حال من المستكن فى ينصره (ان الله قوى) على اهلاك من أراد اهلاكه (عزيز) لا يفتقر الى نصرة وانما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به و يستوجبوا ثواب الامتثال فيه (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) بان استنبأناهم وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم أرسلنا (مهتد وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والدلالة على أن الغلبة للضلال (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم) أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل الملقى بهم من الذرية (وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل لانه أعجمى (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) وقرئ رآفة على فعالة (ورحمة ورهبانية ابتدعوها) أى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها أو رهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم كأنها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان (ما كتبناها عليهم) ما فرضناها عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا أن يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها أو ابتدعوها بمعنى استحدثوها وأتوا بها أولا أنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم (فما رعوها) أى فما رعوها جميعا (حق رعايتها) بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها اليها (فآتينا الذين آمنوا) أتوا بالايمان الصحيح ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وحافظوا حقوقها (منهم) من المتسمين بأتباعه (أجرهم وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حال الاتباع (يا أيها الذين آمنوا) بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره (ويجعل لكم نورا تمشون به) يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم أو الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس (ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب) أى ليعلموا ولامزيدة ويؤيده أنه قرئ ليعلم ولكى يعلم ولأن يعلم بادغام النون فى الياء (ألا يقدرون على شئ من فضل الله) أن هى المخففة والمعنى انه لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به أو لا يقدرون على شئ من فضله فضلا عن أن يتصرفوا فى أعظمه وهو النبوة فيخصوها بمن أرادوا ويؤيده قوله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولا ينالونه

بالنسبة الى الملائكة اذا أريد بالرسل اياها والمعجزات بالنسبة الى الانبياء اذا أريد وامنها (قوله فانه حال يتضمن تعليلا) أى فيه بأس شديد حال من الحديد يدل على تعليل مقدر مثل لتتخذ آلات الحرب منه فيكون وليعلم الله معطوفا على هذا المحذوف (قوله والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم الخ) أى ظاهر المقابلة منهم مهتد ومنهم ضال لكن عدل الى ما ذكر للمبالغة فى الذم بدلالة الكثرة وذكر الفسق مقام الضلال وجمع الفاسق (قوله وهو يخالف قوله ابتدعوها) يعنى جعل الاستثناء المذكور متصلا يفيد انه جعلهم متعبدين بها لطلب رضوانه وهذا ينافى أن يكونوا مبتدعين لها من تلقاء أنفسهم الا أن يفسر الابتداع بما ذكر (قوله بضم التثليث والقول بالاتحاد والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها اليه) أى بما ابتدعوه من الرهبانية (قوله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم ببركة الاسلام) غرضه ان قوله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين يدل على أنهم ان آمنوا بمحمد آتاهم الله أجر عملهم على دينهم ببركة الاسلام وان كان عملهم بدينهم فى زمان محمد صلى الله وسلم ونسخ دينهم

فيكون وأن الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا يعلم ووجهه أن الهمزة حذفت وأدغمت النون فى اللام ثم أبدلت ياء وقرئ ليلا على أن الاصل فى الحروف المفردة الفتح * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله أجمعين

﴿سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الأول مكى والباقى مدنى وآيها اثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) روى أن خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر أولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بأن الرسول عليه الصلاة والسلام أو المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وأدغم حمزة والكسائى وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر دال قد فى السين (والله يسمع تحاوركما) تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب (ان الله سميع بصير) للاقوال والاحوال (الذين يظهرون منكم من نسائهم) الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء أنثى محرم وفى منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان أهل الجاهلية وأصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر (ماهن أمهاتهم) أى على الحقيقة (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) فلا تشبه بهن فى الحرمة الامن ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج الرسول وعن عاصم أمهاتهم بالرفع على لغة بنى تميم وقرئ بامهاتهم وهو أيضا على لغة من ينصب (وانهم ليقولون منكرا من القول) اذ الشرع أنكره (وزورا) منحرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام (وان الله لعفو غفور) لما سلف منه مطلقا أو اذا تيب عنه (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) أى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما أفسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو أقل ما ينتقض به وعند أبى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع أو بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى أو بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية أو معنى بان يحلف على ما قال وهو قول أبى مسلم أو الى المقول فيها بامساكها أو استباحة استمتاعها أو وطئها (فتحرير رقبة) أى فعليهم أو فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل (من قبل أن يتماسا) أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه أو أن يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير (ذلكم) أى ذلكم الحكم بالكفارة (توعظون به) لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه (والله بما تعملون خبير) لا تخفى عليه خافية (فمن لم يجد) أى الرقبة والذى غاب ماله واجد (فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) فان أفطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان أفطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك رضى الله تعالى عنهما (فمن لم يستطع) أى الصوم

(قوله فيكون ان الفضل عطفا على أن لا يعلم) فالمعنى ولان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (قوله وأدغم النون فى اللام ثم أبدلت ياء) انما أدغمت أولا ثم أبدلت ولم يبدل أولا لان علة الابدال القياس على ديوان وقيراط فان الديوان فى الاصل الدوان والقيراط أصله القراط قلبت الواو فى الاولى الى الياء والراء فى الثانى اليها فلما كان هذا القياس علة للابدال فلابد منه

﴿سورة المجادلة﴾

(قوله وقد يشعر الخ) لان قد حرف التوقع وهو من الله محال لان التوقع يفيد عدم العلم فبقى أن يكون التوقع من غيره فهو اما من النبى صلى الله عليه وسلم أو من المرأة المجادلة (قوله وهو أيضا على لغة من ينصب) أى من ينصب خبرما وهم أهل الحجاز يزيدون الباء (قوله اذ الشبه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه) أى التشبيه بظهر الأم شامل لحرمة امساك المظاهر فى النكاح الزمان المذكور اذ يصح استثناء الحرمة المذكورة عن الظهار اذ يصح ان يقال أنت على كظهر أمى الا فى الامساك فى النكاح (قوله أو بالظهار فى الاسلام) عطف على نقض ما يقتضيه أى العود اما بنقض ما يقتضيه الظهار أو بالظهار فى الاسلام (قوله ومن فوائدها الدلالة الخ) لان الفاء تفيد ان

 العود فى الظهار سبب الكفارة فيفيد انه مهما وجد هذا السبب وجد المسبب الذى هو التحرير (قوله لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه) أى اللفظ الذى هو كظهر أمى عام فى جميع الاستمتاعات من الجانبين والتشبيه أيضا يقتضى عموم

لهم أو مرض منهم أو شبق مفرط فانه صلى الله عليه وسلم رخص للأعرابي المفطر أن يعدل لاجله (فاطعام ستين مسكينا) ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه أقل ماقيل في الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين أو لجوازه في خلال الاطعام كما قال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه (ذلك) أي ذلك البيان أو التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) أي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم (وتلك حدود الله) لايجوز تعديها (وللكافرين) أي الذين لا يقبلونها (عذاب أليم) هو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين (ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر أو يضعون أو يختارون حدودا غير حدودهما (كبتوا) أخزوا أو أهلكوا وأصل الكبت الكب (كما كبت الذين من قبلهم) يعني كفار الأمم الماضية (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وما جاء به (وللكافرين عذاب مهين) يذهب عزهم وتكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بمهين أو باضمار اذكر (جميعا) كلهم لايدع أحدا غير مبعوث أو مجتمعين (فينبئهم بما عملوا) أي على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يغب منه شئ (ونسوه) لكثرته أو تهاونهم به (والله على كل شئ شهيد) لايغيب عنه شئ (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) كليا وجزئيا (ما يكون من نجوى ثلاثة) أي مايقع من تناجي ثلاثة ويجوز أن يقدر مضاف أو يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر أمر مرفوع الى الذهن لايتيسر لكل أحد أن يطلع عليه (الا هو رابعهم) الا الله يجعلهم أربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من أعم الاحوال (ولا خمسة) ولا نجوى خمسة (الا هو سادسهم) وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين أو لان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثة أول الاوتار أو لان التشاور لابد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون أو تاويل نجوى بمتناجين (ولا أدنى من ذلك) ولا أقل مما ذكر كالواحد والاثنين (ولا أكثر) كالستة ومافوقها (الا هو معهم) يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل لا أدنى بان جعلت لا لنفي الجنس (أينما كانوا) فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء (ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) أي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة ويتنجون وهو يفتعلون من النجوى وروى عن يعقوب مثله (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك أو انعم صباحا والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون في أنفسهم) فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) جهنم (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا (وتناجوا بالبر والتقوى) بما

حرمة الاستمتاع (قوله أو لجوازه في خلال الاطعام) أي لجواز التماس في خلاله (قوله ويجوز أن يقدر مضاف الخ) أي التركيب بحسب الظاهر يفيد ان الله تعالى رابع نجوى ثلاثة وهو صحيح لكن يجوز باحد الوجهين المذكورين (قوله والاستثناء من أعم الاحوال) والمعنى ما يكون من نجوى ثلاثة على حال من الاحوال الا على حال أن يكون الله تعالى رابعهم (قوله فان الآية نزلت الخ) وكان تناجيهم على العددين المذكورين (قوله باضمار يتناجون) فيكون المعنى ما يكون من نجوى يتناجون ذلك النجوى ثلاثة فيكون حالا من ضمير تناجوا (قوله ان جعلت لا لنفي الجنس) أي ان جعل لا لنفي الجنس كان أدنى مبنيا على الفتح في اللفظ ومبتدأ في المعنى والاصل فيكون مرفوعا محلا ولا في لا أكثر تأكيد للاولى فيكون أكثر مرفوعا عطفا على محل لا أدنى

يتضمن خير المؤمنين والانقاء عن معصية الرسول (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه (انما النجوى) أى النجوى بالاثم والعدوان (من الشيطان) فانه المزين لها والحامل عليها (ليحزن الذين آمنوا) بتوهمهم أنها فى نكبة أصابتهم (وليس) أى الشيطان أو التناجى (بضارهم) بضار المؤمنين (شيأ الا باذن الله) الا بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالوا بنجواهم (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى أى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع أو مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه (فافسحوا يفسح الله لكم) فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة أو لما أمرتم به كصلاة أو جهاد أو ارتفعوا عن المجلس (فانشزوا) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وأيوائهم غرف الجنان فى الآخرة (والذين أوتوا العلم درجات) ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (والله بما تعملون خبير) تهديد لمن لم يمتثل الامر أو استكرهه (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن على كرم الله وجهه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى أنه لم يبق الا عشر او قيل الا ساعة (ذلك) أى ذلك التصدق (خير لكم وأطهر) أى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) أى لمن لم يجده حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدق أدل على الوجوب (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أخفتم الفقر من تقديم الصدقة أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين أو لكثرة التناجى (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) بان رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا أوان (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة) فلا تفرطوا فى أدائهما (وأطيعوا الله ورسوله) فى سائر الأوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك (والله خبير بما تعملون) ظاهرا وباطنا (ألم تر الى الذين تولوا) والوا (قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود (ما هم منكم ولا منهم) لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك (ويحلفون على الكذب) وهو ادعاء الاسلام (وهم يعلمون) أن المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى أنه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال عليه الصلاة والسلام له علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء بأصحابه فحلفوا فنزلت (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) فتمرنوا على سوء العمل وأصروا عليه (اتخذوا أيمانهم) أى التى حلفوا بها وقرئ

(قوله مستعار لمن له يدان) أى استعير هذا اللفظ من شخص له يدان واستعمل بمعنى القدام اى القبل (قوله فى مدة بقائه) أى فى مدة بقاء الحكم المذكور وهو الامر بالتصدق عند نجواه صلى الله عليه وسلم اذ روى ان الحكم المذكور لم يبق الا عشرة أيام أو ساعة (قوله وهو يشعر بالندبية) لان قوله تعالى ذلكم خير لكم وأطهر صريح فى ان التصدق أحسن فعدم التصدق ليس باثم لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم يدل على الوجوب لان الغفران يناسب التجاوز عن ترك المؤاخذة بالواجب

بالكسر أى ايمانهم الذى أظهروه (جنة) وقاية دون دمائهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) فصدوا الناس فى خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط (فلهم عذاب مهين) وعيدان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قد سبق مثله (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أى لله تعالى على أنهم مسلمون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا ويقولون انهم لمنكم (ويحسبون أنهم على شئ) فى حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الآخرة أن الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم فى الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم من حدت الابل وأحذتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل (وأنساهم ذكر الله) لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم (أولئك حزب الشيطان) جنوده وأتباعه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) لانهم فوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله كتب الله فى اللوح (لأغلبن أنا ورسلى) أى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء (ان الله قوى) على نصر أنبيائه (عزيز) لا يغلب عليه شئ فى مراده (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أى لا ينبغى أن تجدهم وادين أعداء الله والمراد أنه لا ينبغى أن يوادوهم (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) ولو كان المحادون أقرب الناس اليهم (أولئك) أى الذين لم يوادوهم (كتب فى قلوبهم الايمان) أثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه وأعمال الجوارح لا تثبت فيه (وأيدهم بروح منه) أى من عند الله وهو نور القلب أو القرآن أو بالنصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بطاعتهم (ورضوا عنه) بقضائه أو بما وعدهم من الثواب (أولئك حزب الله) جنده وأنصار دينه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون بخير الدارين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿سورة الحشر﴾

مدنية وآيها أربع وعشرون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى أنه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة وحالفوا أبا سفيان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا أكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر) أى فى أول خشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك أو فى أول حشرهم للقتال أو الجلاء الى الشأم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله تعالى عنه اياهم من خيبر اليه أو فى أول حشر الناس الى الشأم وآخر حشرهم أنهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك أو أن نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع

من مكان الى آخر (ماظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى أن حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز أن تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم (فاتاهم الله) أى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين أى فاتاهم نصر الله وقرئ فأتاهم الله أى العذاب أو النصر (من حيث لم يحتسبوا) لقوة وثوقهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) وأثبت فيها الخوف الذى يرعبها أى يملؤها (يخربون بيوتهم بايديهم) ضنا بها على المسلمين واخرابا لما استحسنوا من آلاتها (وأيدى المؤمنين) فانهم أيضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على أيديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال أو تفسير للرعب وقرأ أبو عمرو يخربون بالتشديد وهو أبلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل أو ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم (فاعتبروا ياأولى الابصار) فانظروا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على أن القياس حجة من حيث انه أمر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ماقررناه فى الكتب الاصولية (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من أوطانهم (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف معناه أنهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) الاشارة الى ماذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وماهو معدلهم أو الى الاخير (ماقطعتم من لينة) أى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على ألوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها ألبان (أو تركتموها) الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة (قائمة على أصولها) وقرئ أصلها كتفاء بالضمة عن الواو أو على أنه كرهن (فباذن الله) فبامره (وليخزى الفاسقين) علة لمحذوف أى وفعلتم أو وأذن لكم فى القطع ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه السلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا قد كنت ياأحمد تنهى عن الفساد فى الارض فمابال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم (وما أفاء الله على رسوله) وما أعاده عليه بمعنى صيره له أورده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ماخلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين (منهم) من بنى النضير أو من الكفرة (فما أوجفتم عليه) فما أجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فى فىء بنى النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا أو حمارا ولم يجر من يد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) بقذف الرعب فى قلوبهم (والله على كل شئ قدير) فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه (فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف فى قسم الفىء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة السلام الى الامام على

شدة اهتمامهم بالمنع وأما الدلالة على اعتقادهم فى أنفسهم الخ فلان اسناد الجملة المذكورة الى الضمير الذى هو عبارة عنهم يدل على ايقاع الحكم المذكور صريحا على أنفسهم بخلاف مالو قيل ان حصونهم تمنعهم من الله فانه لايقع الحكم على أنفسهم صريحا انما يعلم ضمنا (قوله من حيث انه أمر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها) أى حمل حال على حال أخرى فى حكم لان المراد من اعتبروا لامر بالعبور من حال الى حال أى من حال الكثرة المذكورة الى حال أنفسهم ولايخفى ان القياس المجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فيكون القياس مأمورا به فيكون حجة وانما قال استدل بصيغة التضعيف لان الاستدلال به ضعيف قد بينه المصنف فى منهاج الاصول (قوله اكتفاء بالضمة عن الواو الخ) أى يكون أصل فى الاصل أصول فحذف الواو اكتفاء بالضمة أو على انه جمع أصل كرهن بضمتين جمع رهن (قوله فانه كان حقيقا بان يكون له الخ) المذكور حقيق بان يكون للرسول لانه جدير بان يكون للمطيعين لما ذكر

قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور (كيلا يكون) أى الفيء الذى حقه أن يكون للفقراء وقرأ هشام فى رواية بالتاء (دولة بين الاغنياء منكم) الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم وأخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة أى كيلا يقع دولة جاهلية (وما آتاكم الرسول) وما أعطاكم من الفيء أو من الامر (فخذوه) لانه حلال لكم أو فتمسكوا به لانه واجب الطاعة (ومانهاكم عنه) عن أخذه منه أو عن اتيانه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفة رسوله (ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (للفقراء المهاجرين) بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن أعطى أغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده أو الفيء بفيء بنى النضير (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) فان كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم (وينصرون الله ورسوله) بأنفسهم وأموالهم (أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم (والذين تبوّؤا الدار والايمان) عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار الذين ظهر صدقهم فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام أو تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره (من قبلهم) من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوّؤا الدار من قبلهم والايمان (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل عليهم (ولا يجدون فى صدورهم) فى أنفسهم (حاجة) ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ (مما أوتوا) مما أعطى المهاجرون من الفيء وغيره (ويؤثرون على أنفسهم) ويقدمون المهاجرين على أنفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من أحدهم (ولو كان بهم خصاصة) حاجة من خصاص البناء وهى فرجه (ومن يوق شح نفسه) حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا حين قوى الاسلام أو التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أى لاخواننا فى الدين (ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) حقدا لهم (ربنا انك رؤف رحيم) فحقيق بان تجيب دعاءنا (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يريد الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر أو الصداقة والموالاة (لئن أخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم) فى قتالكم أو خذلانكم (احدا أبدا) أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وان قوتلتم لننصرنكم) لنعاونكم (والله يشهد انهم لكاذبون) لعلمه بأنهم لا يفعلون ذلك كما قال (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان كذلك فان ابن أبى وأصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم أخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الادبار) انهزاما (ثم لا ينصرون) بعد بل يخذلهم الله ولا ينفعهم نصرة المنافقين أو نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل أن يكون لليهود وأن يكون للمنافقين (لانتم أشد رهبة) أى أشد رهبا هو بية مصدر للفعل المبنى للمفعول (فى صدورهم) فانهم

(قوله كالغنيمة) فانها الخمس والخمس منها للمذكورين فى الآية والاخماس الاربعة للمقاتلين وهو تعليل للفيء الذى هو فى الاصل بمعنى العود فكانه قيل انما عبر بالاعادة التى هى فى الاصل عبارة عن تحصيل شئ لشئ بعد ان حصل له أولا لانه صلى الله عليه وسلم حقيق به فكانه حصل له أولا ثم أعيد اليه (قوله أو الفيء بفيء بنى النضير) يعنى من أعطى أغنياء ذوى القربى من الفيء فاما ان يجعل للفقراء المهاجرين بدلا من اليتامى الخ حتى يكون ذوى القربى باقيا على عمومه شاملا للاغنياء واما ان يجعل الفيء المخصوص بفقراء ذوى القربى والمذكورين بعدهم فى النضير وأما فى غيرهم فيعطى الاغنياء ذوو القربى أيضا (قوله كان يقسم خمس كذلك) أى تقسيم الخمس الفيء كما ذكروا الاخماس الاربعة الباقية من الفيء خاصة له لكن الآن تلك الاخماس على الخلاف المذكور (قوله اذ ضمير الفعلين الخ) المراد من الفعلين ليولون ولا ينصرون فان كانا راجعين الى اليهود كان المعنى هو الاول وان كانا راجعين الى المنافقين كان المعنى هو الثانى

كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين (من الله) على مايظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله (ذلك بانهم قوم لايفقهون) لايعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا أنه الحقيق بان يخشى (لايقاتلونكم) اليهود والمنافقون (جميعا) مجتمعين متفقين (الافى قرى محصنة) بالدروب والخنادق (أومن وراء جدر) لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار وأمال أبو عمرو فتحة الدال (بأسهم بينهم شديد) أى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم (ذلك بانهم قوم لايعقلون) مافيه صلاحهم وأن تشتت القلوب يوهن قواهم (كمثل الذين من قبلهم) أى مثل اليهود كمثل أهل بدر أو بنى قينقاع ان صح أنهم أخرجوا قبل النضير أو المهلكين من الامم الماضية (قريبا) فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (كمثل الشيطان) أى مثل المنافقين فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) أغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور (فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) تبرأ عنه مخافة أن يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال (فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) والمراد من الانسان الجنس وقيل أبو جهل قال له ابليس يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على أنه خبر ان وفى النار لغو (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) ليوم القيامة سماه به لدنوه أولان الدنيا كيوم والآخرة كغده وتنكيره للتعظيم وأما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدم للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك (واتقوا الله) تكرير للتاكيد أو الاول فى أداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله (ان الله خبير بما تعملون) وهو كالوعيد على المعاصى (ولاتكونوا كالذين نسوا الله) نسوا حقه (فأنساهم أنفسهم) فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الهول ما أنساهم أنفسهم (أولئك هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق (لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا للجنة والذين استهنوها فاستحقوا النار واحتج به أصحابنا على أن المسلم لايقتل بالكافر (أصحاب الجنة هم الفائزون) بالنعيم المقيم (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) تمثيل وتخييل كما مر فى قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فان الاشارة اليه والى أمثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام (هو الله الذى لااله الا هو عالم الغيب والشهادة) ماغاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وماحضر له من الاجرام وأعراضها وتقديم الغيب لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لااله الا هو الملك القدوس) البالغ فى النزاهة عما يوجب نقصا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته هاء (العزيز الجبار) الذى جبر خلقه على ما أراد أو جبر عاهم بمعنى أصلحه (المتكبر) الذى تكبر عن كل ما

(قوله على مايظهرونه نفاقا) أى على الطريق الذى يظهرونه نفاقا لان استبطان أى اخفاء رهبة المؤمنين سبب لاظهار رهبة الله أى لما خافوا من المؤمنين نافقوا وأظهروا الايمان والرهبة من الله فكان رهبتهم من المؤمنين أشد من رهبتهم من الله اما لان الاول باطنى والثانى أمر ظاهرى والاول أقوى من الثانى واما لان الاول سبب والثانى مسبب والسبب أقوى من المسبب (قوله اذ التقدير لوجود مثل) أى حصوله فيكون العامل فى قريبا معنى مصدريا (قوله وفى النار لغو) أى ظرف لغو وهو الذى متعلقه مذكور لان المعنى انهما خالدان فى النار فيها حتى يكون الثانى تأكيدا للاول والتقديم لافادة الاختصاص وأما على النصب فهو ظرف مستقر لان متعلقه أمر مقدر هو كائنان اذ المعنى انهما كائنان فى النار (قوله فلاستقلال الانفس النواظر الخ) أى للاشعار بان الانفس الناظرة قليلة وتقليلها كانها نفس واحدة

يوجب حاجة أو نقصانا (سبحان الله عما يشركون) اذ لا يشركه فى شئ من ذلك (هو الله الخالق) المقدر للاشياء على مقتضى حكمته (البارئ) الموجد لها برئا من التفاوت (المصور) الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ومن أراد الاطناب فى شرح هذه الاسماء وأخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى (له الاسماء الحسنى) لانها دالة على محاسن المعانى (يسبح له ما فى السموات والارض) لتنزهه عن النقائص كلها (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات بأسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

﴿سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة فانه لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو أهل مكة كتب اليهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسل كتابه مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام فأعلم رسول الله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فهموا بالرجوع فسل على رضى الله تعالى عنه السيف فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت أن آخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره (تلقون اليهم بالمودة) تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة أو أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لاولياء جرت على غير من هى له ولا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل أحد الفعلين (يخرجون الرسول وإياكم) أى من مكة وهو حال من كفروا أو استئناف لبيانه (أن تؤمنوا بالله ربكم) بأن تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان (ان كنتم خرجتم) عن أوطانكم (جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا (تسرون اليهم بالمودة) بدل من تلقون أو استئناف معناه أى طائل لكم فى اسرار المودة أو الاخبار بسبب المودة (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى منكم وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية (ومن يفعله منكم) أى من يفعل الاتخاذ (فقد ضل سواء السبيل) أخطأه (ان يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) ولا ينفعكم القاء المودة اليهم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) ما يسوءكم كالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا ارتدادكم ومجىء ودوا وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شئ وأن وداداتهم حاصلة وان لم يثقفوكم (لن تنفعكم أرحامكم) قرابتكم (ولا أولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم غدا وقرأ حمزة والكسائى بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول وهو بينكم وقرأ عاصم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (قد كانت لكم أسوة حسنة)

﴿سورة الممتحنة﴾ (قوله للتعليق) أى لتعليق الجزاء المقدر بالشرط يعنى تعليق النهى عن اتخاذ الكافرين أولياء بالخروج بسبب الجهاد وابتغاء مرضاة الله

(قوله ولكم لغو) اى ظرف لغو متعلق بكانت (قوله ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه) جواب سؤال مقدر وهو ان ما أملك لك من الله من شئ ليس ممنوعا من أن يقوله المؤمنون بل لو قاله المؤمن لآخر لكان حسنا فلا ينبغي أن يكون داخلا في المستثنى والا لم يحسن أن يقوله مؤمن لآخر كما أنه لا ينبغي الاستغفار للكافر فأجاب بان مجموع القولين مستثنى ولا يلزم من استثناء مجموع القولين استثناء كل منهما اذ الاستثناء اخراج شئ عن شئ ولما كان واحد

من الجزأين المذكورين خارجا ومستثنى صح أن يقال المجموع مستثنى اذ استثناء الكل يحصل باخراج جزء واحد لانه يوجب خروج المجموع من حيث المجموع (قوله فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن أن يترك التأسي بهم الخ) لان المفهوم من الآية ان من آمن بالله واليوم الآخر لهم أسوة حسنة في ابراهيم فمن ترك الاسوة الحسنة كان مؤديا السوء عقيدته (قوله لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من قبل) وجهان أحدهما أن يكون المعنى غفور لما فرط منكم من الميل لان الميل الى الكفار غير مرضي والثاني أن يكون المعنى رحيم لكم لاجل ما بقي في قلوبكم من الرحمة على ذوي الارحام فهذه الرحمة طبيعية غير مؤاخذ بها والاول اختيار وعلى الاول حمل قول الزمخشري لما رأى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد رحمهم ووعدهم بتيسير ما تمنوه (قوله لقوله

قدوة اسم لما يؤتسى به (في ابراهيم والذين معه) صفة ثانية أو خبر كان ولكم لغو أو حال من المستكن في حسنة أو صلة لها لا لاسوة لانها وصفت (اذ قالوا لقومهم) ظرف لخبر كان (انا برآء منكم) جمع بريء كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أي بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فتنقلب العداوة والبغضاء ألفة ومحبة (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) استثناء من قوله أسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي أن يأتسوا به فانه كان قبل النهي أو لموعدة وعدها اياه (وما أملك لك من الله من شئ) من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) متصل بما قبل الاستثناء أو أمر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله (واغفر لنا) ما فرط منا (ربنا انك أنت العزيز الحكيم) ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة) تكرير لمزيد الحث على التأسي بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وأبدل قوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) من لكم فانه يدل على أنه لا ينبغي لمؤمن أن يترك التأسي بهم وأن تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) فانه جدير بان يوعد به الكفرة (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) لما نزل لا تتخذوا عادي المؤمنون أقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وأنجز اذ أسلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء (والله قدير) على ذلك (والله غفور رحيم) لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله (أن تبروهم) بدل من الذين (وتقسطوا اليهم) وتفضوا اليهم بالقسط أي العدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين روي أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين (أن تولوهم) بدل من الذين بدل الاشتمال (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية في غير موضعها (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان (الله أعلم بايمانهن) فانه المطلع على ما في قلوبهن (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به (فلا ترجعوهن الى الكفار) أي الى أزواجهن الكفرة لقوله (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) والتكرير للمطابقة وللمبالغة أو الاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن

لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أي المراد من الكفار الازواج والا لم يكن لقوله تعالى ولا هم يحلون لهن الخ فائدة اذ من المعلوم ان غير الازواج ليس بينهم وبينهن حل (قوله للمطابقة) هي ان يذكر شيآن بينهما تقابل في الجملة فان حكم الرجل يقابل حكم المرأة (قوله أو الاول لحصول الفرقة الخ) أي عدم حل الزوجات لهم لحصول الفرقة بالاسلام وعدم حل الازواج لهن للدلالة على منع الاستئناف للنكاح وغرضه انه ليس هنا تكرير معنى واحد بل معنى الجملة الاولى حصول الفرقة بين الزوجين المذكورين ومعنى

الاستئناف (وآتوهم ما أنفقوا) ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روى أنه عليه السلام كان بعد الحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله تعالى عنه (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) فان الاسلام حال بينهن وبين أزواجهن الكفار (اذا آتيتموهن أجورهن) شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد (واسئلوا ما أنفقتم) من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار (وليسئلوا ما أنفقوا) من مهور أزواجهم المهاجرات (ذلكم حكم الله) يعني جميع ما ذكر في الآية (يحكم بينكم) استئناف أو حال من الحكم على حذف الضمير أو جعل الحكم حاكما على المبالغة (والله عليم حكيم) يشرع ما تقتضيه حكمته (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شئ من أزواجكم) أحد من أزواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم أو شئ من مهورهن (الى الكفار فعاقبتم) فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) فان الايمان به يقتضي التقوى منه (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف) في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع أن الرسول لا يامر الا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق (فبايعهن) اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني عامة الكفار أو اليهود اذ روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قد يئسوا من الآخرة) لكفرهم بها أو لعلمهم بانهم لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أن يبعثوا أو يثابوا أو ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على أن الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

﴿سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) سبق تفسيره (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روي أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فولوا يوم أحد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والالف حذف على حذف الف الاستفهام مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) المقت أشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة

الثانية منع الزوج عن استئناف النكاح (قوله أبى المشركون أن يردوا مهر الكوافر فنزلت) أي فنزلت الآية فأفادت ان المؤمنين يعطوا مهر الكوافر الى أزواجهن المؤمنين قال العلامة الطيبي ان فاتت امرأة مسلم الى الكفار ولم يعط الكفار مهرها فاذا فاتت امرأة من المشركين مهرها مثل مهر زوجته الفائتة أعطى من مهر هذه المهاجرة ليكون كالعوض لمهر زوجته الفائتة الى الكفار ولا يجوز أن يعطى مهر هذه المهاجرة الى زوجها الكافر (قوله وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير الخ) لان الكافر بسبب كفره يئس من البعث لاعتقاده عدم وقوعه

﴿سورة الصف﴾

(قوله واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه) أي اتصالهما وتوافقهما فيه أي لما اتصلا وتوافقا فيه ناسب ان يجعلا في صورة حرف واحد

على أن قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة فى المنع عنه (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) مصطفين مصدر وصف به (كأنهم بنيان مرصوص) فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه (واذ قال موسى لقومه) مقدر باذكروا وكان كذا (ياقوم لم تؤذوننى) بالعصيان والرمى بالأدرة (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم (فلما زاغوا) عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب (والله لا يهدى القوم الفاسقين) هداية موصلة الى معرفة الحق أو الى الجنة (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل) ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا) فى حال تصديقى لما تقدمنى من التوراة وتبشيرى برسول يأتى من بعدى والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل (برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام والمعنى ان دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه فذكر أول الكتب المشهورة الذى حكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم المرسلين (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الاشارة الى ما جاء به أو اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على أن الاشارة الى عيسى عليه السلام (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) أى لا أحد أظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه (والله لا يهدى القوم الظالمين) لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم (يريدون ليطفؤا) أى يريدون أن يطفؤا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا أبالك أو يريدون الافتراء ليطفؤا (نور الله) يعنى دينه أو كتابه أو حجته (بأفواههم) بطعنهم فيه (والله متم نوره) مبالغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة (ولو كره الكافرون) ارغامالهم (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالقرآن أو المعجزة (ودين الحق) والملة الحنيفية (ليظهره على الدين كله) ليغلبه على جميع الاديان (ولو كره المشركون) لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جىء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك (ذلكم خير لكم) يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله (يغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل أدلكم لان مجرد دلالته لا توجب المغفرة (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة (وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة باضمار يعطيكم أو تحبون أو مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الاول بدل أو بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل أو الاختصاص أو المصدر (وفتح قريب) عاجل (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل

(قوله لا الجار الخ) أى ليس العامل فيهما حرف الجر الذى هو الى فى اليكم اذ هو صلة الرسول فلا يعمل وانما يعمل اذا كان مستقرا بتقدير عامل (قوله وانما جىء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك) يعنى لو جىء بلفظ الامر لكان ظاهرا فى انه لم يكن حاصلا لكنه يطلب حصوله واذا أورد بلفظ الخبر كان ظاهرا فى أنه حاصل ولم يترك (قوله وعلى قول النصب خبر محذوف) أى على القول بان أخرى منصوبة يكون نصر من الله خبر محذوف (قوله وقرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل) أى الاختصاص أو المصدر فالاول على تقدير أن يكون أخرى منصوبا والثانى بتقدير أعنى والثالث بتقدير نصر نصرا من الله وفتح فتحا قريبا

يأيها الذين آمنوا بشر أو على تؤمنون فانه فى معنى الامر كأنه قال آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يارسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا (يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) وقرأ الحجازيان وأبو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض أنصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) أى من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) والاضافة الاولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قول لهم كما قال عيسى بن مريم أو كونوا أنصارا كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) أى بعيسى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) بالحجة أو بالحرب وذلك بعد رفع عيسى (فأصبحوا ظاهرين) فصاروا غالبين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الاميين) أى فى العرب لان أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن (رسولا منهم) من جملتهم أميا مثلهم (يتلوا عليهم آياته) مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم (ويزكيهم) من خبائث العقائد والاعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والشريعة أو معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبى يرشدهم وازاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم وان هى المخففة واللام تدل عليها (وآخرين منهم) عطف على الاميين أو المنصوب فى يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع (لما يلحقوا بهم) لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون (وهو العزيز) فى تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة (الحكيم) فى اختياره وتعليمه (ذلك فضل الله) ذلك الفضل الذى امتاز به عن أقرانه فضله (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا أو نعيم الآخرة أو نعيمهما (مثل الذين حملوا التوراة) علموها وكلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بها أو لم ينتفعوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل أو صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ويجوز أن يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا (والله لا يهدى القوم الظالمين قل يأيها الذين هادوا) تهودوا (ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس) اذ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه (فتمنوا الموت) فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة (ان كنتم صادقين) فى زعمكم (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى (والله عليم بالظالمين) فيجازيهم على أعمالهم (قل ان الموت الذى تفرون منه) وتخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم (فانه ملاقيكم) لا حق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكأن فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز أن يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة (ثم تردون الى

(قوله ليطابق قوله الخ) أى يجب أن يكون الى بمعناها والتقدير ماذكر لا أن يكون بمعنى مع لانه لا يناسب قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله (قوله والاضافة الاولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر الخ) أى اضافة أنصارى الاضافة المذكورة وأما الاضافة الثانية وهو أنصار الله فمن اضافة اسم الفاعل الى المفعول

﴿سورة الجمعة﴾

(قوله وازاحة لما يتوهم ان الرسول يعلم ذلك من معلم) لانهم لما كان كلهم فى ضلال مبين لم يكن بينهم من يعلم النبى منهم (قوله والعامل فيه معنى المثل) والتقدير كمثل الحمار مماثلته حاملا اسفارا (قوله مثل الذين كذبوا) يعنى ان المخصوص محذوف وأقيم المضاف اليه مقامه

عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) بان يجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) أى اذا أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لاذا وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤى لاجتماع الناس فيه اليه وأول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم المدينة نزل قباء فاقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى وادى بنى سالم بن عوف (فاسعوا الى ذكر الله) فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها (وذروا البيع) واتركوا المعاملة (ذلكم) أى السعى الى ذكر الله (خير لكم) من المعاملة فان نفع الآخرة خير وأبقى (ان كنتم تعلمون) الخير والشر الحقيقيين أو ان كنتم من أهل العلم (فاذا قضيت الصلاة) أديت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واذكروه فى مجامع أحوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة (لعلكم تفلحون) بخير الدارين (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عليه عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة بالرد للكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته أو للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو أولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه (وتركوك قائما) أى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما (والله خير الرازقين) فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين

﴿سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله (والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) لانهم لم يعتقدوا ذلك (اتخذوا أيمانهم) حلفهم الكاذب أو شهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم (جنة) وقاية من القتل والسبى (فصدوا عن سبيل الله) صدا أو صدودا (انهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم (ذلك) اشارة الى الكلام المتقدم أى ذلك القول الشاهد على سوء أعمالهم أو الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان (بانهم آمنوا) بسبب أنهم آمنوا ظاهرا (ثم كفروا) سرا أو آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة (فطبع على قلوبهم) حتى تمرنوا على الكفر فاستحكموا فيه (فهم لا يفقهون) حقية الايمان ولا يعرفون صحته (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لضخامتها وصباحتها (وان يقولوا تسمع لقولهم) لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمع مثله فيعجب بهيكلهم ويصغى الى كلامهم (كأنهم خشب مسندة) حال من الضمير المجرور فى لقولهم أى تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى

﴿سورة المنافقين﴾

(قوله ولذلك صدق المشهود به) لا يخفى ان كون الشهادة ماذكر لا يوجب تصديق المشهود به وانما هو سبب لتكذيبهم فى الشهادة

نخرجوفها شهوابها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ أبو عمرو والكسائى وقنبل عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف أو على انه كبدن فى جمع بدنة (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم لجبنهم وتهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز أن يكون صلته والمفعول (هم العدو) وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله (فاحذرهم) عليه يدل على أن الضمير للمنافقين (قاتلهم الله) دعاء عليهم وهو طلب من ذاته أن يلعنهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك وقرأ نافع بتخفيف الواو (ورأيتهم يصدون) يعرضون عن الاستغفار (وهم مستكبرون) عن الاعتذار (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق (هم الذين يقولون) أى للانصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يعنون فقراء المهاجرين (ولله خزائن السموات والارض) بيده الارزاق والقسم (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى أن اعرابيا نازع أنصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكى الى ابن أبى فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراآت مصدرا وحال على تقدير مضاف نحو خروج أو اخراج أو مثل (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين (ولكن المنافقين لا يعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوات وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذا قال (ومن يفعل ذلك) أى اللهو بها وهو الشغل (فأولئك هم الخاسرون) لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) بعض أموالكم ادخارا للآخرة (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى يرى دلائله (فيقول رب لولا أخرتنى) هلا أمهلتنى (الى أجل قريب) أمد غير بعيد (فأصدق) فأتصدق (وأكن من الصالحين) بالتدارك وجزم أكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ أبو عمرو وأكون منصوبا عطفا على فأصدق وقرئ بالرفع على وأنا أكون فيكون عدة بالصلاح (ولن يؤخر الله نفسا) ولن يمهلها (اذا جاء أجلها) آخر عمرها (والله خبير بما تعملون) فجازعليه وقرأ أبو بكر بالياء ليوافق ما قبله فى الغيبة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

* سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمانى عشرة آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض) بدلالتها على كماله واستغنائه (له الملك وله الحمد) قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال (هو الذى خلقكم فمنكم كافر) مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه (ومنكم مؤمن) مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه (والله بما تعملون بصير) فيعاملكم بما يناسب أعمالكم (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة (وصوركم

(قوله وجمعه بالنظر الى الخبر) أى الظاهر ان يقال كل صيحة عليهم هى العدو لانه راجع الى كل صيحة لكنه جمع بالنظر الى الخبر لان العدو كثير ذو عقول (قوله وجزم أكن للعطف على موضع الفاء وما بعده) لان التقدير ان أمهلتنى لاجل القريب أصدق فيكون أصدق مجزوما محلا بجواب الشرط

* سورة التغابن *

(قوله من حيث الحقيقة) انما قيد بذلك ليفيد ان جميع النعم مخلوقة له تعالى واعطاؤها منه حقيقة لا من غيره وليس لغيره مدخل فيه فى الحقيقة لان المتبادر من التركيب ان جميع الملك والحمد له حقيقة والتخصيص بالبعض باعتبار انه لما كان خالق القدرة العبد وارادته فكان كل ما فعله العبد من الفعل الجميل بسبب فعل الله فحمد العبد راجع الى حمد الله تعالى بهذا التأويل خروج عن الظاهر ولا حاجة اليه (قوله ثم شرع فيما ادعاه) وهو قدرته تعالى على كل شئ

فأحسن صوركم) فصوركم من جملة ماخلق فيهما بأحسن صورة حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات (واليه المصير) فأحسنوا سرائركم حتى لايمسخ بالعذاب ظواهركم (يعلم مافى السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور) فلايخفى عليه مايصح أن يعلم كليا كان أوجزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته أولا وبالذات وعلى علمه بمافيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء (ألم يأتكم) ياأيها الكفار (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام (فذاقوا وبال أمرهم) ضرر كفرهم فى الدنيا وأصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (ذلك) اى المذكور من الوبال والعذاب (بأنه) بسبب أن الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) أنكروا وتعجبوا من أن يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن التدبر فى البينات (واستغنى الله) عن كل شئ فضلا عن طاعتهم (والله غنى) عن عبادتهم وغيرها (حميد) يدل على جوده كل مخلوق (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن بمافى حيزه (قل بلى) أى بلى تبعثون (وربى لتبعثن) قسم أكد به الجواب (ثم لتنبؤن بما عملتم) بالمحاسبة والمجازاة (وذلك على الله يسير) لقبول المادة وحصول القدرة التامة (فآمنوا بالله ورسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن فانه بالمعجزة ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه (والله بما تعملون خبير) فجاز عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن أو مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم (ليوم الجمع) لاجل مافيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين (ذلك يوم التغابن) يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقى وهو التغابن فى أمور الآخرة لعظمها ودوامها (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) أى عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما (ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) كالها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له (ماأصاب من مصيبة الا باذن الله) الا بتقديره وارادته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة أى يسكن (والله بكل شئ عليم) حتى القلوب وأحوالها (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) أى فان توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك (ياأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) يشغلكم عن طاعة الله أو يخاصمكم فى أمر الدين أو الدنيا (فاحذروهم) ولاتأمنوا غوائلهم (وان تعفوا) عن ذنوبهم بترك المعاقبة (وتصفحوا) بالاعراض وترك التثريب عليها (وتغفروا) باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ماعملتم ويتفضل عليكم (انما أموالكم وأولادكم فتنة) اختبار لكم (والله عنده أجر عظيم) لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم (فاتقوا الله ماستطعتم) أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا) فى وجوه

(قوله فانه بالمعجزة ظاهر بنفسه الخ) هذا بيان معنى النور (قوله لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء الخ) هذا غبن فى الحقيقة فان الغبن أخذ الامر النافع من الغير وأما نزول الاشقياء منازل السعداء لو كانوا أشقياء فغبن على طريق التهكم كما صرح صاحب به فى الكشاف (قوله كأنها والآية المتقدمة الخ) لانه يفهم من الاثنين منازل السعداء والاشقياء وفيها اشعار بالتغابن

الخير خالصا لوجهه (خيرا لانفسكم) أى افعلوا ماهو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره انفاقا خيرا أو خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) سبق تفسيره (ان تقرضوا الله) تصرفوا المال فيما أمره (قرضا حسنا) مقرونا باخلاص وطيب قلب (يضاعفه لكم) يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة وأكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم (ويغفر لكم) ببركة الانفاق (والله شكور) يعطى الجزيل بالقليل (حليم) لايعاجل بالعقوبة (عالم الغيب والشهادة) لايخفى عليه شئ (العزيز الحكيم) تام القدرة والعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة والله أعلم

﴿سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة أو احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ياأيها النبى اذا طلقتم النساء) خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام أمته فنداؤه كندائهم أولان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه (فطلقوهن لعدتهن) أى فى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان ومايشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على أن العدة بالاطهار وأن طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى ان يكون فى الطهر وأنه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لايستلزم الفساد كيف وقد صح أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لما طلق امرأته حائضا أمره النبى صلى الله عليه وسلم بالرجعة وهو سبب نزوله (وأحصوا العدة) واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة والاضرار بهن (لاتخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن (ولايخرجن) باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لايعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الاول والمعنى الا أن تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها أو الا أن تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها أو من الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على أن خروجها فاحشة (وتلك حدود الله) الاشارة الى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) بان عرضها للعقاب (لاتدرى) أى النفس أو أنت أيها النبى أو المطلق (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) وهو الرغبة فى المطلقة برجعة أو استئناف (فاذا بلغن أجلهن) شارفن آخر عدتهن (فامسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن عشرة وانفاق مناسب (أوفارقوهن بمعروف) بايفاء الحق وانقاء الضرار مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها (وأشهدوا ذوى عدل منكم) على الرجعة أو الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة (وأقيموا الشهادة) أيها الشهود عند الحاجة (لله) خالصا لوجهه (ذلكم يوعظ به) يريد الحث على الاشهاد والاقامة أو على جميع مافى الآية (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) فانه المنتفع به والمقصود تذكره (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) جملة اعتراضية مؤكدة لماسبق بالوعد على الانقاء عما نهى عنه صريحا أو ضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من

(قوله والمعنى اذا أردتم تطليقهن) انما أول بذلك لان المتبادر من ظاهر الكلام اذا طلقتم النساء فطلقوهن مرة أخرى وهو غير مراد (قوله فان اللام فى الازمان ومايشبهها للتوقيت) هذا الحكم فيما يشبهها صحيح وأما فى الاوقات أنفسها فلا اذ يلزم تكرار الوقت مرتين أحدهما اللام دلت على الوقت والثانى نفس الوقت والظاهر أن يقال ان اللام فى الاوقات بمعنى فى وقدم من المصنف فى قوله تعالى قل انما علمها عند ربى لايجليها لوقتها الاهو ان اللام فى لوقتها للتوقيت وتكلمنا عليه (قوله وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار الخ) لانه لو كانت بالحيض لاحتيج الى تقدير وهو خلاف الظاهر واذا كانت العدة بالاطهار ينبغى أن يكون الطلاق فى الطهر اذ لو كان فى الحيض لزم تطويل العدة وكذا يدل على انه يحرم فى الحيض لانه تعالى أمر بالطلاق فى الطهر فلزم النهى عنه فى الحيض لما ذكر (قوله صريحا أو ضمنا) فالثانى هو الانقاء عن الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة لانهما منهيان عنهما ضمنا لا صريحا وأما الاول وهو مانهى عنه صريحا فالاخراج من المسكن وتعدى حدود الله

وجه لم يخطر بباله أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون أو كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى أن سالم بن عوف ابن مالك الاشجعى أسره العدو وفشكا أبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اتق الله وأكثر قول لاحول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها وفى رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ أمره) يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ أمره أى نافذ وبالغا على أنه حال والخبر (قد جعل الله لكل شئ قدرا) تقديرا أو مقدارا أو أجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن (ان ارتبتم) شككتم فى عدتهن أى جهلتم (فعدتهن ثلاثة أشهر) روى أنه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللاتى لم يحضن فنزلت (واللائى لم يحضن) أى واللائى لم يحضن بعد كذلك (وأولات الاحمال أجلهن) منتهى عدتهن (ان يضعن حملهن) وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا لان عموم أولات الاحمال بالذات وعموم أزواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح أن سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجى ولانه متأخر النزول فتقديمه فى العمل تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه (ومن يتق الله) فى أحكامه فيراعى حقوقها (يجعل له من أمره يسرا) يسهل عليه أمره ويوفقه للخير (ذلك أمر الله) اشارة الى ما ذكر من الاحكام (أنزله اليكم ومن يتق الله) فى أحكامه فيراعى حقوقها (يكفر عنه سيآته) فان الحسنات يذهبن السيآت (ويعظم له أجرا) بالمضاعفة (أسكنوهن من حيث سكنتم) أى مكانا من مكان سكناكم (من وجدكم) من وسعكم أى مما تطيقونه أو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم (ولا تضاروهن) فى السكنى (لتضيقوا عليهن) فتلجؤهن الى الخروج (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده (فان أرضعن لكم) بعد انقطاع علقة النكاح (فآتوهن أجورهن) على الارضاع (وائتمروا بينكم بمعروف) وليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر (وان تعاسرتم) تضايقتم (فسترضع له أخرى) امرأة أخرى وفيه معنى للام على المعاسرة (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أى فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى عاجلا أو آجلا (وكأين من قرية) أهل قرية (عتت عن أمر ربها ورسله) أعرضت عنه اعراض العاتى المعاند (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقيق (فذاقت وبال أمرها) عقوبة كفرها ومعاصيها (وكان عاقبة أمرها خسرا) لا ربح فيه أصلا (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها فى قوله (فاتقوا الله يا أولى الالباب) ويجوز

بسبب انها مشتملة على الوعد بالاتقاء المذكور والوعد هو أن يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج أو بسبب الوعد لعامة المتقين (قوله لان عموم أولات الأحمال بالذات وعموم أزواجا بالعرض) لان الجمع المعرف موضوع للعموم دون المنكر فانه عم فبسبب شئ آخر (قوله والحكم معلل ههنا بخلافه ثم) أى الحكم بأن أولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن علته معللة لان عند وضع الحمل تتيقن براءة الرحم وامانر بص أربعة أشهر وعشرا فلا يتيقن منه البراءة (قوله فتقديمه تخصيص الخ) أى ترجيح هذه الآية واعتبار عمومها تخصيص للآية السابقة فى النزول وترجيح الآية السابقة على الآية اللاحقة مستلزم لبناء العام الذى هو أولات الاحمال أجلهن الخ على الخاص الذى هو والذين يتوفون منكم الخ أى بأن يجعل العام مرادا منه بعض الافراد الذى هو غير المتوفى عنها زوجها لكن الاول راجح لان التخصيص متفق عليه بخلاف بناء العام على الخاص فانه مما يختلف فيه العلماء

أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلا (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا) يعنى بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر وهو القرآن أو لانه مذكور فى السموات أو ذا ذكر أى شرف أو محمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا أو لانه مسبب عن انزال الوحى اليه وأبدل منه رسولا للبيان أو أراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو ذكرا مصدر ورسولا مفعوله أو بدله على أنه بمعنى الرسالة (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) حال من اسم الله أو صفة رسولا والمراد بالذين آمنوا فى قوله (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الذين آمنوا بعد انزاله أى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه يؤمن (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون (قد أحسن الله له رزقا) فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب (الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الارض مثلهن) أى وخلق مثلهن فى العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر (يتنزل الامر بينهن) أى يجرى أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) علة لخلق أو لينزل أو مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) روى أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية فى نوبة عائشة رضى الله تعالى عنها أو حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت (تبتغى مرضات أزواجك) تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف لبيان الداعى اليه (والله غفور) لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما أحله الله (رحيم) رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة أو الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج بها من رأى التحريم مطلقا أو تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام أتى بلفظ اليمين كما قيل (والله مولاكم) متولى أمركم (وهو العليم) بما يصلحكم (الحكيم) المتقن فى أفعاله وأحكامه (واذ أسر النبى الى بعض أزواجه) يعنى حفصة (حديثا) تحريم مارية أو العسل أو أن الخلافة بعده لابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما (فلما نبأت به) أى فلما أخبرت حفصة عائشة رضى الله تعالى عنهما بالحديث (وأظهره الله عليه) واطلع النبى عليه الصلاة والسلام على الحديث أى على افشائه (عرف بعضه) عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت (وأعرض عن بعض) عن اعلام بعض تكرما أو جازاها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائى بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى

(قوله وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا) أى استعير الذكر لمحمد صلى الله عليه وسلم فعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا لان الترشيح ذكر ما يلائم المستعار منه (قوله أو لانه مسبب عن انزال الوحى اليه) أى عبر عن ارساله بالانزال لعلاقة ان الارسال سبب عن انزال الوحى اليه (قوله والمراد بالذين) أى المقصود من رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات رسولا بالذين أى ملتبسا به مبينا له كقوله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فراده بقوله بالذين ملتبسا به فيكون يتلوا عليكم آيات الله قائما مقام ملتبسا بالذين وفى بعض النسخ والمراد به الذين وهو الاصح

﴿سورة التحريم﴾

(قوله وقيل شرب عسلا) ظاهره يدل على ان الاصح فى سبب النزول قصة مارية لكن فى بعض التفاسير ان العلماء على ان الصحيح فى سبب نزول الآية انها فى قصة العسل لا فى قصة مارية المروية فى غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح وقال العلامة الطيبى ان قصة العسل رواها البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن عائشة وأما حديث مارية فما وجدته فى الكتب المشهورة (قوله فلما أخبرت حفصة عائشة بالحديث الخ) لا يخفى ان قصة العسل لا تناسب اخبار حفصة عائشة بالحديث (قوله لكن المشدد من باب اطلاق العليم

المسبب للسبب الخ) أى ذا قرئ عرف بالتشديد وأريد المجازاة بالتطليق كان من باب اطلاق المسبب للسبب لان الطلاق سبب للتعريف لانه اذا طلقت الزوجة بسبب مافعلت عرفت بانه صلى الله عليه وسلم اطلع على مافعلت واذا قرئ بالتخفيف وأريد المجازاة المذكورة كان من باب اطلاق اسم السبب على المسبب لان معرفته صلى الله عليه وسلم لما فعلته الزوجة كانت سببا للطلاق (قوله فانه أوفق للاعلام المذكور) انما قال أوفق لامكان أن يكون المراد بنبأها معناه الحقيقى

ويكون المراد من عرف المجازاة

العليم الخبير) فانه أوفق للاعلام (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما مايوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة رسول الله عليه الصلاة والسلام بحب مايحبه وكراهة ما يكرهه (وان تظاهرا عليه) وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه (والملائكة بعد ذلك ظهير) متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ماينصره الله تعالى به (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه مايدل على انه لم يطلق حفصة وأن فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لاينافى تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لايجب وقوعه وقرأ نافع وأبو عمرو يبدله بالتخفيف (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات (قانتات) مصليات أو مواظبات على الطاعات (تائبات) عن الذنوب (عابدات) متعبدات أو متذللات لامر الرسول عليه الصلاة والسلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد أو مهاجرات (ثيبات وأبكارا) وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بالنصح والتأديب وقرئ وأهلوكم عطف على واو قوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين (نارا وقودها الناس والحجارة) نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب (عليها ملائكة) تلى أمرها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ لاقوال شداد الافعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الافعال الشديدة (لايعصون الله ما أمرهم) فيما مضى (ويفعلون مايؤمرون) فيما يستقبل أولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون مايؤمرون به (يأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار لانه لاعذر لهم أو العذر لاينفعهم (يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة أو فى النصاحة وهى الخياطة كأنها تنصح ماخرق الذنب وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور أو النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا نصوحا لانفسكم وسئل على رضى الله تعالى عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم

(قوله رئيس الكروبيين) قال العلامة الطيبى قال بعضهم فيه ثلاث مبالغات احداها ان كرب أقرب من قرب حين وضع موضع كاد تقول كربت الشمس أن تغرب كقولك كادت الشمس أن تغرب والثانى انه على وزن فعول وهو للمبالغة والثالث زيادة الياء للمبالغة كاحمرى (قوله على التغليب أو تعميم الخطاب) أراد ان لفظة أن تفيد عدم طلاق الكل فيتوجه السؤال بأنه صلى الله عليه وسلم طلق حفصة فأجاب أولا بأن يراد على سبيل التغليب بأن غلبت من لم يطلقها على من طلقها وثانيا بأن الخطاب على العموم أى بأن الخطاب مع الكل من حيث الكل وكون طلاق واحدة واقعا لا ينافى تعليق طلاق الكل (قوله والمعلق بما لم يقع لايجب وقوعه) جواب سؤال آخر وهو ان الجملة الشرطية المذكورة تدل على ان فى الدنيا نساء خيرا منهن فأجاب بأن ابدال أزواج خير منهن على تقدير طلاقهن لايستلزم حصولهن اذ المقدر لم يقع فلا يجب وقوع ماترتب عليه لتنافيهما (قوله أى الصفات المذكورة يجتمعن فى ذات واحدة) فكأنهن شئ واحد فلا حاجة الى العطف وأما هاتان الصفتان فتباينتان فهما شيئان مستقلان فلذا أورد العاطف (قوله ولانهما فى حكم صفة واحدة) أى قدر عليهما صفة واحدة هى مشتملات فلا بد من العطف (قوله فيكون أنفسكم أنفس القبيلين الخ) يعنى اذا قرئ أهلوكم مرفوعا كان الاهل تحت خطاب قوا فتكون الانفس شاملة لأنفس المؤمنين ولانفس الاهلين بتغليب المخاطبين الذين هم المؤمنون على الاهلين الذين هم الغيب

وان تعزم على أن لاتعود وأن تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية (عسى ربكم أن يكفر عنكم سياآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغى أن يكون بين خوف ورجاء (يوم لايخزى الله النبى) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبى عليه الصلاة والسلام اجمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدا خبره (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) أى على الصراط (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير) وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا (ياأيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم به اداء لحق الرفق مداه (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم أو مأواهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط) مثل الله تعالى حالهم فى أنهم يعاقبون بكفرهم ولايحابون بما بينهم وبين النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام (فخانتاهما) بالنفاق (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج شيأ اغناء ما (وقيل) أى لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لاوصلة بينهم وبين الانبياء عليهم السلام (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لاتضرهم بحال آسية رضى الله عنها ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله (اذ قالت) ظرف للمثل المحذوف (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) قربا من رحمتك أو فى أعلى درجات المقربين (ونجنى من فرعون وعمله) من نفسه الخبيثة وعمله السيئ (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط التابعين له فى الظلم (ومريم ابنت عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل (التى أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا فيه) فى فرجها وقرئ فيها أى فى مريم أو فى الجملة (من روحنا) من روح خلقناه بلا توسط أصل (وصدقت بكلمات ربها) بصحفه المنزلة أو بما أوحى الى أنبيائه (وكتابه) وما كتب فى اللوح المحفوظ أو جنس الكتب المنزلة وتدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه أى بعيسى عليه السلام والانجيل (وكانت من القانتين) من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم فتكون من ابتدائية * عن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

﴿سورة الملك﴾ (مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى قارئها وتنجيه من عذاب القبر وآيها ثلاثون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك الذى بيده الملك) بقبضة قدرته التصرف فى الامور كلها (وهو على كل شئ قدير) على كل مايشاء قدير (الذى خلق الموت والحيوة) قدرهما أو أوجد الحياة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم أمواتا فاحياكم ولانه أدعى الى حسن العمل (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف أيها المكلفون (أيكم أحسن عملا) أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا

(قوله اذا بلغ الرفق مداه) أى بلغ الرفق منتهاه ولما لم يفد وجب الغلظ والشدة (قوله ولاتحابون الخ) أى لاتقع المحاباة لهم والتجاوز عن ذنوبهم لما بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من النسبة بحال تينك الزوجين فانهما لايحابان بسبب النسبة الى زوجها (قوله بحالهما) متعلق بمثل أى مثل حالهم بحالهما (قوله أو من نسلهم) عطف على قوله من عداد المواظبين

﴿سورة الملك﴾

(قوله أو أوجد الحياة فازالها حسبما قدره) ههنا نظر وهو انه اما أن يكون خلق بمعنى أوجد فيكون المعنى أوجد الموت وهو باطل أو يكون بمعنى أزال فيكون المعنى أزال الموت والحياة لانه أوجد الحياة وأزالها ثم ان قوله ازالها لايناسب قوله كنتم أمواتا فأحياكم لان الموت فيه ليس زوال الحياة (قوله وجاء مرفوعا) أى رفع الى النبى صلى الله عليه وسلم

أحسن عقلا وأورع عن محارم الله تعالى وأسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا الفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين (وهو العزيز) الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذى خلق سبع سموات طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به أو طوبقت طباقا أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال أو طبقة كرحبة ورحاب (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت كأن كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما فى الآخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع لضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وأن فى ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول أو لكل مخاطب وقوله (فارجع البصر هل ترى من فطور) متعلق به على معنى التسبب أى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة أخرى متأملا فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه (ثم ارجع البصر كرتين) أى رجعتين أخريين فحى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك ولذلك أجاب الامر بقوله (ينقلب اليك البصر خاسئا) بعيدا عن اصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) أقرب السموات الى الارض (بمصابيح) بالكواكب المضيئة بالليل اضاءة السرج فيها والتنكير للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة فى سموات فوقها اذ التزيين باظهارها فيها (وجعلناها رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة أخرى وهى رجم أعدائكم والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم به بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا للشياطين الانس وهم المنجمون (وأعتدنا لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) من الشيطان وغيرهم (عذاب جهنم وبئس المصير) وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمير (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز من الغيظ) تتفرق غيظا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز أن يراد غيظ الزبانية (كلما ألقى فيها فوج) جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير) أى فكذبنا الرسل وأفرطنا فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فانذيرا اما بمعنى الجمع لانه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف أى أهل انذار أو ممنوت به للمبالغة أو الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب أو اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل أو على ان المعنى قالت الافواج قد جاءها الى كل فوج منا رسول من الله فكذبناهم وضللناهم ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أو عقابه الذى يكونون فيه (وقالوا لو كنا نسمع) كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات (أو نعقل) فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين (ما كنا فى أصحاب السعير) فى عدادهم ومن جملتهم (فاعترفوا بذنبهم) حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن

(قوله لانه يخل به وقوع الجملة خبرا الخ) أى يخل بكون هذا من باب التعليق كونه خبرا للمبتدأ الذى هو المفعول الاول لان شرط التعليق أن يقع الاستفهام داخلا فيها وهو قائم مقام المفعولين (قوله وصف به) صفة لقوله مصدر طابقت الفعل (قوله ولذلك أجاب الامر بقوله الخ) أى لان المثنى فيه للتكثير والتكرير أجاب الامر بتمام الآية اذ يفهم من قوله تعالى وهو حسير ان التثنية للتكثير اذ لا يحصل الكلال من النظر مرتين (قوله المسببة عنها) اى عن الرجوم فان خلق الشهب شبيه الرجم (قوله أو الواحدة) عطف على الجميع (قوله والخطاب له ولامثاله على التغليب) أى الخطاب فى ان أنتم الا فى ضلال كبير للنذير المذكور ولامثاله على تغليب الخطاب (قوله أو اقامة تكذيب الواحد الخ) يعنى قال كل فوج قد جاء نا نذير فكذبنا فكأنهم كذبوا كل النذر لان تكذيب الواحد كتكذيب جميع النذر فلذا قالوا ان أنتم الا فى ضلال كبير

(قوله والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل) توضيحه ان السعير دركة من الدركات السبع لجهنم لكن المقصود ههنا من أصحاب السعير ليس النازلين فى هذه الدركة بل المراد الاشقياء مطلقا فيكون ههنا تغليب أصحاب السعير على غيرهم وهذا التغليب للايجاز اذ لو لم يكن التغليب لاحتيج الى عد أهل الدركات مطلقا لان الحكم المذكور عام لهم فيطول الكلام وللمبالغة لان السعير هو النار الموقدة فيفيد الكلام ان للكل النار الموقدة والتعليل اى لتعليل السحق والبعد من الرحمة لان من هو من أصحاب السعير المستحق للخلود فيه استحق البعد من الرحمة (قوله وقرأ الكسائى بالتثقيل) أى بضم حاء سحق (قوله والتقييد بهذه الحال الخ) أى التقييد بها يقتضى أن يكون لقوله تعالى يعلم مفعول مقدر ليفيد هذا التقييد لان علمه تعالى يستفاد من الخلق لان الخالق للشئ لابد أن يكون عالما فلا فائدة لجعل قوله تعالى وهو اللطيف الخبير حالا فوجب تقدير مفعول له مثل أن يقال التقدير ألا يعلم سر من خلق فيكون وهو اللطيف الخبير مفيد العلمه بسر من خلق وحالاته الخفية (قوله صففن قوادمها) أى جعلها صفا قال فى الصحاح قوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشر فى كل جناح والغرض من قوله فانهن الخ بيان علاقة استعمال الصف للبسط للتفرقة بين الاصيل فى الطيران والطارئ عليه فان صيغة فعل المضارع الدال على الحدوث والاستقبال يدل على طرو القبض على الصف (قوله الا انه أخرج مخرج الاستفهام الخ) أى ليس ههنا بحسب الظاهر مقام أن يسأل عن تعيين من ينصرهم بل محل أن يسأل هل لكم ناصر من دون الله من غير تعيين لكنه عدل الى السؤال عن تعيين الناصر للاشعار

معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر أو المراد به الكفر (فسحقا لاصحاب السعير) فاسحقهم الله سحقا أى أبعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائى بالتثقيل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بالمخفى منهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) تصغر دونه لذائذ الدنيا (وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا أو جهرا (ألا يعلم من خلق) ألا يعلم السر والجهر من أوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته (وهو اللطيف الخبير) المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى أن يكون ليعلم مفعول ليفيد روى أن المشركين كانوا يتكاتمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة يسهل لكم السلوك فيها (فامشوا فى مناكبها) فى جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله (واليه النشور) المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم (أأمنتم من فى السماء) يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم أو الله تعالى على تأويل من فى السماء أمره أو قضاؤه أو على زعم العرب فانهم زعموا أنه تعالى فى السماء وعن ابن كثير وأمنتم بقلب الهمزة الاولى واوا والانضمام ما قبلها وآمنتم بقلب الثانية ألفا وهو قراءة نافع وأبى عمرو ورويس (أن يخسف بكم الارض) فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال (فاذا هى تمور) تضطرب والمور التردد فى المجىء والذهاب (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) ان يمطر عليكم حصباء (فستعلمون كيف نذير) كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه المشركين (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحريك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل فى الطيران والطارئ عليه (ما يمسكهن) فى الجو على خلاف الطبع (الا الرحمن) الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على أشكال وخصائص هيأتهن للجرى فى الهواء (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) عديل لقوله أولم يروا على معنى أولم تنظروا فى أمثال هذه الصنائع فلم تعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب أم لكم جند ينصركم من دون الله ان أرسل عليكم عذابه فهو كقوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا أنه أخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه (ان الكافرون الا فى غرور) لاعتمادهم (أمن هذا الذى يرزقكم) أم من يشار اليه ويقال هذا

هذا الذي يرزقكم (ان أمسك رزقه) بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم (بل لجوا) تمادوا (في عتو) عناد (ونفور) شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى) يقال كبيته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق أنهما من باب أنفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا أنه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قابله بقوله (أمن يمشي سويا) قائما سالما من العثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسالكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعادغير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة (قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع) لتسمعوا المواعظ (والابصار) لتنظروا صنائعه (والافئدة) لتتفكروا وتعتبروا (قليلا ما تشكرون) باستعمالها فيما خلقت لاجلها (قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون) للجزاء (ويقولون متى هذا الوعد) أي الحشر أو ما وعدوا به من الخسف والحاصب (ان كنتم صادقين) يعنون النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (قل انما العلم) أي علم وقته (عند الله) لا يطلع عليه غيره (وانما أنا نذير مبين) والانذار يكفي فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه (فلما رأوه) أي الوعد فانه بمعنى الموعود (زلفة) ذا زلفة أي قريب منهم (سيئت وجوه الذين كفروا) بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب (وقيل هذا الذي كنتم به تدعون) تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء أو تدعون أن لا بعث فهو من الدعوى (قل أرأيتم ان أهلكني الله) أماتني (ومن معي) من المؤمنين (أو رحمنا) بتأخير آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أي لا ينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا وهو جواب لقولهم لنتربص به ريب المنون (قل هو الرحمن) الذي أدعوكم اليه مولى النعم كلها (آمنا به) للعلم بذلك (وعليه توكلنا) للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به (فستعلمون من هو في ضلال مبين) منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا في الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به (فمن يأتيكم بماء معين) جار أو ظاهر سهل المأخذ * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

﴿سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ن) من أسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس أو البهموت وهو الذي عليه الارض أو الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ أشد سوادا من الحبر يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبه بصورة الحرف (والقلم) وهو الذي خط اللوح أو الذي يخط به أقسم به تعالى لكثرة فوائده وأخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كص (وما يسطرون) وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم أو بالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى أولي العلم لاقامته مقامهم أو لاصحابه أو الحفظة وما مصدرية أو موصولة (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والمعنى ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة

بأنهم قرروا ان لهم جندا ينصرهم فلا حاجة الى الاستفهام عنه بل مقام أن يسأل عن تعيين ذلك الجند

﴿سورة ن﴾

(قوله ويؤيد الاول سكونه الخ) يفهم منه ان الاحتمالات الأخر جائزة لكن الاول أولى والمفهوم من كلام الزمخشري ان غير الوجه الاول غير جائز لانه قال وأما قولهم هو الدواة فأدرى أهو وضع لغوي أو شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما فان كان جنسا فأين الاعراب والتنوين وان كان علما فأين الاعراب

وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون الباء لاتمنع عمله فيما قبلها لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى (وان لك لاجرا) على الاحتمال والابلاغ (غير ممنون) مقطوع أو ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط (وانك لعلى خلق عظيم) اذ تتحمل من قومك ما لا يتحمل أمثالك وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون (فستبصر ويبصرون بايكم المفتون) أيكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بايكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو باى الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) وهم المجانين على الحقيقة (وهو أعلم بالمهتدين) الفائزين بكمال العقل (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم (ودوا لو تدهن) تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك أو افقهم فيه أحيانا (فيدهنون) فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف أى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا ادهانهم حتى تدهن أو للسببية أى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل (مهين) حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة (هماز) عياب (مشاء بنميم) نقال للحديث على وجه السعاية (مناع للخير) يمنع الناس عن الخير من الايمان والايقان والعمل الصالح (معتد) متجاوز فى الظلم (أثيم) كثير الآثام (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عد من مثالبه (زنيم) دعى مأخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من أذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة (أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز أن يكون علة للا تطع أى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وأبو بكر أن كان على الاستفهام غير أن ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين أى ألأن كان ذا مال كذب أو أطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على أن شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد أو أن شرطه للمخاطب أى لا تطعه شارطا يساره لانه اذا أطاع للغنى فكانه شرطه فى الطاعة (سنسمه) بالكى (على الخرطوم) على الانف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقى أثره وقيل هو عبارة عن أن يذله غاية الاذلال كقولهم جدع أنفه ورغم أنفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر أو نسود وجهه يوم القيامة (انا بلوناهم) بلونا أهل مكة شرفها الله تعالى بالقحط (كما بلونا أصحاب الجنة) يريد البستان الذى كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما خطأه المنجل وألقته الريح أو بعد من البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعله أبونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين فى الصباح (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير أن المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه أولان معنى لا خرج ان شاء الله ولا أخرالى أن يشاء الله واحد أو ولا يستثنون حصة المساكين كما

(قوله والعامل فى الحال معنى المعنى) لان المعنى حينئذ ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة فيفهم ان الجنون فى حال النبوة ينتفى والنفى متوجه الى القيد فيوهم ثبوته فى غير تلك الحال لكن الغرض نفى الجنون مطلقا (قوله أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون) الفرق بين هذا المعنى وبين ما تقدم عليه ان هذه السببية باعتبار الوجود الذهنى أى يتصورون ادهانك ويودونه فيصير هذا سببا لادهانهم حتى يترتب عليه ادهانك وأما المعنى الذى تقدم عليه فالسببية فيه باعتبار الوجود الخارجى أى ودوا ادهانك حتى يترتب على ادهانك ادهانهم (قوله على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة) النهى عن الطاعة شرط الغنى للدلالة على انها ينتهى عنها عند الفقر أولى بل لانه لا يحتاج الى النهى لان طاعة الفقر لو وجدت كان فى النادر وفى حكم المعدوم (قوله والمخرج بالاستثناء عينه) فان قلت ليس المخرج بالاستثناء عين المذكور لان زيدا فى مثل قولك جاء القوم الا زيدا وهو المستثنى غير المذكور الذى هو القوم قلنا القوم عبارة عن زيد وعمرو وغيرهما فاذا قيل جاء القوم الا زيدا فكأنه قيل جاء زيد وعمرو وغيرهما فزيد مذكور وفيه نظر فتأمل والاولى أن يقال ان المستثنى منه كالقوم مثلا شامل للمستثنى الذى هو زيد مثلا

كان يخرج أبوهم (فطاف عليها) على الجنة (طائف) بلاء طائف (من ربك) مبتدأ منه (وهم نائمون فاصبحت كالصريم) كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول أو كالليل باحتراقها واسوادادها أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمال (فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم) أن اخرجوا أو بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال أو لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء (ان كنتم صارمين) قاطعين له (فانطلقوا وهم يتخافتون) يتشاورون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أن مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا (وغدوا على حرد قادرين) وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون الا على النكد أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به أى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال

أقبل سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

أى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل علم للجنة (فلما رأوها) أول ما رأوها (قالوا انا لضالون) طريق جنتنا وما هى بها (بل نحن) أى بعد ما تاملوا وعرفوا انها هى قالوا بل نحن (محرومون) حرمنا خيرها الجنا يتنا على أنفسنا (قال أوسطهم) رأيا أو سنا (ألم أقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون ربكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حيثما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) أى لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم أو لانه تنزيه عن أن يجرى فى ملكه ما لا يريده (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من أنكره (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله تعالى (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) بركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم أبدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف (انا الى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة العذاب فى الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه (لو كانوا يعلمون) لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب (ان للمتقين عند ربهم) أى فى الآخرة أو فى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا (مالكم كيف تحكمون) التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن (ان لكم فيه لما تخيرون) ان لكم ما تختارونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لانه المدروس فلما جىء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس أو استئنافا وتخيير الشئ واختياره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم أى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم أو ببالغة أى أيمان تبلغ ذلك اليوم

بخلاف الاستثناء الذى هو ان شاء الله فان المستثنى به خلاف المذكور فان قولك فعلت ذلك ان شاء الله يفيد اخراج عدم الفعل عند عدم المشيئة (قوله وقيل علم للجنة) أى الحرد علمها (قوله فان منهم من أشار بذلك الخ) أى منهم من أشار الى حرمان المساكين ومنهم من يستصوبه (قوله أحد الظرفين) أى لكم وعلينا

(قوله على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به) فنفي الاستحقاق هو المفهوم من قوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ونفي الوعد هو المفهوم من قوله تعالى أم لكم كتاب فيه تدرسون ونفي التقليد مفهوم من قوله أم لهم شركاء وقوله من عقل المراد منه حكم العقل وقوله او نقل يدل عليه أي بدل على حكم العقل ويؤيده قوله لاستحقاق علة للتشبث أي هم يمكن أن يتشبثوا بأن لهم في الآخرة كحال المؤمنين لانهم مستحقون للنعم كما انهم ينعمون في الدنيا اولان الله وعدهم به أو لانهم مقلدون للعقلاء فيما قالوا (قوله توبيخا على تركهم السجود) أي ليس الامر بالسجود التكليف والتعبد اذ ليس الوقت وقته بل المراد التوبيخ (قوله مزاحوا العلل فيه) أي مزالوها فيه أي في التعبد بالسجود (قوله وحسن تذكير الفعل للفصل) أي حسن تذكير تدارك مع كون فاعله مؤنثا لكون ضمير المفعول فاصلا بينهما (قوله بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه) يعني لولا ان كان في زمان كونه في بطن الحوت صح أن يقال في شأنه تتداركه بعد ذلك نعمة من ربه (قوله وهو حال يعتمد عليها الجواب) يعني جواب لولا يجب أن يكون منفيا غير موجود لكن النبذ موجود فالاعتماد في الجواب على قوله تعالى وهو مذموم اذ الذم ليس بموجود ويمكن أن يقال انه ٧ يعتمد عليها جواب لولا وهو قوله تعالى لنبذ بالعراء اذ قوله تعالى لولا أن تداركه نعمة من ربه دال على ان جوابه الطرد من الرحمة فلم يكن في الجواب لنبذ بالعراء اذ هو لا يدل بمجرده على الطرد فالاعتماد في جواب لولا على هذه الحال (قوله وفيه دليل على خلق الافعال) أي في قوله تعالى فجعله من الصالحين دليل على انه تعالى خالق الافعال أي أفعال العباد لانه صريح في ان صلاح العبد أي

(ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم (سلهم أيهم بذلك زعيم) بذلك الحكم قائم بدعيه ويصححه (أم لهم شركاء) يشاركونهم في هذا القول (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) في دعواهم اذ لا أقل من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل يدل عليه لاستحقاق أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى أم لهم شركاء يعني الاصنام يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى أن تكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا أن تكون مما يشاركون الله به (يوم يكشف عن ساق) يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

أو يوم يكشف عن أصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعارا من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل أو للتعظيم وقرئ تكشف وتكشف بالتاء على بناء الفاعل أو المفعول والفعل للساعة أو الحال (ويدعون الى السجود) توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة أو يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع (فلا يستطيعون) لذهاب وقته أو زوال القدرة عليه (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) تلحقهم ذلة (وقد كانوا يدعون الى السجود) في الدنيا أو زمان الصحة (وهم سالمون) متمكنون منه مزاحو العلل فيه (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) كله الى فاني أكفيكه (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين (وأملي لهم) وأمهلهم (ان كيدي متين) لا يدفع بشئ وانما سمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته (أم تسألهم أجرا) على الارشاد (فهم من مغرم) من غرامة (مثقلون) بحملها فيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) اللوح أو المغيبات (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يونس عليه السلام (اذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه (لولا أن تداركه نعمة من ربه) يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه (لنبذ بالعراء) بالارض الخالية عن الاشجار (وهو مذموم) مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ (فاجتباه ربه) بان رد الوحي اليه أو استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين في الصلاح بان عصمه من أن يفعل ما تركه أولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على ثقيف وقيل بأحد حين حل به ما حل فاراد أن يدعو على المنهزمين (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون

اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر اليكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى أنه كان في بني أسد عيانون فاراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك أي ليهلكونك (لما سمعوا الذكر) أي القرآن أي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم (ويقولون انه لمجنون) حيرة في أمره وتنفيرا عنه (وما هو الا ذكر للعالمين) لما جننوه لاجل القرآن بين أنه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان أكمل الناس عقلا وأميزهم رأيا * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

﴿سورة الحاقة مكية وآيها اثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحاقة) أي الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها أو التي تحق فيها الامور أي تعرف حقيقتها أو تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدأ خبرها (ما الحاقة) وأصله ما هي أي أي شئ هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه أهول لها (وما أدراك ما الحاقة) وأي شئ أعلمك ما هي أي أنك لا تعلم كنهها فانها أعظم من أن تبلغها دراية أحد وما مبتدأ وادراك خبره (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعاقبة وهو لا يطابق قوله (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) أي شديدة الصوت أو البرد من الصر أو الصر (عاتية) شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها (سخرها عليهم) سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف أو صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها أو بحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أو المصدر لفعله المقدر حالا أي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء أو لان عجوزا من عاد نوارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها (فترى القوم) ان كنت حاضرهم (فيها) في مهابها أو في الليالي والايام (صرعى) موتى جمع صريع (كأنهم أعجاز نخل) أصول نخل (خاوية) متأكلة الاجواف (فهل ترى لهم من باقية) من بقية أو نفس باقية أو بقاء (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله أي ومن عنده من أتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط والمراد أهلها (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطأ (فعصوا رسول ربهم) أي فعصت كل أمة رسولها (فاخذهم أخذة رابية) زائدة في الشدة زيادة أعمالهم في القبح (انا لما طغى الماء) جاوز حده المعتاد أو طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله (حملناكم) أي آباءكم وأنتم في أصلابهم (في الجارية) في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام (لنجعلها لكم) لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (تذكرة)

عمله الصالح بخلقه تعالى

﴿سورة الحاقة﴾

عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته (وتعيها) وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعى أن تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء أن تحفظه فى غيرك (أذن واعية) من شأنها أن تحفظ مايجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع أذن بالتخفيف (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) لما بالغ فى تهويل القيامة وذكر ما كل المكذبين بها نفخ لشأنها وتنبيها على مكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم (وحملت الارض والجبال) رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة أو بتوسط زلزلة أو ريح عاصفة (فدكتا دكة واحدة) فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لاعوج فيها ولا أمتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل بافة دكاء للتى لاسنام لها وأرض دكاء للمتسعة المستوية (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهى يومئذ واهية) ضعيفة مسترخية (والملك) والجنس المتعارف بالملك (على أرجائها) جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها الى أطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة الذين هم على الارجاء أو فوق الثمانية لانها فى نية التقديم (يومئذ ثمانية) ثمانية أملاك لما روى مرفوعا أنهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدتهم الا الله ولعله أيضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال (يومئذ تعرضون) تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل (لاتخفى منكم خافية) سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة فى العدل أو على الناس كما قال الله تعالى يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائى بالياء للفصل (فاما من أوتى كتابه بيمينه) تفصيل للعرض (فيقول) تبجحا (هاؤم اقرؤا كتابيه) هاء اسم لخذ وفيه لغات أجودها هاء يارجل وهاء يا امرأة وهاؤما يارجلان أو امرأتان وهاؤم يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه أقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث أمكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل (انى ظننت أنى ملاق حسابيه) أى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لايقدح فى الاعتقاد مايحبس فى النفس من الخطرات التى لاتنفك عنها العلوم النظرية غالبا (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا على النسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (فى جنة عالية) مرتفعة المكان لانها فى السماء أو الدرجات أو الابنية والاشجار (قطوفها) جمع قطف وهو مايجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر (دانية) يتناولها القاعد (كلوا واشربوا) باضمار القول وجمع الضمير للمعنى (هنيأ) أكلا وشربا

(قوله والتنكير للدلالة على قلتها هذا شأنه أى شأنه الوعى للامر المذكور فباعتبار ان الوعى المذكور لابد له من فائدة هى انذاره للخلائق بمثل القصة المذكورة حتى يحترزوا عما يوجب الفعلة التى هى اغراق الكافرين وبقاء المؤمنين والاحتراز عنه موجب لانجاء الجم الغفير قوله وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده) أى لتقيده بالصفة وهى واحدة (قوله ولعله تمثيل لخراب السماء الخ) أى ليس الغرض من الكلام ماهو ظاهره بل المراد مجرد خراب السماء فلا ينافى موت الملائكة حال خراب السماء واما اذا كان الكلام محمولا على ظاهره فيفيد ان الملائكة أحياء قائمون على أرجائها فيكون هلاك الملائكة بعد ذلك (قوله اشعارا بأنه لايقدح فى الاعتقاد الخ) أى لما عبر عن العلم بالظن أشعر ظاهرا بأنه يكفى الظن فى اعتقاد القيامة واذا كان كذلك لايقدح فى الاعتقاد مايحبس فى النفس من الخطرات التى لاتنفك عنها العلوم النظرية غالبا لان تلك الهواجس لاتخرج العلم عن كونه علما فتأمل (قوله ذات رضى على النسبة بالصيغة) أى المراد من الراضية ليس معنى اسم الفاعل فيكون الرضى قائما بالعيشة بل المراد من الصيغة النسبة فالمراد من الراضية ماله نسبة الى الرضا كما يقال لابن وتامر أى ذو لبن وتمر

وشربا هنيأ أوهنئتم هنيأ (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول) لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة (ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) القاطعة لامرى فلم أبعث بعدها أو ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لأنه صادفها أمر من الموت فتمناه عندها أو ياليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق فيها حيا (ما أغنى عنى ماليه) مالى من المال والتبع وما نفى والمفعول محذوف أو استفهام انكار مفعول لاغنى (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس أو حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا وقرأ حمزة عنى مالى عنى سلطانى بحذف الهاءين فى الوصل والباقون باثباتها فى الحالين (خذوه) يقوله الله تعالى لخزنة النار (فغلوه ثم الجحيم صلوه) ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) أى طويلة (فاسلكوه) فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها فى الشدة (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بأنه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يحث على بذل طعامه أو على اطعامه فضلا عن أن يبذل من ماله ويجوز أن يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان أقبح العقائد الكفر بالله تعالى وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يحميه (ولا طعام الا من غسلين) غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل (لا يأكله الا الخاطئون) أصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها (فلا أقسم) لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فأقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث وأقسم مستأنف (بما تبصرون وما لا تبصرون) بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات بأسرها (انه) ان القرآن (لقول رسول) يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه (كريم) على الله تعالى وهو محمد أو جبريل عليهما الصلاة والسلام (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلا ما تؤمنون) تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم (ولا بقول كاهن) كما تدعون أخرى (قليلا ما تذكرون) تذكرون تذكرا قليلا فذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر أحوال الرسول ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى أقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما (تنزيل) هو تنزيل (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل عليه السلام (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كانه جمع أفعولة من القول كالاضاحيك (لأخذنا منه باليمين) بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب به جيده وقيل اليمين بمعنى القوة (فما منكم من أحد عنه) عن القتل أو المقتول (حاجزين) دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس (وانه) وان القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم أن منكم

(قوله أو ياليت حياة الدنيا كانت الموتة) فالمراد من القاضية الموت وانما سمى بها لانه القاطع للحياة (قوله والمفعول محذوف أو استفهام انكار الخ) أى ما اما نافية فيكون المعنى ما دفع مالى ونفى شيأ من عذاب القبر أو الاستفهامية فيكون فاعل أغنى ضميرا مستترا راجعا الى ما ومال مفعولا (قوله فمن تعظم فيها) أى فى الدنيا (قوله والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها الخ) نقل الطيبى عن صاحب الانتصاف هو معنى غريب عن قياس التصريف ويحتمل أن يكون الاقاويل جمعا كالاناعيم جمع أقوال وأنعام

مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم (وانه لحسرة على الكافرين) اذا رأوا ثواب المؤمنين به (وانه لحق اليقين) للیقين الذى لا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما أوحى اليك * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

﴿سورة المعارج مكية وآيها أربع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سأل سائل بعذاب واقع) أى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل هو النضر ابن الحرث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية أو أبو جهل فانه قال فأسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء أو الرسول عليه الصلاة والسلام استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

أو من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال وادبعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه امافى الدنيا وهو قتل بدر أوفى الآخرة وهو عذاب النار (للكافرين) صفة أخرى لعذاب أوصلة لواقع وان صح أن السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سأل معنى اهتم (ليس له دافع) يرده (من الله) من جهته لتعلق ارادته (ذى المعارج) ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح أو يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم أوفى دارثوابهم أو مراتب الملائكة أوفى السموات فان الملائكة يعرجون فيها (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) استئناف لبيان لارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين ألف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من حيث انهم يقطعون فيه مايقطع الانسان فيها لوفرض لأن مابين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لان مابين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ماقيل مسيرة خمسمائة عام ونحن كل واحدة من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره ألف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع أو سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته على الكفار أو لكثرة مافيه من الحالات والمحاسبات أو لانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل عليه السلام وافراده لفضله أو خلق أعظم من الملائكة (فاصبر صبرا جميلا) لايشوبه استجمال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء أو تعنت وذلك مما يضجره أو عن تضجر واستبطاء للنصر أو بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام (انهم يرونه) الضمير للعذاب أو يوم القيامة (بعيدا) من الامكان (ونراه قريبا) منه أو من الوقوع (يوم تكون السماء كالمهل) ظرف لقريبا أى يمكن يوم تكون أو لمضمر دل عليه واقع أو بدل من فى يوم ان علق به والمهل المذاب فى مهل كالفلزات أو دردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولايسأل حميم حميما) ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسئل على بناء المفعول أى لا يطلب من حميم حميم أو لا يسال منه حاله (يبصرونهم)

﴿سورة سأل﴾

(قوله والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان الخ) أى لو قدر قطعها بالحركة الجسمانية لكان فى الزمان المذكور (قوله لان مابين أسفل العالم الخ) يعنى معنى التقدير بالزمان المذكور ماذكر وليس التقدير به من حيث ان مابين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لانه خطأ لان مابين مركز الارض الخ وهذا الحساب يقتضى أن يكون من مركز العالم الى محيط العرش خمسة آلاف سنة واعلم ان فى بعض النسخ وقع موضع لان المشتمل على لا النافية وان المشبهة للفعل لا لان المشتمل على لام التعليل والحروف المشبهة وهو خطأ والصواب الاول

استئناف

استئناف أو حال تدل على ان المانع من هذا السؤل هو التشاغل دون الخفاء أو ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الجمع (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه) حال من أحد الضميرين أو استئناف يدل على أن اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى أن يفتدى باقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه فضلا أن يهتم بحاله ويسال عنها وقرأ نافع والكسائى بفتح ميم يومئذ وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب (وفصيلته) وعشيرته الذين فصل عنهم (التى تؤويه) تضمه فى النسب أو عند الشدائد (ومن فى الارض جميعا) من الثقلين أو الخلائق (ثم ينجيه) عطف على يفتدى أى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد (كلا) ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على أن الافتداء لا ينجيه (انها) الضمير للنار أو مبهم يفسره (لظى) وهو خبر أو بدل أو للقصة ولظى مبتدأ خبره (نزاعة للشوى) وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص أو الحال المؤكدة أو المنتقلة على أن لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس (تدعو) تجذب وتحضر كقول ذى الرمة * تدعو أنفه الربب * مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو بانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا أهلكه (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع فاوعى) وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه حرصا وتأميلا (ان الانسان خلق هلوعا) شديد الحرص قليل الصبر (اذا مسه الشر) الضر (جزوعا) يكثر الجزع (واذا مسه الخير) السعة (منوعا) يبالغ بالامساك والاوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذ الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا (الا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليها (الذين هم على صلاتهم دائمون) لا يشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) كالزكوات والصدقات الموظفة (للسائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى لا يسأل فيحسب نفسه غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) تصديقا باعمالهم وهو أن يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا فى المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدين (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على أنفسهم (ان عذاب ربهم غير مامون) اعتراض يدل على أنه لا ينبغى لاحد أن يأمن عذاب الله وان بالغ فى طاعته (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) سبق تفسيره فى سورة المؤمنين (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) حافظون وقرأ ابن كثير لاماناتهم يعنى لا يخونون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد (والذين هم بشهاداتهم قائمون) وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع (والذين هم على صلاتهم يحافظون) فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى (أولئك فى جنات مكرمون) بثواب الله تعالى (فمال الذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين (عن اليمين وعن الشمال عزين) فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها أفضل حظا منهم كما فى الدنيا (كلا) ردع لهم عن هذا الطمع

(قوله ويسأل) عطف على قوله يسال والاول من السؤال والثانى من السيلان (قوله على ان لظى بمعنى متلظية) انما قال ذلك لحصول العامل وصاحب الحال (قوله أحوال مقدرة أو محققة الخ) فالاولى بالنظر الى ان الهلع والجزع والمنع غير حاصلة حال خلق الانسان والثانى بالنظر الى أن الاوصاف جبل الانسان عليها وان كان آثارها غير ظاهرة فى بدء الخلق (قوله باعتبارين) الاعتبار الاول الدوام والثانى المحافظة (قوله وفى نظم هذه الصلاة مبالغات) تقديم الضمير وبناء الجملة عليه وتقديم الجار والمجرور على الفعل وجعل بعض الجمل اسمية مفيدة للدوام والثبات وبعضها فعلية مفيدة للاستمرار التجددى كقوله تعالى يحافظون

(انا خلقناهم مما يعلمون) تعليل له والمعنى انهم مخلوقون من نطفة مذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد لدخولها أو انكم مخلوقون من أجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ فى منازل الكاملين أو الاستدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه (فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أى نهلكهم ونأتى بخلق أمثل منهم أو نعطى محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان أردنا ذلك (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) مر فى آخر سورة الطور (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) مسرعين جمع سريع (كأنهم الى نصب) منصوب للعبادة أو علم (يوفضون) يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص الى نصب بضم النون والصاد والباقون من السبعة نصب بفتح النون وسكون الصاد وقرئ بالضم على أنه تخفيف نصب أو جمع (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) مر تفسيره (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

﴿سورة نوح مكية وآيها تسع أو ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر) أى بان أنذر أى بالانذار أو بان قلنا له انذر ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغير أن على ارادة القول (قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) عذاب الآخرة أو الطوفان (قال ياقوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون) مر فى الشعراء نظيره وفى أن يحتمل الوجهان (يغفر لكم من ذنوبكم) يغفر لكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الآخرة (ويؤخركم الى أجل مسمى) هو أقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة (ان أجل الله) ان الاجل الذى قدره (اذا جاء) على الوجه المقدر به آجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول (لا يؤخر) فبادروا فى أوقات الامهال والتأخير (لو كنتم تعلمون) لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه أنهم لانهماكهم فى حب الحياة كانهم شاكون فى الموت (قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) أى دائما (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا (وانى كلما دعوتهم الى الايمان (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الى من فرط كراهة دعوتى أو لئلا أعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة (وأصروا) وأكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من أصر الحمار على العانة اذا صر أذنيه وأقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعى (استكبارا) عظيما (ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) أى دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على أى وجه أمكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد أو لتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه أحد نوعى الدعاء أو صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا أى مجاهرا به أو الحال فيكون بمعنى مجاهرا (فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر (انه كان غفارا) للتائبين وكانهم لما أمرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو أوقع فى قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر أربعين

سنة

﴿سورة نوح﴾

(قوله بغيرها على ارادة القول) أى بغيران (قوله وفى أن يحتمل الوجهين) حق العبارة أن يقال وفى أن الوجهان أو فى ان احتمال الوجهين (قوله والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة) أى التعبير باستغشوا الذى هو من باب الطلب للمبالغة لا للطلب وانما دل على المبالغة لان من طلب شيأ بالغ فى تحصيله (قوله من أصر الحمار على العانة) العانة هى القطيع من حمر الوحش (قوله فان الجهار أغلظ من الاسرار الخ) يعنى يعلم من قوله ثم انى دعوتهم جهارا أن الدعوة السابقة هى بالاسرار فأفاد ثم التفاوت بين الجهار والاسرار السابق وأفاد ثم الثانية ان الجمع بينهما أغلظ من افراد كل منهما (قوله ولذلك وعدهم عليه ما هو واقع فى قلوبهم) وهو ارسال السماء عليهم مدرارا والامداد بالاموال والبنين

سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله (يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي فيه هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين (مالكم لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا أي تعظيما لمن عبده وأطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار أولا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظن مبالغة (وقد خلقكم أطوارا) حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم أطوارا أي تارات اذ خلقهم أولا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأهم خلقا آخر فانه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب وعلى أنه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم أتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) أي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة (وجعل الشمس سراجا) مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج بما حوله (والله أنبتكم من الارض نباتا) أنشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه أدل على الحدوث والتكون من الارض وأصله أنبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فاختصره اكتفاء بالدلالة لالتزامية (ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم اخراجا) بالحشر وأكده بالمصدر كما أكد به الاول دلالة على أن الاعادة محققة كالابداء وأنها تكون لا محالة (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ (قال نوح رب انهم عصوني) فيما أمرتهم به (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه أنهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد وأدت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن والحزن أو جمع كالاسد (ومكروا) عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى (مكرا كبارا) كبيرا في الغاية فانه أبلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أي عبادتها (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع وداً بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة (وقد أضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء أو للاصنام كقوله انهن أضللن كثيرا (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم أو الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر (مما خطيآتهم) من أجل خطيآتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم (أغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال أو لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع وتنكير النار للتعظيم أو لان المراد نوع من النيران (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) أي أحدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار أو الدور وأصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد لافعال والا لكان دوارا

(قوله ولو تأخر لكان صلة للوقار) أي لا يكون صلة له حال التقدم لان معمول المصدر لا يتقدم عليه (قوله وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع الخ) المبالغة باعتبار ان التركيب ينفي أدنى الظن (قوله لما بينهن من الملابسة) أي ملابسة الكلية والجزئية فالسماء الدنيا جزء من السموات وما حصل في الجزء حصل في الكل كما يقال زيد في البلد وان كان في بعض أجزائه (قوله عطف على رب انهم عصوني) وعطف الانشاء على الاخبار في مثل هذا جائز لان كلا منهما في محل لاعراب (قوله ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم الخ) انما قال ذلك لان الدعاء بالضلال عن طريق الآخرة لا يناسب النبي لانهم مبعوثون للهداية

(انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) قال ذلك لما جربهم واستقرى أحوالهم ألف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم (رب اغفر لى ولوالدى) لمك بن متوشلخ وشمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتى) منزلى أو مسجدى أو سفينتى (مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة (ولا تزد الظالمين الا تبارا) هلاكا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

﴿سورة الجن﴾ مكية وآيها ثمان وعشرون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أوحى الى) وقرئ احى وأصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله (أنه استمع نفر من الجن) والنفر ما بين الثلاثة الى العشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم الذكورية أو الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله (فقالوا) لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا) كتابا (عجبا) بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدى الى الرشد) الى الحق والصواب (فآمنا به) بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد (وانه تعالى جد ربنا) قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وأبو بكر الا فى قوله وانه لما قام على أنه استئناف أو مقول وفتح الباقون الكل لانه مصدر بالفاء على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور فى به كأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا أى عظمته من جد فلان فى عينى اذا عظم أو سلطانه أو غناه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لذلك وقرئ جدا على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد (وانه كان يقول سفيهنا) ابليس أو مردة الجن (على الله شططا) قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد أو هو شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله (واما ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار عن اتباعهم السفيه فى ذلك بظنهم ان أحدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول أو الوصف المحذوف أى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ ان لن تقوّل كيعقوب جعله مصدر الان التقول لا يكون الا كذبا (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) فان الرجل كان اذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه (فزادوهم) فزادوا الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) كبرا وعتوا أو فزاد الجن الانس غيابا ان أضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ (وانهم) وان الانس (ظنوا كما ظننتم) أيها الجن أو بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض أو استئناف كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به (أن لن يبعث الله أحدا) سادا مسد مفعولى ظنوا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطالب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) حراسا اسم جمع كالخدم (شديدا) قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) مقاعد خالية عن الحرس والشهب

﴿سورة الجن﴾ (قوله على انه استئناف أو مفعول) فالاول بأن لا يكون تحت لقول والثانى بأن يكون تحت قل

أوصالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد أوصفة لمقاعد (فمن يستمع الآن يجدله شهابا رصدا) أى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم أوذوى شهاب راصدين على أنه اسم جمع للراصد وقدم بيان ذلك فى الصافات (وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض) بحراسة السماء (أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانامنا الصالحون) المؤمنون الابرار (ومنادون ذلك) أى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون (كنا طرائق) ذوى طرائق أى مذاهب أومثل طرائق فى اختلاف الاحوال أوكانت طرائقنا طرائق (قددا) متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع (وانا ظننا) علمنا (أن لن نعجز الله فى الارض) كائنين فى الارض أينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) هاربين منها الى السماء أولن نعجزه فى الارض ان أرادبنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا (وانا لما سمعنا الهدى) أى القرآن (آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يحاف وقرئ فلا يخف والاول أدل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم (بخسا ولا رهقا) نقصا فى الجزاء ولا أن يرهقه ذلة أوجزاء بخس لانه لم يبخس لاحد حقا ولم يرهق ظلما لان من حق المؤمن بالقرآن أن يجتنب ذلك (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة (فمن أسلم فاولئك تحروا رشدا) توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بكفار الانس (وأن لواستقاموا) أى أن الشان لو استقام الجن أوالانس أوكلاهما (على الطريقة) أى على الطريقة المثلى (لأسقيناهم ماء غدقا) لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب (لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أن لواستقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانهم (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو موعظته أووحيه (يسلكه) يدخله وقرأ غير الكوفيين بالنون (عذابا صعدا) شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به (وأن المساجد لله) مختصة به (فلا تدعوا مع الله أحدا) فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل أن مقدرة باللام علة للنهى ألغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى عليه الصلاة والسلام مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على أن المراد النهى عن السجود لغير الله وآرابه السبعة أوالسجدات على انه جمع مسجد (وأنه لما قام عبد الله) أى النبى عليه الصلاة والسلام وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه (يدعوه) يعبده (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته أوكاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال أمره وهو جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود (قال انما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا) فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم أواطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبى عليه الصلاة والسلام ليوافق ما بعده (قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) ولا نفعا أوغيا عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه اشعارا بالمعنيين (قل انى لن يجيرنى من الله أحد) ان أرادنى سوأ (ولن أجد من دونه ملتحدا) منحرفا أوملتجأ وأصله المدخل من اللحد (الا بلاغا من الله) استثناء من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة أومن

(قوله أوكانت طرائقنا طرائق) فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (قوله والاول أدل على تحقيق نجاة المؤمن) لان الاول خبر فيفيد تحقيق عدم الخوف بخلاف الثانى فانه طلب عدم (قوله من جعل ان مقدرة باللام ألغى فائدة الفاء) اى جعل الفاء لغوا لان الفاء ههنا لا تكون الا للسببية وهى مستفادة من اللام (قوله على انه جمع مسجد) هو بفتح الجيم حتى يكون مصدرا (قوله فانه واقع موقع كلامه عن نفسه) أى هو واقع موقع كلام النبى عن حال نفسه (قوله بضم اللام جمع لبدة وهى لغة) وقرئ لبدا (قوله عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أومسببه اشعارا بالمعنيين) فالاول بالنظر الى أن يكون الضر على معناه الحقيقى ويكون المراد بالرشد الذى هو سببه فيكون التعبير عن الآخر بالسبب الذى هو الرشد لان الرشد سبب النفع والثانى أن يكون المراد بالضر النفى والرشد بمعناه الحقيقى فان النفى سبب الضر فيكون التعبير عن المسبب الذى هو النفى بالضر الذى هو سببه

ملتحدا أومعناه ان لاأبلغ بلاغا وماقبله دليل الجواب (ورسالاته) عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله صلى الله عليه وسلم بلغوا عني ولوآية (ومن يعص الله ورسوله) فى الامر بالتوحيد اذالكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرئ فان على الجزاء وأن (خالدين فيها أبدا) جمعه للمعنى (حتى اذا رأوا مايوعدون) فى الدنيا كوقعة بدر أوفى الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثانى أولمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له (فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا) هوأم هم (قل ان أدرى) ماأدرى (أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا) غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذارأوا مايوعدون قالوامتى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لامحالة ولكن لاأدرى ماوقته (عالم الغيب) هوعالم الغيب (فلايظهر) فلايطلع (على غيبه أحدا) أى على الغيب المخصوص به علمه (الامن ارتضى) لعلم بعضه حتى يكون له معجزة (من رسول) بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الانبياء (فانه يسلك من بين يديه) من بين يدى المرتضى (ومن خلفه رصدا) حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم (ليعلم أن قد أبلغوا) أى ليعلم النبى الموحى اليه أن قد أبلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحى أوليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا (رسالات ربهم) كماهى محروسة من التغيير (وأحاط بما لديهم) بما عند الرسل (وأحصى كل شئ عددا) حتى القطر والرمل * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

﴿سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة أوعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ياأيها المزمل) أصله المتزمل من تزمل ثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاى وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها أى الذى زمله غيره أوزمل نفسه سمى به النبى عليه الصلاة والسلام تهجينا لما كان عليه فانه كان نائما أومرتعدا مما دهشه من بدء الوحى متزملا فى قطيفة أوتحسينا له اذروى انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففا بمرط مفروش على عائشة رضى الله تعالى عنها فنزلت أوتشبيها له فى تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد فى قيام الليل أومن تزمل الزمل اذا تحمل الحمل أى الذى تحمل اعباء النبوة (قم الليل) أى قم الى الصلاة أوداوم عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع أوالتخفيف (الاقليلا نصفه أوانقص منه قليلا أوزد عليه) الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث أونصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف أوللنصف والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت وان يختار أحد الامرين من الاقل والاكثر أوالاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه (ورتل القرآن ترتيلا) اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قوله ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) يعنى القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه أن يتحملها ويحملها أمته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على أنه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس أورصين لرزانة لفظه ومتانة معناه

(قوله أومعناه ان لاأبلغ) فلا من الله صلة بلاغا لان صلته عن لامن (قوله واستدل به على ابطال الكرامات) أى استدل المعتزلة على ابطال كرامات الاولياء بالآية فانه تعالى خصص العلم بالغيب بالرسول فلا يكون للاولياء علم بالغيب أصلا وأجاب بما ذكر ويمكن أن يقال المقصود ان الكلام يفيد اختصاص علم الغيب بالرسول وهذا لاينفى مطلق الكرامة عن الاولياء اذ الكرامة فعل خارق للعادة سواء كان علم غيب أوغيره

﴿سورة المزمل﴾

(قوله أوتحسينا له الخ) فكأنه قيل ياأيها المزمل فى الصلاة (قوله أونصفه بدل من الليل والاستثناء منه) أى من النصف فكانه قيل قم نصف الليل الاقليلا فيكون التخيير بينه أى بين الاقل من الليل وبين الاقل من النصف وبين الاكثر من الاقل من النصف كالنصف فانه الاكثر من الاقل منه (قوله والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت وان يختار أحد الامرين) والمعنى عليك أن تقوم أقل منه لبتة ولا تجاوز عن الاقل الى الاكثر فان أردت أن تتجاوز البتة فانت بالخيار (قوله اذا كان مفلجا) الفلج فى الاسنان تباعد ما بين الثنايا والرباعيات (قوله والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه) أى القرآن مشتمل على

أو ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيل فى الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقيل تلقيه لقول عائشة رضى الله تعالى عنها رأيته عليه الصلاة والسلام ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله (ان ناشئة الليل) ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض وقام قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى * والصق منهامشرفات القماحد

أو قيام الليل على أن الناشئة له أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد أخرى أو ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت (هى أشد وطأ) أى كلفة أو ثبات قدم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وألف ممدودة أى مواطأة القلب اللسان لها أو فيها أو موافقة لما يراد منها من الخضوع والاخلاص (وأقوم قيلا) أى وأسد مقالا أو أثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات (ان لك فى النهار سبحا طويلا) تقلبا فى مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا أى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره ليلا ونهارا واذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم (وتبتل اليه تبتيلا) وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا (رب المشرق والمغرب) خبر محذوف أو مبتدأ خبره (لااله الاهو) وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لااله الاهو (فاتخذه وكيلا) مسبب عن التهليل فان توحيده بالالوهية يقتضى أن توكل اليه الامور (واصبر على مايقولون) من الخرافات (واهجرهم هجرا جميلا) بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمرهم الى الله فالله يكفيكهم كما قال (وذرنى والمكذبين) دعنى واياهم وكل الى أمرهم فان بى غنية عنك فى مجازاتهم (أولى النعمة) أرباب التنعم يريد صناديد قريش (ومهلهم قليلا) زمانا أو امهالا (ان لدينا أنكالا) تعليل للامر والنكل القيد الثقيل (وجحيما وطعاما ذا غصة) طعاما يتشب فى الحلق كالضريع والزقوم (وعذابا أليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله تعالى ولما كانت العقوبات الاربع مما تشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلى أنوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى (يوم ترجف الارض والجبال) تضطرب وتتزلزل ظرف لما فى ان لدينا أنكالا من معنى الفعل (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته (مهيلا) منثورا من هيل هيلا اذا نثر (انا أرسلنا اليكم رسولا) يا أهل مكة (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به (فعصى فرعون الرسول) عرفه لسبق ذكره (فاخذناه أخذا وبيلا) ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم (فكيف تتقون) أنفسكم (ان كفرتم) بقيتم على الكفر (يوما) عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) من شدة هوله وهذا على الفرض أو التمثيل وأصله أن الهموم تضعف القوى وتسرع الشيب ويجوز أن يكون وصفا لليوم بالطول (السماء منفطر) منشق والتذكير على تاويل السقف أو اضمار شئ (به) بشدة ذلك اليوم على عظمها

التكاليف الشاقة عليك وعلى أمتك فسهل على نفسك التهجد حتى تعتاد بالعمل بالتكاليف الشاقة (قوله والجملة على هذه الاوجه للتعليل) أى لتعليل الامر بالتهجد أى انما أمرت بالتهجد للتسهيل عليك لحمل القول لان التهجد يعد للنفس (قوله نشأنا الى خوص برى فيها السرى الخ) الخوص جمع خوصاء وهى الناقة وبرى معناه ذهب والى السمن وألصق بمعنى تكسر والمشرفات الاعالى والقماحد جمع القمحدة وما خلف الرأس وغرض الشاعر انا قصدنا الى ناقة مهزولة بسبب السير فارتحلنا (قوله مواطأة القلب اللسان لها أو فيها) توضيحه نه ان أريد بالناشئة النفس كما هو التفسير الاول يكون المعنى أشد مواطأة القلب اللسان لها أى للنفس وان أريد المعانى الأخر كان المعنى أشد مواطأة القلب اللسان فيها (قوله ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل الخ) أى مصدر تبتل تبتلا فالعدول الى التبتيل الذى هو مصدر باب التفعيل للاشارة الى معنى لتجريد المفهوم من التبتيل ولمراعاة موافقة أواخر الآيات (قوله ولم يعينه الخ) أى لم يعين موسى لان المقصود ههنا غير متعلق بعينه (قوله أو باضمار شئ) بان يقال سطح

واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة (كان وعده مفعولا) الضمير لله عز وجل أو لليوم على اضافة المصدر الى المفعول (ان هذه) أى الآيات الموعدة (تذكرة) عظة (فمن شاء) أن يتعظ (اتخذ الى ربه سبيلا) أى يتقرب اليه بسلوك التقوى (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ أقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على أدنى (وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله تعالى فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله (علم أن لن تحصوه) أى لن تحصوا تقدير الاوقات وان تستطيعوا ضبط الساعات (فتاب عليكم) بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه كما رفع التبعة عن التائب (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس أو فاقرؤا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم (علم أن سيكون منكم مرضى) استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله) والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة) المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يريد به الامر فى سائر الانفاقات فى سبل الخيرات أو بأداء الزكاة على أحسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت أو من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد أو فصل لان أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى مجامع أحوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط (ان الله غفور رحيم) عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

﴿سورة المدثر مكية وآيها خمس وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها المدثر) أى المتدثر وهو لابس الدثار روى أنه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم أر شيأ فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر ولذلك قيل هى أول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا أو كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية أو المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر أى الذى دثر هذا الامر وعصب به (قم) من مضجعك أو قم قيام عزم وجد (فانذر) مطلق للتعميم أو مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين أو قوله وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى أنه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيقن أنه الوحى وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن فكبر ربك أو الدلالة على أن المقصود الاول من الامر بالقيام أن يكبر به عن الشرك والتشبيه فان أول ما يجب معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به (وثيابك فطهر) من

ماء السماء أو جنسها (قوله والترغيب فيه بوعد العوض) لان القرض فى أصل الشرع يوجب العوض (قوله أو فصل لان أفعل من كالمعرفة) أى ضمير الفصل يفصل بين الخبر المعرف وبين الصفة لكن خيرا ليس معرفة فلا حاجة الى ضمير الفصل ههنا فأجاب بان خيرا افعل من لانه فى الاصل أخير من كذا وافعل من حكم المعرفة

﴿سورة المدثر﴾

(قوله وقرئ المدثر) هو بصيغة المفعول فى باب التفعيل ومعناه الذى دثر هذا الأمر أى النبوة وعصب أى قوى به (قوله أو الدلالة على ان المقصود الاول الخ) لا يخفى ان قوله تعالى قم فأنذر دال على ان المقصود الاول من الأمر بالقيام أن ينذر ثم يكبر ربه وأما ما ذكره خلاف الظاهر

النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوات محبوب فى غيرها وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو أول ما أمر به من رفض العادات المذمومة أو طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون أمرا باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه أو فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر (والرجز فاهجر) فاهجر العذاب باثبات على هجر ما يؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر (ولا تمنن تستكثر) أى لا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ طامعا فى عوض أكثر نهى تنزيه أو تنهيا خاصا به لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة أو لا تمنن على الله تعالى بعبادتك مستكثرا اياها أو على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم أو مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف أو الابدال من تمنن على أنه من من بكذا أو تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار أن وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى احضر الوغى بالرفع (ولربك) لوجهه أو أمره (فاصبر) فاستعمل الصبر أو فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين (فاذا نقر) نفخ (فى الناقور) فى الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل أو ظرف خبره اذ التقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير (غير يسير) تأكيد يمنع أن يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين (ذرنى ومن خلقت وحيدا) نزلت فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء أى ذرنى وحدى معه فانى أكفيكه أو من التاء أى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد أو ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما أو ارادة أنه وحيد ولكن فى الشرارة أو عن أبيه فانه كان زنيما (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لاستغنائهم عن السفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج الى أن يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه أو فى المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين أو أكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب بريحانة قريش والوحيد أى باستحقاقه الرياسة والتقدم (ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما أوتى أو لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال (كلا انه كان لآياتنا عنيدا) فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله حتى هلك (سارهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد عنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد أو بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا فى القرآن وقدر فى نفسه ما يقول فيه (فقتل كيف قدر) تعجب من تقديره استهزاء به أو لانه أصاب أقصى ما يمكن أن يقال عليه من قولهم قتله الله ما أشجعه أى بلغ فى الشجاعة مبالغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى أنه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه وقال

(قوله يثاب من هبته) أى بدل حقيقة (قوله أو مستكثرا اياه) أى مستكثرا التبليغ (قوله اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير) لا يخفى انه اذا قدر الوقوع على يوم عسير يجب تقديره فى المبتدأ فيكون المعنى وقوع ذلك الوقت وقوع يوم عسير فى وقت النقر فلزم أن يكون وقت النقر ظرفا لوقوع يوم عسير فلزم أن يكون يوم عسير غير وقت النقر اذ لا معنى لوقوع شئ فى نفسه فالوجه فى الاعراب ما قاله أولا (قوله ويشعر بيسره على المؤمنين لتخصيص ذكره بالكفار) ويمكن ان يقال على الكافرين يتعلق بغير يسير فيفيد التخصيص فان قيل قد منع النحاة ان يفعل المضاف اليه فيما تقدم على المضاف قلنا انهم جوزوا واما أنا زيدا غير ضارب بأعمال ضارب فى زيد مع تقدمه عليه حملا على انا زيد الاضارب

لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ الوليد فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فناداهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا اللهم ماهو الا ساحر أمار أيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا عنه متعجبين منه (ثم قتل كيف قدر) تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الاولى وفيما بعد على أصلها (ثم نظر) أى فى أمر القرآن مرة بعد أخرى (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ما يقول أو نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب فى وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم أدبر) عن الحق أو الرسول عليه الصلاة والسلام (واستكبر) عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) يروى ويتعلم والفاء للدلالة على أنه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر (ان هذا الا قول البشر) كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها (ساصليه سقر) بدل من سارهقه صعودا (وما أدراك ماسقر) تفخيم لشانها وقوله (لاتبقى ولاتذر) بيان لذلك أو حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لاتبقى على شئ يلقى فيها ولاتدعه حتى تهلكه (لواحة للبشر) أى مسودة لاعالى الجلد أو لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص (عليها تسعة عشر) ملكا أو صنفا من الملائكة يلون أمرها والمخصص لهذا العدد أن اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع أو أن لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل أنواعا من العذاب تناسبها على كل نوع ملك أو صنف يتولاه وواحدة لعصاة لامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك أو صنف أو ان الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة فى الصلاة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى حركات فيما هو كاسم واحد وتسعة أعشر جمع عشير كيمين وأيمن أى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم أو جمع عشرة فتكون تسعين (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم ولانهم أقوى الخلق بأسا وأشدهم غضبا لله روى ان أبا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فنزلت (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على أنه لاينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) بالايمان به وبتصديق أهل الكتاب له (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة (والكافرون) الجازمون فى التكذيب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى شئ أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين (وما يعلم جنود ربك) جموع خلقه على ماهم عليه (الا هو) اذ لا سبيل لاحد الى حصر

(قوله والعامل فيها معنى التعظيم) والمعنى عظم السقر حال كونها لا تبقى ولا تذر
(قوله أو لائحة للناس) أى ظاهرة لهم كقولهم لاح البرق
(قوله بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشر) وهى الحواس العشر والقوتان الشهوية والغضبية وأما الطبيعية السبع فالجاذبة والماسكة والهاضمة والغاذية والدافعة والنافية والمولدة
(قوله فنزلت) يعنى نزلت الآية لافادة ان أصحاب النار ملائكة
(قوله قواهم ليست من جنس قوى البشر) لتباين أحدهما الآخر
(قوله تنبيها على انه لا ينفك عنه) أى لا ينفك المؤثر من أصحاب النار التى هى الملائكة عن الاثر الذى هو الفتنة
(قوله لعل المراد من يجعل بالقول) أى ما قلنا ان تسعة عشر أصحاب النار الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الآية فان قيل انه اذا أريد بالجعل القول لا يناسبه قوله الا فتنة للذين كفروا اذ لا يصح التركيب المذكور كما لا يخفى قلنا هذا القول أيضا سبب الفتنة بل هو سببه القريب لانه اذا قيل ذلك استهزأ الكفار باستقلالهم واستبعادهم توليهم عذاب الثقلين

الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها ومايوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة (وماهي) وماسقر أوعدة الخزانة أوالسورة (الاتذكرة للبشر) الاتذكرة لهم (كلا) ردع لمن أنكرها أوانكار لان يتذكروابها (والقمر والليل اذا دبر) أى أدبر كقبل بمعنى أقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذأدبر على المضى (والصبح اذا أسفر) أضاء (انها لاحدى الكبر) أى لاحدى البلايا الكبر أى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما ألحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم أوتعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد (نذيرا للبشر) تمييز أى لاحدى الكبر انذارا أوحال عما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا أوخبر المحذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتاخر) بدل من للبشر أى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه أولمن شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله مصدر كالشكيمة أطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين (الاأصحاب اليمين) فانهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة أوالاطفال (فى جنات) لا يكتنه وصفها وهى حال من أصحاب اليمين أوضميرهم فى قوله (يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه أى دعوناه وقوله (ماسلككم فى سقر) بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين والمجرمين أجابوا بها (قالوالم نك من المصلين) الصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) أى مايجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (وكنا نخوض) نشرع فى الباطل (مع الخائضين) مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) أخره لتعظيمه أى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة (حتى أتانا اليقين) الموت ومقدماته (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لوشفعوا لهم جميعا (فمالهم عن التذكرة معرضين) أى معرضين عن التذكير يعنى القرآن أومايعمه ومعرضين حال (كأنهم حمر مستنفرة) شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة (فرت من قسورة) أى أسد فعولة من القسر وهو القهر (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان اتبع محمدا (كلا) ردع لهم عن اقتراحهم الآيات (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لالامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع عن اعراضهم (انه تذكرة) وأى تذكرة (فمن شاء ذكره) فمن شاء أن يذكره (وما يذكرون الا أن يشاء الله) ذكرهم أو مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا (هو أهل التقوى) حقيق بان يتقى عقابه (وأهل المغفرة) حقيق بأن يغفر لعباده سيما المتقين منهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه الصلاة والسلام وكذب به بمكة شرفها الله تعالى

﴿سورة القيامة﴾ مكية وآيها أربعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بيوم القيامة) ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى ✽ لا يدعى القوم أنى أفر

وقدمر الكلام فيه فى قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقرا قنبل لأقسم بغير ألف بعد اللام وكذا روى عن البزى (ولا أقسم بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم

(قوله ولو كانت صفة لقيل رهين) لان الفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث (قوله أخره لتعظيمه) أى أخره عن قوله وكنا نخوض مع الخائضين (قوله ليكون تخصيصا بعد تعميم) لان الخوض فى الباطل عام لتكذيب يوم الدين

(قوله وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها) أى لان المقصود من اقامة القيامة مجازاة النفوس فلذا أقسم بها بعد الاقسام بيوم القيامة (قوله لجواز أن يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام) فعلى الاول يكون استفهاما لانه اضراب عن مستفهم الى مستفهم آخر وعلى الثانى يكون ايجابا لان الاضراب عن الاستفهام يوجب عدم بقائه (قوله ولا ينافيه الخسوف لانه مستعار للمحاق) أى جمع الشمس والقمر لا ينافى خسوف القمر المعنى ههنا وهو مجرد عدم الضوء نعم الجمع المذكور ينافى خسوفه بالمعنى الاصطلاحى الذى هو زوال ضوء القمر لحيلولة الارض بينه وبين الشمس (قوله والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب) فالمعنى جمع الشمس الذى هو الروح والقمر الذى هو الحاسة لانه كما ان نور القمر تابع للشمس كذلك الحاسة تابع للروح (قوله وقرئ بالكسر وهو المكان) أى قرئ المفر بكسر الفاء (قوله لانه شاهد بها) أى لان الانسان شاهد بالاعمال لان جوارحه تدل عليه كما قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم (قوله وذلك أولى) أى جمع معذرة على المعاذير أولى من جمع المنكر على المناكير لان التغيير من الاول أقل من التغيير فى الثانى لان الميم فى الاول على حاله دون الثانى وكذا الدال فى الاول باق على كسره والكاف تغير من الفتح الى الكسر (قوله وفيه نظر) لعل وجه النظر ما قاله فيما صاحب الكشاف ان المعاذير ليس جمع معذرة بل اسم جمع لها (قوله وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العاجلة) أى قوله تعالى لا تحرك به لسانك الى قوله بيانه اعتراض بين كلامين متصلين فى أحوال الآخرة لان قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة فى حال الاخرة

القيامة على تقصيرها أو التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة أو النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة أو بالجنس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت يا ليتنى كنت قصرت أو نفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها (أيحسب الانسان) يعنى الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب أو الذى نزل فيه وهو عدى بن أبى ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام (أن لن نجمع عظامه) بعد تفرقها وقرئ أن لن يجمع على البناء للمفعول (بلى) نجمعها (قادرين على أن نسوى بنانه) بجمع سلاميانه وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوى بنانه الذى هو أطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع أى نحن قادرون (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون استفهاما وأن يكون ايجابا لجواز أن يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسأل أيان يوم القيامة) متى يكون يوم القيامة استبعادا له أو استهزاء (فاذا برق البصر) تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح (وخسف القمر) ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) فى ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب أو بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الانسان يومئذ أين المفر) أى الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (الى ربك يومئذ المستقر) اليه وحده استقرار العباد أو الى حكمه استقرارا أمرهم أو الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر خلفه أو بأول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) حجة بينة على أعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز أو عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة على غير قياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر (لا تحرك) يا محمد (به) بالقرآن (لسانك) قبل أن يتم وحيه (لتعجل به) لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته فى لسانك وهو تعليل للنهى (فاذا قرأناه) بلسان جبريل عليك (فاتبع قرآنه) قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك (ثم ان علينا بيانه) بيان ما أشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة

فيما هو أهم الامور وأصل الدين فكيف بها فى غيره أو بذكر ما اتفق فى أثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار أو التأمل فيه ثم ان علينا بيان أمره بالجزاء عليه (كلا) ردع للرسول عن عادة العجلة أو للانسان عن الاغترار بالعاجل (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) تعميم للخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس لجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما (وجوه يومئذ ناضرة) بهية متهللة (الى ربها ناظرة) تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه وردبان الانتظار لايسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لايتعدى بالى وقول الشاعر

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتنى نعما

بمعنى السؤال فان الانتظار لايستعقب العطاء (ووجوه يومئذ باسرة) شديدة العبوس والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع أربابها (أن يفعل بها فاقرة) داهية تكسر الفقار (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة (اذا بلغت التراقى) اذا بلغت النفس أعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها (وقيل من راق) وقال حاضر وصاحبها من يرقيه مما به من الرقية أو قال ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقّ (وظن أنه الفراق) وظن المحتضر أن الذى نزل به فراق الدنيا ومحابها (والتفت الساق بالساق) والتوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكهما أو شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة (الى ربك يومئذ المساق) سوقه الى الله تعالى وحكمه (فلا صدق) مايجب تصديقه أو فلا صدق ماله أى فلا زكاه (ولا صلى) مافرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى أيحسب الانسان (ولكن كذب وتولى) عن الطاعة (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر افتخارا بذلك من المطا فان المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط أو من المطا وهو الظهر فانه يلويه (أولى لك فاولى) ويل لك من الولى وأصله أولاك الله ماتكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كأدنى من أدون أو فعلى من آل يؤل بمعنى عقباك النار (ثم أولى لك فاولى) أى يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى (أيحسب الانسان أن يترك سدى) مهملا لا يكلف ولايجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لايتحقق الا بالمجازاة وهى قد لاتكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة (ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى) فقدره فعدله (فجعل منه الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على مامر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) * عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا به

﴿سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل أتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد وأصله أهل كقوله

وكذا قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وهو توكيد التوبيخ على حب العاجلة لان حبها منشأ فى العجلة (قوله ويؤيده قراءة ابن كثير الخ) أى يؤيد هذه القراءة أن يكون الخطاب للانسان لانه اذا أورد بصيغة الغيبة كان الضمير له (قوله وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر) أى تفسير الوجه بجملة الشخص حتى يصح اسناد الانتظار اليه خلاف الظاهر لان الوجه حقيقة العضو المخصوص لاجملة الشخص ومجموعه وان المستعمل بمعناه) لا يعدى بالى (قوله فان الانتظار لايستعقب العطاء) أى لايستلزم الانتظار العطاء فلا يحسن ترتب الجزاء الذى هو زدتنى نعما على الشرط الذى هو الانتظار بل المناسب حمل الانتظار على السؤال لان السؤال عن الكريم يترتب عليه العطاء

﴿سورة الدهر﴾

* أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم * (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود (لم يكن شيأ مذكورا) بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان أو وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) أو آدم بين أوّلا خلقه ثم ذكر خلقه بنيه (أمشاج) أخلاط جمع مشج أو مشج أو مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته وجمع النطفة به لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلف الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادّة عضو وقيل مفرد كأعشار وأكياش وقيل ألوان فان ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اختلطا اخضرا أو أطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (نبتليه) فى موضع الحال أى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعير له الابتلاء (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب عن الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله (انا هديناه السبيل) أى بنصب الدلائل وانزال الآيات (اما شاكرا واما كفورا) حالان من الهاء واما للتفصيل أو التقسيم أى هديناه فى حاليه جميعا أو مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه أو من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه (انا أعتدنا للكافرين سلاسل) بها يقادون (وأغلالا) بها يقيدون (وسعيرا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن وقرأ نافع والكسائى وأبو بكر سلاسلا للمناسبة (ان الابرار) جمع برّ كارباب أو بار كشهاد (يشربون من كأس) من خمر وهى فى الاصل القدح تكون فيه (كان مزاجها) ما يمزج بها (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به (عينا) بدل من كافورا ان جعل اسم ماء أو من محل من كأس على تقدير مضاف أى ماء عين أو خمرها أو نصب على الاختصاص أو بفعل يفسره ما بعدها (يشرب بها عباد الله) أى ما تلذ بها أو ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة أو بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو (يفجرونها تفجيرا) يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا (يوفون بالنذر) استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كأنه سئل عنه فاجيب بذلك وهو أبلغ فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه الله تعالى كان أوفى بما أوجبه الله تعالى عليه (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى (ويطعمون الطعام على حبه) حب الله تعالى أو الطعام أو الاطعام (مسكينا ويتيما وأسيرا) يعنى أسراء الكفار فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه أو الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك أسيرك فاحسن الى أسيرك (انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة القول بلسان الحال أو المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى شكرا (انا نخاف من ربنا) فلذلك نحسن اليكم أو لا نطلب المكافأة منكم (يوما) عذاب يوم (عبوسا) تعبس فيه الوجوه أو يشبه الاسد العبوس فى ضراوته (قمطريرا) شديد العبوس كالذى

(قوله بحذف الراجع) فالتقدير لم يكن شيأ مذكورا فيه (قوله فهو كالمسبب فى الابتلاء) أى جعل الله الانسان سميعا بصيرا كالمسبب عن الابتلاء لان المقصود من جعله سميعا بصيرا ان ينظر الدلائل ويستمع الآيات فيختبر هل ينتفع بها أولا وانما قال كالمسبب لان سبب جعله سميعا بصيرا القصد الى ما ذكر من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات (قوله ولذلك الخ) أى ولاجل انه كالمسبب عن الابتلاء عطف قوله جعلناه على خلقنا المقيد بنبتليه ورتب عليه ما ذكر لانه متضمن للاهتداء الى هداية السبيل وذلك يستلزم الابتلاء (قوله واما للتفصيل أو التقسيم) الاول باعتبار تعدد الحال والصفة وان كانت الذات واحدة والثانى باعتبار تعدد الذات بان يكون بعض الافراد شاكرا وبعض آخر كفورا (قوله واشعارا الخ) أى عدم ذكر الكافر فى مقابلة الشاكر اشعار بان كل انسان لا يخلو عن كفران فلا مقابلة ولا تنافى بين الكافر والشاكر حتى يجعلا قسيمين لانهما قد يجتمعان بل المقابل للشاكر الكفور (قوله وفيه اشعار الخ) لان حسن العقيدة

يجمع مابين عينيه من القطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) بدل عبوس الفجار وحزنهم (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال (جنة) بستانا يأكلون منه (وحريرا) يلبسونه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون الخيبرى ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله فى أهل بيتك (متكئين فيها على الارائك) حال من هم فى جزاهم أو صفة لجنة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يحتملهما وأن يكون حالا من المستكن فى متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار مؤلم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طيئ قال راجزهم

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير مازهر

والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) حال أو صفة أخرى معطوفة على ماقبلها أو عطف على جنة أى وجنة أخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال أو صفة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على ماقبله أو حال من دانية وتذليل القطوف أن تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) وأباريق بلا عروة (كانت قوارير قوارير من فضة) أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير (قدروها تقديرا) أى قدروها فى أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه أو قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها أو قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها أى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) مايشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به (عينا فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به أن ينفى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل أصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) دائمون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) من صفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالس الهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض (واذا رأيت ثم) ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك أينما وقع (رأيت نعيما وملكا كبيرا) واسعا وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه هذا وللعارف أكبر من ذلك وهو أن تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها وماغلظ ونصبه على الحال من هم فى عليهم أو حسبتهم أو ملكا على تقدير مضاف أى وأهل ملك كبير

والاجتناب عن المعاصى مترتبان على الخوف (قوله وفى الحديث الخ) الغرض منه ان الغريم أيضا داخل فى الاسير

عاليهم وقرأ نافع فى عاليهم وحمزة بالرفع على أنه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأهما حفص وحمزة والكسائى بالرفع وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا أساور من فضة) عطف على يطوف عليهم ولا يخالفه قوله أساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى أهل الجنة تختلف باختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم بها ثواب الابرار (ان هذا كان لكم جزاء) على اضمار القول والاشارة الى ماعد من ثوابهم (وكان سعيكم مشكورا) مجازى عليه غير مضيع (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى لك اليه وأو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى أن تكون المطاوعة فى الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) وداوم على ذكره أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما (ومن الليل فاسجد له) و بعض الليل فصل له تعالى ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له طائفة طويلة من الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم) أمامهم أو خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) وأحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) واذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم تبديلا فى الخلقة وشدة الاسر يعنى النشاة الثانية ولذلك جىء باذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة) الاشارة الى السورة أو الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) تقرب اليه بالطاعة (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) وما تشاؤن ذلك الا وقت أن يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء (ان الله كان عليما) بما يستأهل كل أحد (حكيما) لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته (يدخل من يشاء فى رحمته) بالهداية والتوفيق للطاعة (والظالمين أعد لهم عذابا أليما) نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعد وكما فأليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

* سورة المرسلات مكية وآيها خمسون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) أقسام بطوائف من الملائكة أرسلهن الله تعالى بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال أمره ونشرن الشرائع فى الارض أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل

(قوله حملا على سندس بالمعنى) لان الخضر جمع والسندس مفرد فجعله صفة لكون السندس جمعا فى المعنى لانه اسم جنس (قوله والفتح) أى على فتح القاف باعتبار انه فى الاصل فعل ثم جعل علما (قوله ولا يخالفه قوله أساور من ذهب) يعنى انه تعالى قال أساور من ذهب (قوله التقسيم باعتبار مايدعونه اليه) أى التقسيم الى الآثم والكفور باعتبار الاثم والكفر الذى يدعوا الكفار النبى صلى الله عليه وسلم اليهما (قوله وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه) لان الكلام يفيد تهديد محب العاجلة والترغيب الى حب الآجل والاول علة للنهى عن طاعة الآثم والكفور والثانى علة للامر بالطاعة

* سورة المرسلات *

فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثارا لهدى والحكم فى الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا لحق فيما بين العالمين أو بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ماسوى الحق ونشرن أثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرون كل شئ هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لايكون فى القلوب والالسنة الا ذكر الله تعالى أو بر ياح عذاب أرسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن فالقين ذكرا أى تسبين له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفانا منقيض النكر وانتصابه على العلة أى أرسلن للاحسان والمعروف أو بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال (عذرا أو نذرا) مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية أى عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين أو البدل من ذكرا على أن المراد به الوحى أو مايعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما أبو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف (انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجىء القيامة كائن لامحالة (فاذا النجوم طمست) محقت أو أذهب نورها (واذا السماء فرجت) صدعت (واذا الجبال نسفت) كالحب ينسف بالمنسف (واذا الرسل أقتت) عين لها وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله أو بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وقرأ أبو عمرو ووقتت على الاصل (لاى يوم أجلت) أى يقال لاى يوم أخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز أن يكون ثانى مفعولى أقتت على أنه بمعنى أعلمت (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل (وما أدراك مايوم الفصل) ومن أين تعلم كنهه ولم ترمثله (ويل يومئذ للمكذبين) أى بذلك وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته (ألم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى أهلكه (ثم نتبعهم الآخرين) أى ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بآيات الله وأنبيائه فليس تكريرا وكذا ان أطلق التكذيب أو علق فى الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك فى الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع فى كلام العرب (ألم نخلقكم من ماء مهين) نطفة مذرة ذليلة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة (فقدرنا) فقدرنا على ذلك أو فقدرنا ويدل عليه قراءة نافع والكسائى بالتشديد (فنعم القادرون) نحن (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك أو على الاعادة (ألم نجعل الارض كفاتا) كافتة اسم لما يكفت أى يضم ويجمع كالضمام والجماع اسم لما يضم ويجمع أو مصدر نعت به أو جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الارض باعتبار أقطارها (أحياء وأمواتا) منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم أولان أحياء الانس وأمواتهم بعض الاحياء والاموات أو الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس أو بنجعل على المفعولية وكفاتا حال أو الحالية فيكون المعنى بالاحياء ماينبت وبالاموات مالاينبت (وجعلنا فيها رواسى شامخات) جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم أو الاشعار بان فيها مالم يعرف ولم ير (وأسقيناكم ماء فراتا) بخلق الانهار

(قوله أو مايعم التوحيد والشرك الخ) فيكون القاء التوحيد للعذر أى يلحق الاسناد القاء الشرك فى لقلوب للانذار والتخويف منه (قوله بحصوله) أى بحصول ذلك الوقت أى التعيين المذكور عبارة عن الحصول (قوله فيومئذ ظرفه أو صفته) أى ظرف ويل أو صفته (قوله كفار مكة) كون الآخرين من كفار مكة مستفاد من نتبعهم بصيغة المضارع واذا كان معطوفا على نهلك كان لم مقدرا عليه فيفيد هلاك الأمم المتأخرة عن الاولين المتقدمة على زمانه صلى الله عليه وسلم (قوله وليس تكريرا) لان العبارة الاولى مقيدة بما ذكروهو قوله بذلك وهذه العبارة مقيدة بقيد خر (قوله أجرى على الارض باعتبار أقطارها) أى وضعت بالجمع المذكور باعتبار أقطارها لان الارض واحد لا يوصف بالجمع الا باعتبار الاجزاء (قوله منتصبان على المفعولية) أى على مفعولية كفاتا (قوله أو لان أحياء الانس وأمواتهم بعض الاحياء والاموات) لان أحياء الجن وأمواتهم بعض آخر وهذا فى بعض المواقف لان فى البعض الآخر ينطقون (قوله ولو جعله جوابا) هذا يكون بجعله مجزوما

والمنابع فيها (ويل يومئذ للمكذبين) بامثال هذه النعم (انطلقوا) أى يقال لهم انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) من العذاب (انطلقوا) خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم للامر اضطرارا (الى ظل) يعنى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أولان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره (لاظليل) تهكم بهم ورد لما أوهم لفظ الظل (ولا يغنى من اللهب) وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ (انها ترمى بشرر كالقصر) أى كل شرارة كالقصر فى عظمها ويؤيده أنه قرئ بشرر وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج وكالقصر جمع قصرة وهى أصل العنق والهاء للشعب (كأنه جمالات) جمع جمال أو جمالة جمع جمل (صفر) فان الشرار بما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) أى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق أو بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم أى هذا الذى ذكر واقع يومئذ (ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين) عطف فيتعذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الاذن فأوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لا يؤذن لهم فيه (هذا يوم الفصل) بين الحق والمبطل (جمعناكم والاولين) تقرير وبيان للفصل (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم (ويل يومئذ للمكذبين) اذ لا حيلة لهم فى التخلص من العذاب (ان المتقين) عن الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين (فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون) مستقرون فى أنواع الترفه (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أى مقولا لهم ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) فى العقيدة (ويل يومئذ للمكذبين) يمحض لهم العذاب المخلد وخصومهم الثواب المؤبد (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم اركعوا) أطيعوا واخضعوا أو صلوا أو اركعوا فى الصلاة اذ روى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبى أى لا نركع فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (لا يركعون) لا يمتثلون واستدل به على أن الامر للوجوب وأن الكفار مخاطبون بالفروع (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذ لم يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

﴿سورة النبأ مكية وآيها احدى وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عم يتساءلون) أصله عما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه

﴿سورة عم﴾

لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أو يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم أي يدعونهم ويرونهم أو للناس (عن النبأ العظيم) بيان لشأن المفخم أو صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه (الذي هم فيه مختلفون) بجزم النفي والشك فيه أو بالاقرار والانكار (كلا سيعلمون) ردع عن التساؤل ووعيد عليه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني أشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة أو الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا) تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا أي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه (وخلقناكم أزواجا) ذكرا وأنثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها أو موتا لانه أحد التوفيين ومنه المسبوت للميت وأصله القطع أيضا (وجعلنا الليل لباسا) غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به أو حياة تنبعثون فيها عن نومكم (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) سبع سموات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) متلألئا وقادا من وهجت النار اذا أضاءت أو بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) السحائب اذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أحصد الزرع اذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب أو الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر أخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجح الماء مصابه (لنخرج به حبا ونباتا) ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش (وجنات ألفافا) ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

أو لفيف كشريف أو لف جمع لفاء كخضراء وخضر وأخضار أو ملتفة بحذف الزوائد (ان يوم الفصل كان) في علم الله تعالى أو في حكمه (ميقاتا) حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حد الخلائق ينتهون اليه (يوم ينفخ في الصور) بدل أو بيان ليوم الفصل (فتأتون أفواجا) جماعات من القبور الى المحشر روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال يحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم فيسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وأهل السحت وأكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين الشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء (وفتحت السماء) وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فكانت أبوابا) فصارت من كثرة الشقوق كان الكل أبواب أو فصارت ذات أبواب (وسيرت الجبال) أي في الهواء كالهباء (فكانت سرابا) مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها

(قوله ويدل عليه قراءة يعقوب) وجه الدلالة ان الهاء في عمه هاء السكت وهو علامة الوقف ولو كان عم متعلقا بيتساءلون المذكور بعده لم يكن محل الوقف (قوله بجزم النفي والشك فيه الخ) الخلاف في البعث اما الان بعضهم جزم بنفيه وبعضهم شك فيه وهذا اذا أريد بالمختلفين الكفرة واما الان بعضهم مقر وبعضهم منكر وهذا اذا أريد الناس (قوله لانه أحد التوفيين) هو مأخوذ من قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (قوله ذوات الاعاصير) جمع اعصار وهو ريح ينثر الغبار ويرفع الى السماء (قوله مغدق) المغدق الناعم

(ان جهنم كانت مرصادا) موضع رصد فيه خزنة النار الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل أو مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ أن بالفتح على التعليل لقيام الساعة (للطاغين مآبا) مرجعا ومأوى (لابثين فيها) وقرأ حمزة وروح لبثين وهو أبلغ (أحقابا) دهورا متتابعة وليس فيها ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح أن الحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز أن يكون المراد أحقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) حالا من المستكن في لابثين أو نصب أحقابا بلا يذوقون احتمل أن يلبثوا فيها أحقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا أخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسيره والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار أو النوم وبالغساق ما يغسق أي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا أنه أخر ليتوافق رؤس الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد (جزاء وفاقا) أي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم أو موافقا لها أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا (انهم كانوا لا يرجون حسابا) بيان لما وافقه هذا الجزاء (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وانما أقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم أو المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكأن بينهم مكاذبة أو كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز أن يكون حالا بمعنى كاذبين أو مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز أن يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر أي تكذيبا مفرطا كذبه (وكل شئ أحصيناه) وقرئ بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط أو لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا في اللوح أو صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية شديدة في القرآن على أهل النار (ان للمتقين مفازا) فوزا أو موضع فوز (حدائق وأعنابا) بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال والبعض (وكواعب) نساء فلكت ثديهن (أترابا) لدات (وكأسا دهاقا) ملآنا وأدهق الحوض ملأه (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) وقرأ الكسائي بالتخفيف أي كذبا أو مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا (جزاء من ربك) بمقتضى وعده (عطاء) تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به (حسابا) كافيا من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبي أو على حسب أعمالهم وقرئ حسابا أي محسبا كالدراك بمعنى المدرك (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وأبو عمرو على الابتداء (الرحمن) بالجر صفة له وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة أبي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الأول ورفع الثاني على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره (لا يملكون منه خطابا) والواو لاهل السموات والارض أي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب لانهم مملوكون له على

(قوله وهو أبلغ) لان الصفة المشبهة تدل على الثبوت (قوله وانما أقيم مقامه للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم) أي انما أقيم الكذاب الذي هو بمعنى الكذب ليدل على ما ذكر فيكون كذابا (قوله ويؤيده انه قرئ كذابا الخ) كذابا بضم الكاف أي يؤيد انه حال قراءة كذاب لانه حال البتة ويجوز أن يكون الكذاب للمبالغة وصفة لمصدر محذوف فالمعنى تكذيبا بالغا ذلك التكذيب الى نهاية الكذب فيكون الكذاب على هذا مفردا لاجمعا كحسان (قوله بدل الاشتمال أو البعض) فالاول بتقدير أن يكون المفاز غير الحدائق والاعناب والثاني بأن يكون بعض الحدائق (قوله وقيل منتصب به نصب المفعول به) هذا قول صاحب الكشاف واعترض عليه بأن المصدر انما يعمل اذا لم يكن مفعولا مطلقا

الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لاينافى الشفاعة باذنه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) تقرير وتوكيد لقوله لايملكون فان هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله اذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للايملكون أو ليتكلمون والروح ملك موكل على الارواح أو جنسها أو جبريل أو خلق أعظم من الملائكة (ذلك اليوم الحق) الكائن لامحالة (فمن شاء اتخذ الى ربه) الى ثوابه (مآبا) بالايمان والطاعة (انا أنذرناكم عذابا قريبا) يعنى عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ماهو آت قريب ولان مبدأه الموت (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) يرى ماقدمه من خير أو شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله نا أنذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر أو استفهامية منصوبة بقدمت أى ينظر أى شئ قدمت يداه (و يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم تردترابا فيود الكافر حالها * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

﴿سورة النازعات مكية وآيها خمس أوست وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة النازعات﴾

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون أرواح الكفار من أبدانهم غرقا أى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من أقاصى الابدان أو نفوس غرقة فى الاجساد و ينشطون أى يخرجون أرواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها و يسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من أعماق البحر فيسبقون بأرواح الكفار الى النار و بأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك ما أعد لها من الآلام واللذات أو الاولیان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون فى مضيها أى يسرعون فيه فيسبقون الى ما أمروا به فيدبرون أمره أو صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى أقصى الغرب وتنشط من برج الى برج أى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد و يسبحن فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه أسرع حركة فيدبر أمر انيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا أو صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا أى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس وتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات أو حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات فتنشط الى عالم القدس فتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات أو صفات أنفس الغزاة أو أيديهم تنزع القسى باغراق السهام و ينشطون بالسهم للرمى و يسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون أمرها أو صفات خيلهم فانها تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول أعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر أمر الظفر أقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه (يوم ترجف الراجفة) وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض

والجبال أوالواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى (تتبعها الرادفة) التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتشر أوالنفخة الثانية والجملة في موقع الحال (قلوب يومئذ واجفة) شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة لقلوب والخبر (أبصارها خاشعة) أي أبصار أصحابها ذليلة من الخوف ولذلك أضافها الى القلوب (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة) في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته أي طريقه التي جاء فيها لحفرها أي أثر فيها بمشيه على النسبة كقوله في عيشة راضية أوتشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة (أئذا كنا) وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر (عظاما ناخرة) باليه وقرأ الحجازيان والشامي وحفص وروح نخرة وهي أبلغ (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) ذات خسران أوخاسر أصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم (فانما هي زجرة واحدة) متعلق بمحذوف أي لا يستصعبوها فانما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية (فاذا هم بالساهرة) فاذا هم أحياء على وجه الارض بعدما كانوا أمواتا في بطنها والساهرة لارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة أولان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم لجهنم (هل أتاك حديث موسى) أليس قد أتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) قد مر بيانه في سورة طه (اذهب الى فرعون انه طغى) على ارادة القول وقرئ أن اذهب لما في النداء من معنى القول (فقل هل لك الى أن تزكى) هل لك ميل الى أن تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفته (فتخشى) باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا (فأراه الآية الكبرى) أي فذهب و بلغ فأراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل أو مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة (فكذب وعصى) فكذب موسى وعصى الله عز وجل بعد ظهور الآية وتحقق الامر (ثم أدبر) عن الطاعة (يسعى) ساعيا في ابطال أمره أوأدبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه (فحشر) فجمع السحرة أوجنوده (فنادى) في المجمع بنفسه أو بمناد (فقال أنا ربكم الاعلى) أعلى كل من يلي أمركم (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أخذا منكلا لمن رآه أوسمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق أوعلى كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري أوللتنكيل فيهما أولهما ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله (ان في ذلك لعبرة لمن يخشى) لمن كان من شأنه الخشية (أأنتم أشد خلقا) أصعب خلقا (أم السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أي جعل مقدار ارتفاعها من الارض أوتخمها لذاهب في العلو فيها (فسواها) فعدلها أوجعلها مستوية أوفتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان أمره اذا أصلحه (وأغطش ليلها) أظلمه منقول من غطش الليل اذا أظلم وانما أضافه اليها لانه يحدث بحركتها (وأخرج ضحاها) وأبرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها ومهدها للسكنى (أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد أو بيان للدحو (والجبال أرساها)

(قوله التابعة وهي السماء الخ) أي المراد من الرادفة التابعة للراجفة الاجرام المتحركة وهي السماء والكواكب (قوله ولذلك أضافها اليه) أي لان ذل الابصار حاصل بسبب الخوف العارض للقلب أضاف الابصار اليها (قوله على النسبة) فيكون المعنى الطريق ذو الحفر كما ان عيشة راضية ذو رضا (قوله أو بيان الدحو) لا يخفى ان الدحو البسط وهو غير اخراج الماء والمرعى مع الدحو سبب لهما

أثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية (متاعا لكم ولانعامكم) تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذا جاءت الطامة) الداهية التي تطم أي تعلو على سائر الدواهي (الكبرى) التي هي أكبر الطامات وهي القيامة أو النفخة الثانية أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان ماسعى) بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة أو طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة أو مصدرية (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) لكل راء بحيث لاتخفى على أحد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد أو أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر أو مابعده من التفصيل (فامامن طغى) حتى كفر (وآثر الحياة الدنيا) فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (فان الجحيم هي المأوى) هي مأواه واللام فيه سادة مساد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي وهي فصل أو مبتدأ (وأمامن خاف مقام ربه) مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدا والمعاد (ونهى النفس عن الهوى) لعلمه بانه مرد (فان الجنة هي المأوى) ليس له سواها مأوى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها أي اقامتها واثباتها أو منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه (فيم أنت من ذكراها) في أي شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم أي ماأنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شئ فان ذكرها لايزيدهم الاغيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وأنت من ذكراها مستأنف ومعناه أنت ذكر من ذكرها أي علامة من أشراطها فان ارساله خاتما للانبياء أمارة من أماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب (الى ربك منتهاها) أي منتهى علمها (انما أنت منذر من يخشاها) انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لايناسب تعيين لوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن أبي عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا) في الدنيا أو في القبور (الا عشية أوضحاها) أي عشية يوم أوضحاه كقوله لاساعة من نهار ولذلك أضاف الضحا الى العشية لانهما من يوم واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

﴿سورة عبس مكية وآيها ثنتان وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عبس وتولى أن جاءه الاعمى) روي أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آأن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى أألن جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه أحق بالرأفة والرفق أو لزيادة الانكار كانه قال نولي لكونه أعمى كالتفات في قوله (ومايدريك لعله يزكى) أي وأي شئ يجعلك دارياً بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره (أو يذكر فتنفعه

(قوله لان العطف على فعلية) أي الراجح نصبهما ورفعهما مرجوح لانه اذا كانا منصوبين كان عطف الفعلية على الفعلية وهو قوله وأخرج ضحاها واذا رفعا لزم عطف الاسمية على الفعلية والاول أولى للتناسب

﴿سورة عبس﴾

(قوله على اختلاف المذهبين) أي على اختلافهما في تنازع الفعلين (قوله كأنه قال تولى لكونه أعمى) أي لاينبغي ذلك لان الاعمى يستحق الالتفات دون التولي (قوله كالالتفات الخ) لان العتاب بطريق الخطاب أشد من طريق الغيبة

الذكرى) أو يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير فى لعله للكافر أى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك أعرضت عن غيره فايدريك ان ماطمعت فيه كائن وقرأ عاصم فتنفعه بالنصب جوابا للعل (أما من استغنى فانت له تصدى) تتعرض له بالاقبال عليه وأصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى أى تعرض وتدعى الى التصدى (وماعليك ألا يزكى) وليس عليك باس فى أن لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن أسلم ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله أو أذية الكفار فى اتيانك أو كبوة الطريق لانه أعمى لاقائد له (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه والهى وتلهى ولعل ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لاينبغى له ذلك (كلا) ردع عن المعاتب عليه أو عن معاودة مثله (انها تذكرة فمن شاء ذكره) حفظه أو اتعظ به والضمير ان للقرآن أو العتاب المذكور وتانيث الاول لتأنيث خبره (فى صحف) مثبتة فيها صفة لتذكرة أو خبر ثان أو خبر لمحذوف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) القدر (مطهرة) منزهة عن أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) كتبة من الملائكة أو الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح أو لوحى أو سفراء يسفرون بالوحى بين الله تعالى ورسله أو الامة جمع سافر من السفر أو السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها (كرام) أعزاء على الله أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم و يستغفرون لهم (برره) أتقياء (قتل الانسان ما أكفره) دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (من أى شئ خلقه) بيان لما أنعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام لتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال أو فقدره أطوارا الى أن تم خلقته (ثم السبيل يسره) ثم سهل مخرجه من بطن أمه بان فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينتكس أو ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله (ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره) وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض ما أمره) لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما أمره الله بامره اذ لا يخلو أحد من تقصير ما (فلينظر الانسان الى طعامه) انباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية (انا صببنا الماء صبا) استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال (ثم شققنا الارض شقا) أى بالنبات أو بالكراب وأسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد أخرى (وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لانها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) ومرعى من أب اذا أم لانه يؤم و ينتجع أو من أب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيء للرعى أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء (متاعا لكم ولانعامكم) فان الانواع المذكورة بعضها طعام و بعضها علف (فاذا جاءت الصاخة) أى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه) لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لاينفعونه أو للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته

(قوله للمبالغة فى التيسير) لانه تكرر اسناد الفعل لان السبيل منصوب بيسر المقدر (قوله وعد الاماتة والاقبار من النعم) يعنى ان الموت والاقبار ليسا من النعم كما لايخفى لكنه تعالى عدهما منها كما فهم من قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره فاجاب بأنهما وصلة أى سبب للوصول الى الحياة الاخروية (قوله غير متعين فى نفسه) أى ليس له وقت يقتضى نظر الى ذاته أن يكون النشور فيه كما زعم بعض المنجمين بل الامر مفوض الى مشيئته أى هو تعالى عين فى علمه وقتا يحصل فيه النشور

وبنيه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه أى يهمه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من اسفار الصبح (ضاحكة مستبشرة) لما ترى من النعيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار وكدورة (ترهقها قترة) يغشاها سواد وظلمة (أولئك هم الكفرة الفجرة) الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة * قال النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا الشمس كورت) لفت من كوّرت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا أريد رفعه لف أولف ضوؤها فذهب انبساطه فى الآفاق وزال أثره أو أثقيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا ألقاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره مابعدها أولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل (واذا النجوم انكدرت) انقضت قال * أبصر خربان فضاء فانكدر * أو أظلمت من كدرت الماء فانكدر (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض أو فى الجو (واذا العشار) النوق اللواتى أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشراء (عطلت) تركت مهملة أو السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردّت ترابا أو أميتت من قولهم اذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد (واذا البحار سجرت) أجيت أوملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليهيجه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بالتخفيف (واذا النفوس زوّجت) قرنت بالابدان أوكل منها بشكلها أو بكتابها وعملها أونفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموؤدة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن (سئلت بأى ذنب قتلت) تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقرئ سألت أى خاصمت عن نفسها وسألت وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية (واذا الصحف نشرت) يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين أصحابها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى بالتشديد للمبالغة فى النشر أو لكثرة الصحف أو شدة التطاير (واذا السماء كشطت) قلعت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير (واذا الجحيم سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد (واذا الجنة أزلفت) قربت من المؤمنين (علمت نفس ما أحضرت) جواب اذا واذا صح والمذكور فى سياقها ثنتا عشرة خصلة ست منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة (فلا أقسم بالخنس) بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ماسوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله (الجوار الكنس) اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر (والليل اذا عسعس) أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا أدبر (والصبح اذا تنفس) أى أضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم (انه) أى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل فانه قاله عن الله تعالى (ذى قوة) كقوله شديد القوى (عند

﴿سورة التكوير﴾
(قوله لان الثوب اذا أريد رفعه لف) كالسفر اذا أريد رفعها من بين القوم لفت (قوله فانكدر) أى شط (قوله والتركيب للارادة والجمع) أى تركيب كلمة من الكاف والواو والراء دال عليهما (قوله أو شدة النظائر) يعنى شدد شين نشرت لان نظائر نشرت كحشرت وسجرت قرئت مشددة (قوله لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها) أى الزمان الذى وقع فيه هذه الامور الاثنا عشر زمان واحد طويل وقع فى بعض أجزائه علم النفوس لما أحضرت فصح ان فى ذلك الزمان وقع العلم المذكور

ذى العرش مكين) عند الله ذى مكانة (مطاع) فى ملائكته (ثم أمين) على الوحى وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات (وما صاحبكم بمجنون) كما تهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) وما محمد عليه الصلاة والسلام (على الغيب) على ما يخبره من الموحى اليه وغيره من الغيوب (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين بالضاد من الضن وهو البخل أى لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان أو يساره والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا (وما هو بقول شيطان رجيم) يقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه لكهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب (ان هو الا ذكر للعالمين) تذكير لمن يعلم (لمن شاء منكم أن يستقيم) بتحرى الحق وملازمة الصواب وايداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير (وما تشاؤن) الاستقامة يا من يشاؤها (الا أن يشاء الله) الا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم (رب العالمين) مالك الخلق كله * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿سورة الانفطار﴾ مكية وآيها تسع عشرة آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت متفرقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها وأخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى (علمت نفس ما قدمت) من عمل أو صدقة (وأخرت) من سيئة أو تركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه (الذى خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك أولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء أو معدلة بما تسعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف أى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت أو صرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوان (فى أى صورة ما شاء ركبك) أى ركبك فى أى صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله (بل تكذبون بالدين) اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء أو

(قوله وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده) اى يحتمل أن يكون المراد ان جبريل مطاع ثم أى عند ذى العرش وأمين صفة أخرى ويحتمل أن يكون المراد ان جبريل أمين ثم أى عنده تعالى وقرئ ثم بحرف العطف للدلالة على شرف الامانة لان ثم ههنا للترتيب بحسب الشرف

﴿سورة الانفطار﴾

(قوله وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة) أى الراء التى فى الاثارة التى هى التهييج ضم الى بعث فصار بعثر كما ان بسمل مركب من بسم واللام التى فى الكلمات الباقية (قوله فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم الخ) لان الكرم اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى وهذا لا يقتضى اهمال الظالم وما ذكره بعده (قوله والدلالة على ان كثرة كرمه الخ) لان الكرم وهو الاعطاء وايصال النفع الى الغير يقتضى الشكر عليه لا عصيان المعطى (قوله والظرف صلة عدلك) اعترض بأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله وأجاب العلامة الطيبى بأن التقدير فعدلك فيما قال فى حقه فى أى صورة ما شاء ركبك

(قوله وردلما يتوقعون من التسامح) فيه ان الكرام الكاتبين حافظون لاعمال المؤمنين مع انه قد يقع التسامح والاهمال عن بعض السيآت فى الآخرة (قوله وتعظيم الكتبة الخ) لان تعظيمهم يدل على تعظيم شغلهم وهو ضبط الاعمال فيدل على تعظيم جزائها اذ لولم يكن مايترتب على الاهمال عظيما لم يكن ضبطها وكتبها عظيما (قوله تعالى يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) بالنصب ظرف لما يستفاد من الكلام أى يعظم الامر ويشتد الهول يوم لاتملك

الاسلام (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) تحقيق لما يكذبون به وردلما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء (ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) بيان لما يكتبون لاجله (يصلونها) يقاسون حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) لخلودهم فيها وقيل معناه ومايغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها فى القبور (وماأدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين) تعجيب وتفخيم لشأن اليوم أى كنه أمره بحيث لاتدركه دراية دار (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) تقرير لشدة هوله وفخامة أمره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين أو الخبر المحذوف * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة والله أعلم

﴿سورة المطففين مختلف فيها وآياتها ست وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ويل للمطففين) التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان مايبخس طفيف أى حقير روى أن أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفى الحديث خمس بخمس مانقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وماحكموا بغير ماأنزل الله الا افشا فيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة الا افشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) أى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما أبدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس أو اكتيال يتحامل فيه عليهم (واذا كالوهم أو وزنوهم) أى اذا كالوا للناس أو وزنوا لهم (يخسرون) فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله * ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * بمعنى جنيت لك أو كالوا مكيلهم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل الخ) أى انما ألزمنا حذف الحرف أو المضاف ولم نقل بأن هم تأكيد للواو فى كالوا ووزنوا لان الضمير المنفصل لايحسن أن يجعل تأكيدا للمتصل ههنا لان المقصود بيان حالهم فى الاخذ على الناس والدفع اليهم وليس المقصود مجرد مغايرة الكيل والوزن (قوله وعظمه لعظم مايكون فيه) اذ لا معنى لعظمة اليوم الا ذاك (قوله ويؤيده القراءة بالجر) فيه ان القراءة بالجر تناسب أن يكون بدلا من المجرور لامن الجار والمجرور (قوله لانه سبب الحبس أو لانه مطروح الخ) يعنى ان تسمية الكتاب بالسجين اما لتسمية السبب الذى هو الكتاب باسم المسبب الذى هو السجن والحبس أو تسمية الحال الذى هو الكتاب أيضا باسم المحل الذى هو ماتحت الارضين يعنى لما طرح الكتاب المذكور فيه سمى باسمه (قوله صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة) فالاول بالنظر الى ان

(ويل يومئذ للمكذبين) بالحق أو بذلك (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة (وما يكذب به الا كل معتد)

متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة (أئيم) منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث أشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل (كلا) ردع عن هذا القول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ردلما قالوه وبيان لما أدى بهم الى هذا القول بأن غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلاة والسلام ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام (كلا) ردع عن الكسب الرائن (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن أنكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك أو قدر مضافا مثل رحمة ربهم أو قرب ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) ليدخلون النار ويصلون بها (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) تقوله لهم الزبانية (كلا) تكرير للاول ليعقب بوعيد الابرار كما عقب الاول بوعيد الفجار اشعارا بأن التطفيف فجور والايفاء برّ أو ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم) الكلام فيه مامر فى نظيره (يشهده المقربون) يحضرونه فيحفظونه أو يشهدون على مافيه يوم القيامة (ان الابرار لفى نعيم على الارائك) على الاسرّة فى الحجال (ينظرون) الى مايسرهم من النعم والمتفرجات (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على البناء للمفعول ونضرة بالرفع (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) أى مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته أو الذى له ختام أى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء أى مايختم به ويقطع (وفى ذلك) يعنى الرحيق أو النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (ومزاجه من تسنيم) علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها (عينا يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر أهل الجنة وانتصاب عينا على المدح أو الحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله (ان الذين أجرموا) يعنى رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين (واذا مرّوا بهم يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين) متلذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال (وما أرسلوا عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم أذلاء مغلوبين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون (هل ثوب الكفار) أى هل أثيبوا (ما كانوا يفعلون) وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

﴿سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انشقت) بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله تعالى عنه تنشق من المجرة (وأذنت لربها) واستمعت له أى انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد

المكذبين عام والثانى بالنظر الى ان المراد من المكذبين المكذبون بيوم الدين (قوله اشعارا بأن التطفيف فجور) يعنى عقب كلا بوعيد الفجار فى قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين للاشعار بأن التطفيف فجور لان كلا هذه ردع عن التطفيف واتصل بوعيد الفجار (قوله مكان الطين) وفى الصحاح الختام الطين الذى يختم به

﴿سورة الانشقاق﴾

المطواع الذى يأذن للآمر ويذعن له (وحقت) وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (واذا الارض مدت) بسطت بان تزال جبالها وآكامها (وألقت مافيها) مافى جوفها من الكنوز والاموات (وتخلت) وتكلفت فى الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها (وأذنت لربها) فى الالقاء والتخلى (وحقت) للاذن وتكرير اذا الاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام أوالاكتفاء بما مر فى سورتى التكوير والانفطار أولدلالة قوله (ياأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه أى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه أوفملاقيه ويأيها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزائه (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا لا مناقش فيه (وينقلب الى أهله مسرورا) الى عشيرته المؤمنين أوفريق المؤمنين أو أهله فى الجنة من الحور (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) أى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره فيغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره (فسوف يدعوثبورا) يتمنى الثبور ويقول ياثبوراه وهوالهلاك (ويصلى سعيرا) وقرأ الحجازيان والشامى ويصلى لقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى لقوله ونصله جهنم (انه كان فى أهله) أى فى الدنيا (مسرورا) بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة (انه ظن أن لن يحور) ان يرجع الى الله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد لن (ان ربه كان به بصيرا) عالما بأعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه (فلا أقسم بالشفق) الحمرة التى ترى فى أفق المغرب بعد الغروب وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى انه البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة (والليل وماوسق) وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال * مستوسقات لو يجدن سائقا * أوطرده الى أماكنه من الوسيقة (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال مطابقة لاختها فى الشدة وهولما طابق غيره فقيل للحال المطابقة أومراتب من الشدة بعد المراتب هى الموت ومواطن القيامة وأهوالها أوهى وما قبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ أوالرسول عليه الصلاة والسلام على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة أوطبقا من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا أوحال من الضمير بمعنى مجاوز الطبق أومجاوزين له (فمالهم لايؤمنون) بيوم القيامة (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) لايخضعون أو لايسجدون لتلاوته لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به أبو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سجد فيها وقال والله ماسجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها (بل الذين كفروا يكذبون) أى بالقرآن (والله أعلم بما يوعون) بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة (فبشرهم بعذاب أليم) استهزاء بهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع أومتصل والمراد من تاب وآمن منهم (لهم أجر غير ممنون) مقطوع أو ممنون به عليهم * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانشقاق أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

﴿سورة البروج مكية وآيها ثنتان وعشرون آية﴾

(قوله أوفملاقيه) أى الجواب فملاقيه والمعنى فهو ملاقيه أى الانسان يلاقى جزاءه (قوله فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد) وأجاب الشافعى رضى الله عنه بأن الذم لانكارهم السجود والطعن لانه بيان حال الكفرة لقوله تعالى فمالهم لايؤمنون (قوله والمراد من تاب وآمن منهم) هذا على تقدير الاتصال

﴿سورة البروج﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء ذات البروج) يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو المبالغة في الكثرة كانه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود أو النبي عليه الصلاة والسلام وأمته أو أمته وسائر الامم أو كل نبي وأمته أو الخالق والخلق أو عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده أو الملك الحفيظ والمكلف أو يوم النحر أو عرفة والحجيج أو يوم الجمعة والجمع فانه يشهد له أو كل يوم وأهله (قتل أصحاب الاخدود) قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر أنه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاحقوق روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمى جليس الملك فأبرأه فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وأرسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس برب الغلام فأمر باخاديد وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله تعالى عنه كان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال ان الله أحل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فأمر باخاديد النار فطرح فيها من أبى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حير فأحرق في الاخاديد من لم يرتد (النار) بدل من الاخدود بدل الاشتمال (ذات الوقود) صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتقع به لهبها واللام في الوقود للجنس (اذهم عليها) على حافة النار (قعود) قاعدون (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانهم لم يقصروا فيما أمر وا به أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم (وما نقموا منهم) وما أنكروا (الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء على طريقة قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله (الذي له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد) للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بلوهم بالاذى (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه (ان بطش ربك لشديد) مضاعف عنفه

(قوله واصل التركيب للظهور) أي التركيب من الباء والراء والجيم (قوله فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده) فلما كان تعالى مطلعا على خلقه كان شاهدا لان الشاهد بمعنى العالم والخلق مشهودا معلوما ولما كان الخلق دليلا على وجوده تعالى كان الخلق شاهدا عليه لان الشاهد بمعنى الدليل وهو تعالى مشهودا (قوله روى مرفوعا) أي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم

فان البطش أخذ بعنف (انه هو يبدئ ويعيد) يبدئ الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب (الودود) المحب لمن أطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذى العرش صفة لربك (المجيد) العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجوه جزة والكسائى صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره (هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود) أبدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما أصابهم (بل الذين كفروا فى تكذيب) لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم أعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم (والله من ورائهم محيط) لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط (بل هو قرآن مجيد) بل هذا الذى كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد (فى لوح محفوظ) من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء يعنى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح *عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسنات

﴿سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء والطارق) والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه (وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) المضىء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أو لافلاك والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه (ان كل نفس لما عليها) أى ان الشأن كل نفس لعليها (حافظ) رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على أنها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه توصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته (خلق من ماء دافق) جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين فى الرحم لقوله (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك أن الدماغ أعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهو النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما أقرب الى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب (انه على رجعه لقادر) والضمير للخالق ويدل عليه خلق (يوم تبلى السرائر) تتعرف ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفى من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه (فماله) فما للانسان (من قوة) من منعة فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) يمنعه (والسماء ذات الرجع) ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى أوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا أو لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب (والارض ذات الصدع) ما تصدع عنه الارض من النبات أو الشق بالنبات والعيون (انه) ان

(قوله والمعنى قد عرفك تكذيبهم للرسل) يعنى ان اتيان حديث الجنود اياك عرفك تكذيبهم للرسل

﴿سورة الطارق﴾

(قوله وهو زحل) لان الثاقب أحد معانيه المرتفع العالى (قوله ولو صح الخ) سؤال وجواب أما السؤال فلان الاطباء قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع الخ فهو خارج من جميع الاعضاء لا اختصاص له بالصلب والترائب وأما الجواب فهو انا لا نسلم ما ذكره الاطباء لان كلامهم على الظن فلا يقابل القرآن الذى هو النص القاطع ولئن سلمناه فنقول أعظم الاعضاء معونة فى توليد النطفة هو الدماغ الخ ومحصل هذا الجواب ان بعض أجزاء المنى يخرج من بين الصلب والترائب فصح ان الانسان خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب

القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل (وماهو بالهزل) فانه جد كله (انهم) يعنى أهل مكة (يكيدون كيدا) فى ابطاله واطفاء نوره (وأكيد كيدا) وأقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم من حيث لايحتسبون (فمهل الكافرين) فلاتشتغل بالانتقام منهم أولاتستعجل باهلاكهم (أمهلهم رويدا) امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

﴿سورة الأعلى مكية وآيها تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح اسم ربك الاعلى) نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لاعلى وجه التعظيم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (الذى خلق فسوّى) خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له مابه يتاتى كماله ويتم معاشه (والذى قدر) أى قدر أجناس الاشياء وانواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها (فهدى) فوجهه الى أفعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات (والذى أخرج المرعى) أنبت ماترعاه الدواب (فجعله) بعد خضرته (غثاء أحوى) يابسا أسود وقيل أحوى حال من المرعى أى أخرجه أحوى أى أسود من شدة خضرته (سنقرئك) على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام أوسنجعلك قارئا بالهام القراءة (فلاتنسى) أصلا من قوة الحفظ مع انك أمى ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا (الاماشاء الله) نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أونفى النسيان رأسا فان القلة تستعمل للنفى (انه يعلم الجهر ومايخفى) ماظهر من أحوالكم ومابطن أوجهرك بالقراءة مع جبريل عليه الصلاة والسلام ومادعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم مافيه صلاحكم من ابقاء وانساء (ونيسرك لليسرى) ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى أوانتدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لانيسرلك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض (فذكر) بعدما استتب لك الامر (ان نفعت الذكرى) لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وماأنت عليهم بجبار الآية أولعدم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم أوللاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك أمر بالاعراض عمن تولى (سيذكر من يخشى) سيتعظ ويتنفع بها من يخشى الله تعالى بأن يتأمل فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى (الاشقى) الكافر فانه أشقى من الفاسق أوالاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر (الذى يصلى النار الكبرى) نار جهنم فانه عليه الصلاة والسلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم أوما فى الدرك الاسفل منها (ثم لايموت فيها) فيستريح (ولايحيا) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) تطهر من الكفر والمعصية أوتكثر من التقوى من الزكاء أوتطهر للصلاة أوأدى الزكاة (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) كقوله أقم الصلاة لذكرى ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلاتفعلون مايسعدكم فى الآخرة

(قوله والتكرير وتغيير البنية) أى ههنا تكرير بحسب المعنى لانه تعالى قال فمهل الكافرين من باب التفعيل ثم قال أمهلهم من باب الافعال والتكرير موجب لزيادة التسكين أى تسكين الغضب الذى فى صدر الرسول صلى الله عليه وسلم على طلب الكفار وطلب التشفى منهم وأما مخالفة البنية فليخرج عن محض التأكيد فكان كل منهما كلاما مستقلا فيفيد زيادة التسكين

﴿سورة سبح﴾

(قوله اجعلوها فى ركوعكم الخ) لعل وجه جعله فى الركوع ان الركوع تواضع وتذلل فناسب ان يجعل فيه مقابله وهو العظمة لله تعالى ولما كان السجود غاية التسفل ناسب ان يجعل مقابله وهو العلو لله تعالى (قوله ولهذه النكتة قال نيسرك لانيسرلك) أى لافادة انك موفق لها قال نيسرك لانيسرلك

والخطاب للاشقين على الالتفات أوعلى اضمار قل أو للكل فان السعى للدنيا أكثر فى الجملة وقرأ أبو عمرو بالياء (والآخرة خير وأبقى) فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لانقطاع له (ان هذا لفى الصحف الاولى) الاشارة الى ماسبق من قد أفلح فانه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة (صحف ابراهيم وموسى) يدل من الصحف الاولى * قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

* سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(هل أتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة أو النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار (وجوه يومئذ خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل ماتتعب فيه كجر السلاسل وخوضها فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها أو عملت ونصبت فى أعمال لاتنفعها يومئذ (تصلى نارا) تدخلها وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر تصلى من أصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة (حامية) متناهية فى الحر (تسقى من عين آنية) بلغت اناها فى الحر (ليس لهم طعام الا من ضريع) يابيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم أو المراد طعامهم ماتتحاماه الابل وتعافه لضره وعدم نفعه كما قال (لايسمن ولايغنى من جوع) والمقصود من الطعام أحد الامرين (وجوه يومئذ ناعمة) ذات بهجة أو متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ثوابه (فى جنة عالية) علية المحل أو القدر (لاتسمع) يا مخاطب أو الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وأبو عمرو ورويس وبالتاء نافع (فيها لاغية) لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفوسا تلغو فان كلام أهل الجنة الذكر والحكم (فيها عين جارية) يجرى ماؤها ولاينقطع والتنكير للتعظيم (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك أو القدر (وأكواب) جمع كوب وهى آنية لاعروة لها (موضوعة) بين أيديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها الى بعض (وزرابى) بسط فاخرة جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة (أفلاينظرون) نظر اعتبار (الى الابل كيف خلقت) خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لحمل الاثقال الى البلاد النائية لجعلها عظيمة بارکة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا لتأتى لها قطع البوادى والمفاوز مع مالها من منافع أخرى ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى أشرف المركبات وأكثرها صنعا ولانها أعجب ماعند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة (والى السماء كيف رفعت) بلا عمد (والى الجبال كيف نصبت) فهى راسخة لاتميل (والى الارض كيف سطحت) بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلاينظرون الى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى فلاينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال (فذكر انما أنت مذكر) فلاعليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذما عليك الا البلاغ (لست عليهم بمصيطر) بمتسلط وعن الكسائى بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام (الا من تولى وكفر) لكن من تولى وكفر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) يعنى عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه أوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر الا من تولى وأصر فاستحق العذاب الاكبر

* سورة الغاشية *
(قوله بالفتح والضم) أى بفتح النون وضم الراء (قوله ولانها أعجب ماعند العرب من هذا النوع) أى من نوع الحيوان من المركبات (قوله على الاستعارة) أى استعير الابل للسحاب ووجه الشبه سرعة السير وكثرة الحمل والمنافع وعظم الجرم (قوله ويؤيد الاول الخ) أى يؤيد كونه منقطعا لانهما مشتركان فى عدم الدلالة على كونه داخلا فى العدم

وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول أنه قرئ ألا على التنبيه (ان الينا اياهم) رجوعهم وقرئ بالتشديد على أنه فيعال مصدر فيعل من الاياب أو فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها فى ديوان ثم لثانية للادغام (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فى الوعيد * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

* سورة الفجر مكية وآيها ثلاثون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(والفجر) أقسم بالصبح أو فلقه كقوله والصبح اذا تنفس أو بصلاته (وليال عشر) عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) والاشياء كلها شفعها ووترها أو الخلق لقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك أو البروج والسيارات أو شفع الصلوات ووترها أو بيومى النحر وعرفة وقد روى مرفوعا أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلا فى الدين أو مناسبة لما قبلهما أو أكثر منفعة موجبة للشكر وقرئ والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر (والليل اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذا دبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد رخصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب أصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق (هل فى ذلك) القسم أو المقسم به (قسم) حلف أو محلوف به (لذى حجر) يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) يعنى أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود سموا باسم أبيهم كما سمى بنوها ثم باسمه (ارم) عطف بيان لعاد على تقدير مضاف أى سبط ارم أو أهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى أوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث (ذات العماد) ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال أو الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابله فوقع عليها (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة أخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) وادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا أو لتعذيبه بالاوتاد (الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون أو ذم منصوب أو مرفوع (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ما خلط لهم من أنواع العذاب وأصله الخلط وانما سمى به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما أحل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما أعدلهم فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف (ان ربك لبالمرصاد) المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب (فأما الانسان) متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من

* سورة الفجر

(قوله ومن فسرها بالعناصر والافلاك الخ) فالعناصر شفع لانها أربعة والافلاك وتر لانها تسعة والبروج شفع لانها اثنا عشر والسيارات وتر لانها سبعة وقوله ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلا فى الدين الاول ناظر الى تفسير الشفع بالاولين والثانى ناظر الى تفسيرهما بالآخرين (قوله أو مناسبة لما قبلهما) فان الافلاك والعناصر والبروج والسيارات يناسب أكثر مناسبة لما قبلهما أى لما قبل الشفع والوتر وهو الفجر وشفع الصلاة ووترها ويوم النحر وعرفة أكثر مناسبة لليال عشر (قوله أو أكثر منفعة موجبة للشكر) فان الفجر نعمة عظيمة وموجبة للشكر فانه سبب لتحصيل المقاصد والمعيشة وليال عشر سبب للثواب العظيم الموجب للشكر راعى حقها

الآخرة فلا يريد الا السعى لها فأما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها (اذا ما ابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر (فأكرمه ونعمه) بالجاه والمال (فيقول ربى أكرمنى) فضلنى بما أعطانى وهو خبر المبتدا الذى هو الانسان والفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التأخير كأنه قيل فأما الانسان فقائل ربى أكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله (وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اذ التقدير وأما الانسان اذا ما ابتلاه أى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه (فيقول ربى أهانن) لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه ورد عنه بقوله (كلا) مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون أكرمن وأهانن بغير ياء فى الوصل والوقف وعن أبى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد (بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين) أى بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال وهوانهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون أهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون (ويأكلون التراث) الميراث وأصله وراث (أكلا لما) ذالما أى جمعا بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام غالبين بذلك (ويحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب لا يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه (اذا دكت الارض دكا دكا) أى دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباء منبثا (وجاء ربك) أى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته (والملك صفا صفا) بحسب منازلهم ومراتبهم (وجىء يومئذ بجهنم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ) بدل من اذا دكت الارض والعامل فيهما (يتذكر الانسان) أى يتذكر معاصيه أو يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها (وأنى له الذكرى) أى منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) أى لحياتى هذه أو وقت حياتى فى الدنيا أعمالا صالحة وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن شئ قد يتمنى أن كان ممكنا منه (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء لله أى لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله له أو للانسان أى لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول (يا أيتها النفس المطمئنة) على ارادة القول وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستفر دون معرفته وتستغنى به عن غيره أو الى الحق بحيث لا يريبها شك أو الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بهما (ارجعى الى ربك) الى أمره أو موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس أو بالبعث (راضية) بما أوتيت (مرضية) عند الله تعالى (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين (وادخلى جنتى) معهم أو فى زمرة المقربين فتستضىء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة أو ادخلى فى أجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى التى أعددت لك * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

(قوله المبدل من حرف الاطلاق) حرف الاطلاق الالف والواو والياء لكن المراد ههنا الياء (قوله مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه) أراد ان قوله غير ما فصله الله سبب الذم فلا يكون الرد بسبب القول الاول وهو أكرمنى لانه مطابق لاكرمه (قوله ولم يقل فأهانه وقدر عليه) عطف على قوله ذمه أى ولذلك ذمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه أى ولاجل ان التغيير لا يستلزم الاهانة ذمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه (قوله لئلا يناقض ما قبله) أى ما قبل التوبة يدل على ثبوت التذكير فلو لم يقدر لمنفعة ههنا لكان نفيا للذكر فينافى الاول (قوله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة الخ) انما قال استدل لضعفه اما أولا فلانه يجوز ان يراد بالتذكر تذكر المعاصى وهو ليس بتوبة واما ثانيا فلانه لو سلم انه توبة فنقول عدم قبولها فى الآخرة لا يستلزم عدم قبولها فى الدنيا (قوله ويشعر ذلك الخ) لان الرجوع يدل على ان النفس كانت قبل ذلك موجودة لان الرجوع عود الشئ الى الحالة الاولى وقوله أو بالبعث عطف على بالموت

﴿سورة البلد مكية وآيها عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول عليه الصلاة والسلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف أهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره أو حلال لك أن تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له عام الفتح (ووالد) عطف على هذا البلد والوالد آدم أو ابراهيم عليهما الصلاة والسلام (وما ولد) ذريته أو محمد عليه الصلاة والسلام والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله أعلم بما وضعت (لقد خلقنا الانسان في كبد) تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير في (أيحسب) لبعضهم الذي كان يكابد منه أكثر أو يغتر بقوته كابي الاشدين كلدة فانه كان يبسط تحت قدميه أديم عكاظي ويجذبه عشرة فيقطع ولا تزال قدماه أول كل أحد منهم أو للانسان (أن لن يقدر عليه أحد) فينتقم منه (يقول) أي في ذلك الوقت (أهلكت مالا لبدا) كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة للرسول عليه الصلاة والسلام (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله سبحانه وتعالى يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم بين ذلك بقوله (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما (ولسانا) يترجم به عن ضميره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) طريق الخير والشر أو الثديين وأصله المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) أي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها بما فسرها به من الفك والاطعام في قوله (وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة) لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها (ثم كان من الذين آمنوا) عطفه على اقتحم أو فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به (وتواصوا) وأوصى بعضهم بعضا (بالصبر) على طاعة الله تعالى (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمة الله تعالى (أولئك أصحاب الميمنة) اليمين أو اليمن (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن (هم أصحاب المشأمة) الشمال أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى (عليهم نار موصدة) مطبقة من أوصدت الباب اذا أطبقته وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله سبحانه وتعالى الامان من غضبه يوم القيامة

﴿سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والشمس وضحاها) وضوءها اذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء

﴿سورة البلد﴾ (قوله ولتعدد المراد بها الخ) أي لان المراد بما الواقعة فيما العقبة حسن وقوع لا في فلا اقتحم العقبة مكان ولم يقل فلم يقتحم العقبة لان لا لا تكاد تقع الا مكررة والمراد من عدم وقوعها الا مكررة وقوعها على الفعل الماضي لكن ما قاله خلاف قول صاحب الكشاف لانه قال قلما تأتي لا الداخلة على الماضي الا مكررة وبين هذه العبارة وما قاله المصنف فرق ظاهر كما لا يخفى

﴿سورة الشمس﴾

بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف (والقمر اذا تلاها) تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها لليلة البدر أو في الاستدارة وكمال النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا أو الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها (والليل اذا يغشاها) يغشى الشمس فيغطي ضوأها أو الآفاق أو الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معهار بطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو ولما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين (والسماء وما بناها) ومن بناها وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والشئ القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام في قوله (والارض وما طحاها ونفس وما سواها) وجعل الما آت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله (فالهمها فجورها وتقواها) بقوله وما سواها الا أن يضمر فيه اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس أو للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريفهما أو التمكين من الاتيان بهما (قد أفلح من زكاها) أنماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول كأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل هو استطراد بذكر بعض أحوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام (وقد خاب من دساها) نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض (كذبت ثمود بطغواها) بسبب طغيانها أو بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية وأصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى (اذا انبعث) حين قام ظرف لكذبت أو طغوى (أشقاها) أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن مالأه على قتل الناقة فان أفعل التفضيل اذا أضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر (فقال لهم رسول الله ناقة الله) أي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها (وسقياها) وسقيها فلا تذودوها عنها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا (فعقروها فدمدم عليهم ربهم) فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسببه (فسواها) فسوى الدمدمة بينهم أو عليهم فلم يفلت منهم صغير ولا كبير أو ثمود بالاهلاك (ولا يخاف عقباها) أي عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

﴿سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والليل اذا يغشى) أي يغشى الشمس أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والانثى) والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد أو آدم وحوّاء وقيل ما مصدرية (ان سعيكم لشتى) ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت (فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من

(قوله وكاد ينتصف) أي قرب أن تصل الشمس الى نصف النهار (قوله ولما كانت واوات العطف الخ) جواب سؤال وهو انه يلزم من عطف هذه الجمل العطف على عاملين مختلفين لان قوله والشمس وضحاها في تقدير قوله أقسم بالشمس وضحاها فلزم العطف على عاملين مختلفين وهو أقسم والباء وأجاب بان الواو القسمية نائبة عن الفعل والباء فههنا عامل واحد وهو الباء والواوات العاطفة نوائب تلك الواو صارت سببا لربط المجرورات التي هي القمر والنهار والليل والظروف اذا تلاها واذا جلاها واذا يغشاها بالمجرور والظرف المقدمين اللذين هما الشمس وضحاها وانما جعل الضحى ظرفا مع انه فسره بالضوء لان له وقتا مخصوصا فكانه ظرف ولهما عامل واحد هو الواو فلا يلزم العطف على عاملين مختلفين كما أن بكرا وخالدا عطف على زيد وعمرو من غير عطف على عاملين مختلفين (قوله وقيل استطراد فذكر أحوال النفس الخ) أي ليس جواب القسم قد أفلح من زكاها بل استطرادا لذكر أحوال النفس التي ذكر بعض أحوالها قبله وهو قوله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها وعلى هذا فالجواب

محذوف وهو قوله فدمدم الله على كل كفار مكة (قوله أو ثمودا بالاهلاك) أي الهاء في فسواها اما راجع الى الدمدمة أو الى ثمود ﴿سورة والليل﴾

أعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهى ما دلت على حق كلمة التوحيد (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام (وأما من بخل) بما أمر به (واستغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بانكار مدلولها (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار (ومايغنى عنه ماله) نفى أو استفهام انكار (اذا تردى) هلك تفعل من الردى أو تردى فى حفرة القبر أو قعر جهنم (ان علينا للهدى) للارشاد الى الحق بموجب قضائنا أو بمقتضى حكمتنا أو ان علينا طريقة الهدى كقوله سبحانه وتعالى وعلى الله قصد السبيل (وان لنا للآخرة والاولى) فنعطى فى الدارين مانشاء لمن نشاء أو ثواب الهداية للمهتدين أو فلا يضرنا ترككم الاهتداء (فانذرتكم نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يلزمها مقاسيا شدتها (الا الاشقى) الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لا يلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله (الذى كذب وتولى) أى كذب الحق وأعرض عن الطاعة (وسيجنبها الاتقى الذى) اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا عن أن يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يصرفه فى مصارف الخير اقوله (يتزكى) فانه بدل من يؤتى أو حال من فاعله (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) فيقصد بايتائه مجازاتها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع أو متصل عن محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لانه كافأة نعمة (ولسوف يرضى) وعد بالثواب الذى يرضيه والآيات نزلت فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه حين اشترى بلالا فى جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى أبو جهل أو أمية بن خلف * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله سبحانه وتعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

﴿سورة والضحى وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والضحى) ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه أو لان فيه كلم موسى ربه وألقى السحرة سجدا أو النهار ويؤيده قوله أن يأتيهم باسنا ضحى فى مقابلة بياتا (والليل اذا سجى) سكن أهله أو ركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت أمواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف (ماودعك ربك) ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ماتركك وهو جواب القسم (وما قلى) وما أبغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى أن الوحى تأخر عنه أياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم (وللآخرة خير لك من الاولى) فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين أنه سبحانه وتعالى لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعده لما هو أعلى وأجل من ذلك فى الآخرة أو لنهاية أمرك خير من بدايته فانه صلى الله عليه وسلم لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما أنعم عليه تنبيها على أنه كما أحسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل وان تأخر ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما

(قوله ولا يلزم ذلك صليها) أى لزومها مقاسيا شدتها فعدم التجنب لا يخالف الحصر السابق وهو ان صلى النار لا يكون الا للكافر

﴿سورة والضحى﴾

(قوله باعتبار الاصل) لان الظلمة مقدمة فى الوجود لان النور حادث من الامور التى كل لها حادثة فقبل وجودها كانت الظلمة

مفعوله الثانى أوالمصادفة ويتيما حال (ووجدك ضالا) عن علم الحكم والاحكام (فهدى) فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك أبو طالب الى الشام أوحين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك الى جدك فازال ضلالك عن عمك أوجدك (ووجدك عائلا) فقيرا ذا عيال (فاغنى) بما حصل لك من ربح التجارة (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر أى فلا تعبس فى وجهه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجره (وأما بنعمة ربك فحدث) فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله سبحانه وتعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله سبحانه وتعالى له بعدد كل يتيم وسائل

﴿سورة ألم نشرح مكية وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألم نشرح لك صدرك) ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا أوألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أوبما يسر نالك تلقى الوحى بعدما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ماروى ان جبريل عليه الصلاة والسلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ماسبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه (ووضعنا عنك وزرك) عبأك الثقيل (الذى أنقض ظهرك) الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ماثقل عليه من فرطانه قبل البعثة أوجهله بالحكم والاحكام أوحيرته أوتلقى الوحى أوما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم أومن اصرارهم وتعديهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان (ورفعنا لك ذكرك) بالنبوة وغيرها وأى رفع مثل أن قرن اسمه باسمه تعالى فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة (فان مع العسر) كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم (يسرا) كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تياس من روح الله اذا عراك مايغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما فى ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين (ان مع العسر يسرا) تكرير للتاكيد أواستئناف وعده بان العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة أى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد أوللجنس واليسر منكر فيحتمل أن يراد بالثانى فرد غير ما أريد بالاول (فاذا فرغت) من التبليغ (فانصب) فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدناك من النعم الآتية وقيل اذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة أوفاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء (والى ربك فارغب) بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافك وقرئ فرغب أى فرغب الناس الى طلب ثوابه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى

﴿سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والتين والزيتون) خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة

﴿سورة ألم نشرح﴾
(قوله فكان غائبا حاضرا) فاغيبة عن الخلق باعتبار مناجاته الى الحق والحضور معهم باعتبار دعوتهم (قوله ولعله اشارة الى نحو مما سبق) أى لعل شق الصدر واستخراج القلب الخ اشارة الى نحو ما سبق من انشراح الصدر وتفسحه بما أودع فيه من العلم والحكم (قوله مبالغة فى اثباته) لانه المدعى مع الدليل (قوله من فرطانه) أى من تقصيراته فى الطاعة (قوله وانما زاد ذلك ليكون ابهاما قبل ايضاح) لانه اذا قيل ورفعنا لك توجه السامع ان الرفع له متعلق باى شئ هو فاذا قيل لك وضح المقصود ويفيد المبالغة لانه يفيد ان الرفع له ثم يفيد ان رفع الذكر له فيكون الرفع له
﴿سورة والتين﴾

ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع أنه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة أو مسجدا دمشق وبيت المقدس أو البلدان (وطور سينين) يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه الصلاة والسلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى هو فيه (وهذا البلد الامين) أى الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين أو المأمون فيه يامن فيه من دخله والمراد به مكة (لقد خلقنا الانسان) يريد به الجنس (فى أحسن تقويم) تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات (ثم رددناه أسفل سافلين) بان جعلناه من أهل النار أو الى أسفل سافلين وهو النار وقيل هو أرذل العمر فيكون قوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطعا (فلهم أجر غير ممنون) لا ينقطع أو لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له (فما يكذبك) أى فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة أو نطقا (بعد بالدين) بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب (أليس الله بأحكم الحاكمين) تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله العافية واليقين مادام حيا فاذا مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

﴿سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقرأ باسم ربك) أى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه سبحانه وتعالى أو مستعينا به (الذى خلق) أى الذى له الخلق أو الذى خلق كل شئ ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنعا وتدبيرا وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال (خلق الانسان) أو الذى خلق الانسان فابهم أولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) جمعه على الانسان فى معنى الجمع ولما كان أول الواجبات معرفة الله سبحانه وتعالى نزل أولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته (اقرأ) تكرير للمبالغة أو الاول مطلق والثانى للتبليغ أو فى الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما أنا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) الزائد فى الكرم على كل كريم فانه سبحانه وتعالى ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة (الذى علم بالقلم) أى الخط بالقلم وقد قرئ به لتقييد به العلوم ويعلم به البعيد (علم الانسان مالم يعلم) بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه وتعالى مبدأ أمر الانسان ومنتهاه اظهارا لما أنعم عليه من أن نقله من أخس المراتب الى أعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته وأشار أولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل عليها سمعا (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) أن رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد (ان الى ربك الرجعى) الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) نزلت فى أبى جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح

(قوله ونظائر سائر الممكنات) أى استجماع أمثال سائر الممكنات فان الرأس نظير سقف السماء والحواس كالكواكب (قوله وهو على الاول حكم مترتب على الاستثناء مقرر له) أى على تقدير جعل الاستثناء متصلا كان هذه الجملة مؤكدا له واما على تقدير الانقطاع فهى خبر المبتدا

﴿سورة العلق﴾

(قوله أو الذى خلق الانسان) عطف على الذى له الخلق يعنى ان المراد من الذى خلق الذى خلق الانسان (قوله جمعه لان الانسان فى معنى الجمع) يعنى جمع العلق الذى هو مفرده علقة مع ان الانسان مفرد لانه وان كان مفردا فى الظاهر فهو فى معنى الجمع (قوله وقد عدد سبحانه مبدأ أمر الانسان ومنتهاه) فبدؤه خلقه من علق ومنتهاه تعليمه ما لم يعلم (قوله لدلالة الكلام عليه) وهو قوله ان الانسان (قوله ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح الهى الخ) لان العبد شأنه ان يعبد صاحبه ويطيعه ولما كان تنكيره للتعظيم كان دالا على كمال عبودية المنهى

النهى والدلالة على كمال عبودية المنهى (أرأيت ان كان على الهدى أوأمر بالتقوى) أرأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله (أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى) والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه أوآمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده أوان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما تقول ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله وقيل المعنى أرأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه سبحانه وتعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكانه قال يا كافر أخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله سبحانه وتعالى أمرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل أولان نهى العبد اذا صلى يحتمل أن يكون لها ولغيرها وعامة أحوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة (كلا) ردع للناهى (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتابته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بالالف عن الالف للعلم بان المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة (فليدع ناديه) أى أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى يندى فيه القوم روى أن أبا جهل لعنه الله مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت (سندع الزبانية) ليجروه الى النار وهو فى الاصل الشرط واحدهاز بنية كعفرية من الزبن وهو الدفع أوزبنى على النسب وأصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء (كلا) ردع أيضا للناهى (لاتطعه) أى اثبت أنت على طاعتك (واسجد) ودم على سجودك (واقترب) وتقرب الى ربك وفى الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

﴿سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أنزلناه فى ليلة القدر) الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان أسند نزله اليه وعظم الوقت الذى أنزل فيه بقوله (وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها أوأنزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه فى فضلها وهى فى أوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعى الى اخفائها أن يحيى من يريدها ليالى كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها أولتقدير الامور فيها لقوله سبحانه وتعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وذكر الالف اما للتكثير أولما روى أنه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة القدر هى خير من مدة ذلك الغازى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) بيان لما له فضلت على ألف شهر وتنزلهم الى الارض أوالى السماء الدنيا أوتقربهم الى المؤمنين (من كل أمر) من أجل كل

(قوله أرأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله الخ) المراد ان ماذكر بعد أرأيت الذى ذكر ثانيا وثالثا متعلق بأرأيت الاول فهما يكونان لمجرد التأكيد (قوله أوان كان على التكذيب) وعلى هذا يكون أومحذوفة (قوله يخاطب هذا مرة والآخر أخرى) فأرأيت الذى ينهى على هذا خطاب للمنهى وكذا أرأيت ان كذب وتولى وأما أرأيت ان كان على الهدى فخطاب للكافر (قوله فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل) والامر دعوة بالقول لكن الدعوة بالفعل أقوى من الدعوة بالقول فلذا خص ذكره (قوله أولان نهى العبد اذا صلى الخ) أى ينهى العبد اذا صلى يحتمل أن يكون للدعوة أى لاجل ان العبد شغله الدعوة ويحتمل أن يكون لغير الدعوة وغاية أحوال الدعوة أى ما يترتب عليها ينحصر فيما ذكر والنهى عن الامر بالتقوى يدرج فى نهى العبد اذا صلى (قوله وانما جاز لوصفها) أى انما جاز بدل النكرة من المعرفة لوصف البدل (قوله للمبالغة) لانه اذا كانت ناصية الشخص كاذبة كان كونه كاذبا أولى

﴿سورة القدر﴾

(قوله شهادة له بالنباهة المنفية عن التصريح به) أى القرآن لنباهته وعظمته اشتهر بحيث يستغنى عن التصريح باسمه

أمر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان (سلام هى) ماهى الا سلامة أى لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والبلاء أو ماهى الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) أى وقت مطلعه أى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على انه كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق *عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الاجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

﴿سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله سبحانه وتعالى ومن للتبيين (والمشركين) وعبدة الاصنام (منفكين) عما كانوا عليه من دينهم أو الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم (حتى تأتيهم البينة) الرسول عليه الصلاة والسلام أو القرآن فانه مبين للحق أو معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بالخامه من تحدى به (رسول من الله) بدل من البينة بنفسه أو بتقدير مضاف أو مبتدأ (يتلو صحفا مطهرة) صفته أو خبره والرسول عليه الصلاة والسلام وان كان أميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبريل عليه الصلاة والسلام وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتى ما فيها أو انها لا يمسها الا المطهرون (فيها كتب قيمة) مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) عما كانوا عليه بان آمن بعضهم أو تردد فى دينه أو عن وعدهم بالاصرار على الكفر (الا من بعد ما جاءتهم البينة) فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى (وما أمروا) أى فى كتبهم بما فيها (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) لا يشركون به (حنفاء) مائلين عن العقائد الزائغة (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة) ولكنهم حرفوا وعصوا (وذلك دين القيمة) دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها) أى يوم القيامة أو فى الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما (أولئك هم شر البرية) أى الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمز على الاصل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفها بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد (رضى الله عنهم) استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم (ورضوا عنه) لانه بلغهم أقصى أمانيهم (ذلك) أى المذكور من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير *عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن الذين كفروا كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

﴿سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى أو الثانية أو الممكن لها أو اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال الا فى المضاعف (وأخرجت الارض أثقالها) ما فى جوفها من الدفائن أو الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت (وقال الانسان مالها)

(قوله أى وقت مطلعه) انما قدر كذلك لان المطلع مصدر

﴿سورة البينة﴾

(قوله أو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم باخلاقه) هذا مأخوذ من قول الامام حجة الاسلام ان مجموع الاخلاق الفاضلة كان بالغا فيه الى حد الاعجاز (قوله بدل من البينة بنفسه أو بتقدير مضاف) الاول على تقدير ان يكون المراد من البينة الرسول والثانى على تقدير ان يكون المراد القرآن والتقدير كتاب رسول من الله (قوله دين الملة القيمة) انما قدر ذلك لانه لو لم يقدر كان اضافة الشئ الى صفته وهو ممنوع عند البصريين

﴿سورة اذا زلزلت﴾

(قوله بدل من اذا) أى اذا زلزلت الارض (قوله أو أصل) أى ليس ببدل فيكون العامل فيه غير العامل فى اذا واذا كان العامل فى يومئذ تحدث يحتاج اذا الى عامل يكون جواب الشرط وهو من جنس المذكور أو مناسبه (قوله بان أحدث فيها الخ) أى المراد من الايحاء المذكور هو الاحداث الذى ذكر (قوله اذ لها فى ذلك تشف من العصاة) أى اللام الذى يدل على النفع لاجل ان فى ذلك تشفيا لها من العصاة (قوله متفرقين بحسب مراتبهم) فالسعداء لهم أمكنة خاصة مناسبة لهم والاشقياء لهم أمكنة أخرى مناسبة لهم أيضا (قوله ولذلك قرئ يره بالضم) أى بضم الياء (قوله وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة) أى رؤية جزاء عمل الخير مشروطة بعدم الاحباط) أى عدم احباط المعاصى الكثيرة اياه ورؤية جزاء عمل الشر مشروطة بعدم العفو وانما أول بذلك لان الكافر لا يرى أثر عمل الخير عند هذا القائل لان عمله محبوط والمؤمن العاصى قد يغفر له فلا يرى جزاء عمله الشر (قوله أو من الاولى مخصوصة بالسعداء الخ) هذا تأويل آخر وهو ان وجوب رؤية جزاء عمل الخير ألبتة مشروطة بان يكون للسعداء ووجوب رؤية جزاء عمل الشر مشروطة بان يكون للاشقياء أى للكافرين والا فالعاصى يمكن أن لا يرى الشر الذى عمله بسبب عفو الله

﴿سورة العاديات﴾

(قوله وتخصيصه لانه الاصل)

لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها (يومئذ تحدث) تحدث الخلق بلسان الحال (أخبارها) مالاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله سبحانه وتعالى فتخبر بما عمل عليها يومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث أو أصل واذا منتصب بمضمر (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان أحدث فيها مادلت على الاخبار أو أنطقها بها ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى أو على أصلها اذ لها فى ذلك تشف من العصاة (يومئذ يصدر الناس) من مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا أعمالهم) جزاء أعمالهم وقرئ بفتح الياء (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة أو من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله أشتاتا والذرة النملة الصغيرة أو الهباء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت الارض أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعاديات ضبحا) أقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف أو بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات أو ضبحا حال بمعنى ضابحة (فالموريات قدحا) فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى (فالمغيرات) يغير أهلها على العدو (صبحا) أى فى وقته (فأثرن) فهيجن (به) بذلك الوقت (نقعا) غبارا أو صياحا (فوسطن) به) فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو أو بالنقع أى ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعداء روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضت أشهرا ثم أتاه منهم خبر فنزلت ويحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن أنوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل أنوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين (ان الانسان لربه لكنود) لكفور من كند النعمة كنودا أو لعاص بلغة كندة أو لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم (وانه على ذلك) وان الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه لظهور أثره عليه أو أن الله سبحانه وتعالى على كنوده لشهيد فيكون وعيدا (وانه لحب الخير) المال من قوله سبحانه وتعالى ان ترك خيرا أى مالا (لشديد) لبخيل أو لقوى مبالغ فيه (أفلا يعلم اذا بعثر) بعث (ما فى القبور) من الموتى وقرئ بحثر وبحث (وحصل) جمع محصلا فى الصحف أو ميز (ما فى الصدور) من خير أو شر وتخصيصه لانه الاصل (ان ربهم بهم يومئذ) وهو يوم القيامة (لخبير) عالم بما أعلنوا وما أسروا فيجازيهم عليه وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم فى الحالين وقرئ أن وخبير بلا لام * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

﴿سورة القارعة مكية وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة) سبق بيانه فى الحاقة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

أى تخصيص ما فى الصدور أى عمل القلب لانه الاصل (قوله لاختلاف شأنهم فى الحالين) لانه ما لغير العقلاء وهو مناسب لما فى القبور لان جادوهم أى لفظ هم لذى العقل لان هذه الحالة بعد الخروج من القبر ﴿سورة القارعة﴾

فى كثرهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ذى الالوان (المنفوش) المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها فى الجوّ (فامامن ثقلت موازينه) بان ترجحت مقادير أنواع حسناته (فهوفى عيشة) فى عيش (راضية) ذات رضا أومرضية (وأمامن خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعبأبها أوترجحت سيآته على حسناته (فامه هاوية) فأواه النار المحرقة والهاوية من أسمائها ولذلك قال (وماأدراك ماهيه نارحامية) ذات حمى * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بهاميزانه يوم القيامة

(قوله وانتصاب يوم بمضمر) دل عليه القارعة والتقدير يقرع قلوب الخلق يوم يكون الناس

﴿سورة ألهاكم﴾

(قوله للتعظيم والمبالغة) أى حذف الملهى عنه للتعظيم أى هو لعظمته وشهرته لاحاجة الى ذكره واما افادة المبالغة فلدلالته ظاهرا على ان التكاثر الهاكم عن كل خير فتكون المبالغة فى الالهاء

﴿سورة ألهاكم التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألهاكم) شغلكم وأصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل (التكاثر) التباهى بالكثرة (حتى زرتم المقابر) اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنوسهم ان البغى أهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنوسهم وانما حذف الملهى عنه وهو مايعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغى له أن لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم اذا عاينتم ماوراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وفى ثم دلالة على أن الثانى أبلغ من الاول أوالاول عند الموت أوفى القبر والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون مابين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ماتستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره أولفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز أن يكون قوله (لترون الجحيم) جوابا له لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ماأنذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرأ ابن عامر والكسائى بضم التاء (ثم لترونها) تكرير للتأكيد أوالاولى اذا رأيتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها أوالمراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) الذى ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كاوامن الطيبات وقيل يعم ان اذ كل يسئل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم لم يحاسبه الله سبحانه وتعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية

(قوله ألهاكم التكاثر عن كل خير فتكون المبالغة فى الالهاء)

﴿سورة العصر﴾

(قوله والتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران) فكانه قيل والعصر الذى يضاف اليه الحوادث أى جعله الجاهلون فاعلا لها من جلتها الخسران ان الانسان لفى خسر الى آخر السورة فانه يعلم منه ان الخسر للاعمال القبيحة والربح للاعمال الصالحة فعلم منه ان الخسر ليس من الدهر

﴿سورة والعصر مكية وآيها ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها أوبعصر النبوة أوبالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران (ان الانسان لفى خسر) ان الناس لفى خسران فى مساعيهم وصرف أعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية (وتواصوا بالحق) الثابت الذى لا يصح انكاره من اعتقاد أوعمل (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى أوعلى الحق أومايبلوالله

به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغه الا أن يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ماعدا ماعديؤدى الى خسر ونقص حظا وتكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

﴿سورة الهمزة مكية وآيها تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ويل لكل همزة لمزة) الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعله يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة لمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها فى الاخنس بن شريق فانه كان مغيابا وفى الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذى جمع مالا) بدل من كل أو ذم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشديد للتكثير (وعدده) وجعله عدة للنوازل أو عده مرة بعد أخرى ويؤيده أنه قرئ وعدده على فك الادغام (يحسب أن ماله أخلده) تركه خالدا فى الدنيا فاحبه كما يحب الخلود أو حب المال أغفله عن الموت أو طول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعى للآخرة (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) ليطرحن (فى الحطمة) فى النار التى من شأنها أن تحطم كل مايطرح فيها (وما أدراك ما الحطمة) ما النار التى لها هذه الخاصية (نار الله) تفسيرها (الموقدة) التى أوقدها الله وما أوقده لا يقدر غيره أن يطفئه (التى تطلع على الافئدة) تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد ألطف ما فى البدن وأشده تألما أولانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة (انها عليهم موصدة) مطبقة من أوصدت الباب اذا أطبقته قال

تحن الى أجبال مكة ناقتى * ومن دونها أبواب صنعاء موصده

وقرأ حفص وأبو عمرو وحمزة بالهمزة (فى عمد ممددة) أى موثقين فى أعمدة ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين

﴿سورة الفيل مكية وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير مافيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فانها من الارهاصات اذ روى أنها وقعت فى السنة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قصتها أن ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف الحاج اليها فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فخلف اليها من الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوى اسمه محمود وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبى جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى جهة أخرى هرول فارسل الله تعالى طيرا كل واحد فى منقاره حجر وفى رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر فى رأس الرجل

(قوله الا أن يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله) أى يراد من العمل المذكور فى قوله وعملوا الصالحات عمل مقصور على كونه كاملا للشخص لا يتعدى الى غيره فيكون التواصى خارجا عن العمل بالوجه المذكور

﴿سورة الهمزة﴾

(قوله وعدده على فك الادغام) أى العدد بالدالين من غير تشديد (قوله وفيه تعريض بان المخلد هو السعى للآخرة) التعريض مفهوم من تخصيص الانكار بأن ماله أخلده أى بحسب ان المال أخلده وهو خطأ بل المخلد شئ آخر هو السعى للآخرة (قوله تعلوا أوساط القلوب الخ) انما فسر بذلك ليلزم تأثير النار فى بواطن القلوب (قوله مثل المقاطر) المقطر هى الخشبة فيها خروق يدخل فيها أرجل المحبوسين

﴿سورة الفيل﴾

(قوله وشرف رسوله) شرفه لانه ثبت أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوجه اليه فى الصلاة والحج وكونه صلى الله عليه وسلم متولدا فى تلك السنة فكان هلاك أصحاب الفيل ببركته

فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ ألم ترجدا فى اظهار أثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام (ألم يجعل كيدهم) فى تعطيل الكعبة وتخريبها (فى تضليل) فى تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شأنها (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل لاواحد لها كعباديد وشماطيط (ترميهم بحجارة) وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع أو اسناده الى ضمير ربك (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير أو الاسجال وهو الارسال أو من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقى صفرا منه أو كتبن أكلته الدواب وراثته * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ

﴿سورة قريش مكية وآيها أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله عليهم لاتحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) أى الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون أو بمحذوف مثل اعجبوا أو بما قبله كالتضمين فى الشعر أى فجعلهم كعصف مأكول لئيلاف قريش ويؤيده أنهما فى مصحف أبى سورة واحدة وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن فلا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لئلاف بغير ياء بعد الهمزة (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع) أى بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة أكلوا فيها الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) خوف أصحاب الفيل أو التخطف فى بلدهم ومسايرهم أو الجذام فلا يصيبهم ببلدهم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لئيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

﴿سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أرأيت) استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل أمرها وأرأيتك بزيادة الكاف (الذى يكذب بالدين) بالجزاء أو الاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثانى قوله (فذلك الذى يدع اليتيم) يدفعه دفعا عنيفا وهو أبو جهل كان وصى اليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه أو أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحا فقرعه بعصاه أو الوليد بن المغيرة أو منافق بخيل وقرئ يدع أى يترك (ولايحض) أهله وغيرهم (على طعام المسكين) لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى غافلون غير مبالين بها (الذين هم يراؤن) يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليهم (ويمنعون الماعون) الزكاة أو مايتعاور فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام أحق بذلك ولذلك رتب عليها الويل أو للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق

(قوله جدا فى اظهار الجازم) أى قرئ ألم تر بسكون الراء مبالغة فى اظهار لم الجازمة (قوله وكيف نصب لفعل لا بتر الخ) أى كيف غير منصوب بتر المذكور لان كيف فيه معنى الاستفهام فله لصدارة فلا يجوز تقدم العامل عليه بل هو معمول فعل مؤخر عنه

﴿سور قريش﴾

(قوله كالتضمين فى الشعر) التضمين هو ان يضمن الشعر شيأ من شعر الغير ولا يخفى ان هذا المعنى لا يتحقق فى القرآن من وجهين فوجه الشبه بين تعليق هذه السورة بما قبلها والتضمين ان فى كل منهما وصل كلام ظاهر الانفصال عما قبله به

﴿سورة أرأيت﴾

(قوله الحاقا بالمضارع) فان المضارع ليس فيه الهمزة (قوله ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء) وهى جملة فذلك الذى يدع اليتيم (قوله يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليهم) يرون من باب الافعال بصيغة المبنى للفاعل وكذا ليروهم والمعنى يقصدون ان الناس ترى أعمالهم ليرى الناس اياهم الثناء عليهم أى ليثنى الناس عليهم (قوله أو للسببية) يعنى ان الفاء اما جزائية أو سببية (قوله للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق) فالمعاملة مع الخالق أن لا يصلى ولا يعبده ومع الخلق أن لا يحض على طعام المسكين ويمنع الماعون

﴿سورة الكوثر﴾ (قوله خالصا لوجه الله) الخلوص يستفاد من اللام التي للاختصاص (قوله جامعة لاقسام الشكر) الشكر الفعلي بانواعه التي هي القيام والركوع والسجود والقولي هو القراءة والتسبيح والتعظيم (قوله ان من أبغضك لبغضه لله) أي من أبغضك بغضه بسبب الله يكون هو الأبتر ﴿سورة الكافرون﴾ (قوله في الحال أو فيما سلف الخ) يفهم من مجموع الكلام ان النبي صلى الله عليه وسلم غير عابد في وقت ما معبودهم ولا هم عابدون في وقت ما معبود النبي صلى الله عليه وسلم أما الاول فلانه يفهم من قوله لا أعبد ما تعبدون انه لم يعبد فيما يستقبل معبوداتهم ومن قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم انه صلى الله عليه وسلم غير عابد اياها في الحال وفيما سلف ويفهم من قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد انهم لا يعبدون فيما لا يستقبل معبود النبي صلى الله عليه وسلم ومن قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد انهم ما عبدوا في الزمان الماضي ولا في الحال معبود النبي صلى الله عليه وسلم وانما حملنا الأنا عابد ما عبدتم على الزمان الماضي والحال معا لانه في مقابلة قوله تعالى لا أعبد ما تعبدون الذي للاستقبال فكانه قيل ولا أنا عابد ما عبدتم في غير الاستقبال ما عبدتم وعلى هذا فالظاهر أن يقال في الحال أو فيما سلف بالواو لا بأو (قوله ويجوز أن يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ) اذ يجوز أن يراد لا أنا عابد في زمان ما عبدتم فيكون تأكيدا للا أعبد بطريق أبلغ لان لا أعبد ما تعبدون يدل على الزمان الاستقبالي كما ذكروا مالا أنا عابد ما عبدتم فيحتمل ان يدل على الزمان مطلقا وكذا قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد المذكور أو لا يدل على نفي العبادة في الاستقبال ولا أنتم عابدون المذكور ثانيا يدل على نفي العبادة في مطلق الزمان (قوله فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد) لان قوله تعالى لكم دينكم اخبار عن عدم ايمانهم في المستقبل ولا يدل على الاذن في الكفر ولا في المنع عن الجهاد (قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن) قال بعض العلماء في توجيهه مقاصد القرآن التوحيد والاحكام الشرعية وأحوال المعاد والتوحيد عبارة عن تخصيص الله بالعبادة والتخصيص انما يحصل بعبادته ونفي عبادة غيره فصارت مقاصد

والخلق * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكاة مؤديا

﴿سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أعطيناك) وقرئ أنطيناك (الكوثر) الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن العظيم (فصل لربك) فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر (وانحر) البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية (ان شانئك) ان من أبغضك لبغضه الله (هو الابتر) الذي لا عقب له اذ لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر العظيم

﴿سورة الكافرون مكية وآيها ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل يا أيها الكافرون) يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روي أن رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت (لا أعبد ما تعبدون) أي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي فيما يستقبل لانه في قران الا أعبد (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي في الحال أو فيما سلف (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت ما أنا عابده ويجوز أن يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كأنه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق أو للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاولیان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان (لكم دينكم) الذي أنتم عليه لا تتركونه (ولي دين) ديني الذي أنا عليه لا أرفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء

القرآن بهذا الاعتبار أربعة وهذه السورة مشتملة على ترك عبادة غيره تعالى والتبرى عن الاشراك فى العبادة فصارت بهذا الاعتبار ربع القرآن ثم قال فان قلت كما انها مشتملة على النهى عن عبادة الغير فهى مشتملة على عبادة الله تعالى لقوله ولا أنتم عابدون ما أعبد فتكون مشتملة على نصف مقاصد القرآن بناء على ماذكرتم قلت ليس فيها دلالة على الامر بالعبادة كما لايخفى كما انه ليس فيها الأمر بعبادة غيره فى قوله لا أعبد ما تعبدون والحاصل ان هذه السورة مشتملة على البراءة من الشرك بالله وليس فيها تصريح بعبادة الله تعالى فباعتبار معناه الصريح تكون ربع القرآن هذا كلامه أقول لانسلم ان هذه السورة مشتملة على النهى عن عبادة الغير صريحا كما انها ليست مشتملة على الامر بعبادة الله صريحا فان اعتبر التصريح فلم تكن السورة مشتملة على التوحيد مطلقا فان لم يعتبر بل اعتبر المعتبر أعم من التصريح والضمنى فنقول السورة مشتملة على جزأى التوحيد والوجه ان يقال ان مقاصد القرآن مشتملة على أربعة أشياء صفات الله تعالى والنبوات والاحكام والمواعظ والثلاثة الأخيرة غير مذكورة فى السورة وأما الاولى فرأس الصفات ومقدمها فى الاعتبار التوحيد فكانها الصفات كلها لانها متفرعة عليها فلما اعتبر التوحيد السورة فكانت تعادل ربع القرآن

﴿سورة اذا جاء﴾

(قوله وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح سائر البلاد عليهم) المراد جنس فتح سائر البلاد لا فتح سائر البلاد اذ هو ليس فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم فلا يناسبه قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك أو يقال المراد فتح سائر البلاد المفتوحة فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم (قوله على طريقة تلقوا النزول من الخالق) فان سبح بحمد ربك توجه الى كمال الخالق والاستغفار توجه الى حال العبد وتقصيراته (قوله وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة) ان أراد ان الامر بالاستغفار دال على تمام الدعوة ففيه ان الامر بالاستغفار مشروط بان يكون بعد الفتح فلا يكون دالا على قرب أجله صلى الله عليه وسلم فلا يكون نعيا وان أراد ان نزول السورة دال على النعى ففيه ان مجرد نزول السورة لايدل على تمام الدعوة بل الامر بالتسبيح والاستغفار الذى بعد الفتح والنصر أو الفتح والنصر أنفسهما دالان عليهما ويمكن أن يقال ان السورة دالة على انه صلى الله عليه وسلم يموت وهو المراد بالنعى

﴿سورة تبت﴾

والدعاء والعبادة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

﴿سورة النصر مدنية وآيها ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاء نصر الله) اظهاره اياك على أعدائك (والفتح) وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجىء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيأ فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعد الشكره (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببال أحد حامدا له عليه أو فصل له حامدا على نعمه روى أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أو فنزهه تعالى عما كانت الظلمة يقولون فيه حامدا له على ان صدق وعده أو فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من الالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح على الحمد ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل مارأيت شيأ الا ورأيت الله قبله (انه كان توابا) لمن استغفره منذ خلق المكلفين والاكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلاة والسلام مايبكيك فقال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين فهى كقوله اليوم أكملت لكم دينكم أو لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا جاء أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة شرفها الله تعالى

﴿سورة تبت مكية وآيها خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبت) هلكت أو خسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك (يدا أبى لهب) نفسه كقوله ولا

تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين جمع أقاربه فانذرهم فقال أبو لهب تبالك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وأخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله أو ليجانس قوله ذات لهب وقرئ أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب (وتب) اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه انه قرئ وقد تب أو الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن عمل نفسه (ما أغنى عنه ماله) نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب أو استفهام انكار له ومحلها النصب (وما كسب) وكسبه أو مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع أو عمله الذي ظن انه ينفعه أو ولده عتبة وقد افترسه أسد في طريق الشام وقد أحدق به العير ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه (سيصلى نارا ذات لهب) اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز أن يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا وسيصلى مشددا (وامرأته) عطف على المستتر في سيصلى أو مبتدأ وهي أم جميل أخت أبي سفيان (حمالة الحطب) يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه أو النميمة فانها كانت توقد نار الخصومة أو حزمة الشوك أو الحسك فانها كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم (في جيدها حبل من مسد) أي مما مسد أي فتل ومنه رجل ممسود الخلق أي مجدول وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها أو بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال أو الخبر وحبل مرتفع به * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

* سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها أربع آيات *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(قل هو الله أحد) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو أو لما سئل عنه أي الذي سألتموني عنه هو الله اذ روي أن قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت وأحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا أيها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذاك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول أو موادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب أن تكون منه وأما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه أخرى (الله الصمد) السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اليه اذا قصده وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظة الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى أو الدليل عليها

والمعنى أي شئ أغنى عنه ماله (قوله فهو اخبار عن الغيب قبل وقوعه) اذ يعلم لما وقع عليه انه لا ينفعه ماله وما كسبه (قوله وهو ترشيح) مشعر بان الحبل ليس بمعناه الحقيقي بل مجاز ولعل المراد السلسلة التي تكون في جيدها في جهنم والفتل ترشيح المجاز باعتبار ان الفتل مناسب للمعنى الحقيقي للحبل (قوله والظرف في موضع الحال أو الخبر) يعني يكون اما حالا عن امرأته أو خبرا عن امرأته وحبل مرتفع بانه فاعل الظرف

* سورة الاخلاص *

(قوله ولا حاجة الى العائد لانها هي هو) أي الخبر وان كان جملة لكن لا حاجة الى العائد لانها أي القصة هي أي الجملة هو أي ضمير الشأن (قوله على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال) المراد من صفات الكمال على ما فهم من كلامه الصفات السلبية و بصفات الكمال الثبوتية (قوله وهو الموصوف على الاطلاق) لانه القادر على كل شئ وليس لغيره قدرة أصلا على شئ (قوله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية) أي للاشعار بان من لم يتصف بكونه مصمودا اليه في الحوائج لم يستحق الالوهية أي المعبودية (قوله لانها كالنتيجة للاولى والدليل عليها) أما الاول فباعتبار ان من هو

أحد منزه عن جميع سمات النقص لابد أن يكون صمدا مقصودا اليه فى الحوائج والثانى فلان من يكون صمدا على الاطلاق لابد أن يكون أحدا أى منزها عن جميع صفات النقص (قوله لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه الخ) لان الولد لابد أن يكون من جنس أبيه وهو تعالى لم يكن من جنس غيره لانه واجب بالذات وغيره ممكن ولان الولد مطلوب لاجل الاعانة وليكون خليفة للوالد بعد فنائه وهو

(لم يلد) لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله أوليطابق قوله (ولم يولد) وذلك لانه لايفتقر الى شئ ولايسبقه عدم (ولم يكن له كفوا أحد) أى ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز أن يكون حالا من المستكن فى كفوا أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفى أقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يارسول الله وماوجبت قال وجبت له الجنة

﴿سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أعوذ برب الفلق) مايفلق عنه أى يفرق كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما مايخرج من أصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ به مايخافه ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لان الاعاذة من المضار تربية (من شر ماخلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختيارى لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعى كاحراق النار واهلاك السموم (ومن شر غاسق) ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل وأصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه (اذا وقب) دخل ظلامه فى كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف (ومن شر النفاثات فى العقد) ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روى أن يهوديا سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى احدى عشرة عقدة فى وتر دسه فى بئر فمرض النبى صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان وأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بموضع السحر فارسل عليا رضى الله تعالى عنه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولايوجب ذلك صدق الكفرة فى أنه مسحور لانهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل

(قوله ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله أوليطابق قوله ولم يولد) وذلك لانه لايفتقر الى شئ ولايسبقه عدم (قوله ولم يكن له كفوا أحد) أى ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز أن يكون حالا من المستكن فى كفوا أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفى أقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك) أى من عدلها بكل القرآن أراد به عدل المقصود بالذات من تلك الاقسام وهو العقائد

﴿سورة الفلق﴾

(قوله فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد) أى فلق ظلمة العدم وأخرج منها الموجود بسبب نور الوجود فهو مفلوق عنه قال الطيبى ينشق الليل عن الصبح فالليل مفلوق والصبح مفلوق عنه (قوله ومحاكاة فاتحة يوم القيامة) فانه كما ان فى فاتحة يوم القيام تنشر الموتى من القبور ففى الصبح تنشر النيام من المراقد (قوله لان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم) الاولى ان يقال من قدر أن يزيل ظلمة الليل التى هى منشأ المخاوف فى هذا العالم الخ حتى يظهر ارتباط الفلق بالتعوذ (قوله خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه الخ) المراد من عالم الخلق عالم العناصر ومايتركب منها (قوله ولايوجب ذلك صدق الكفرة فى أنه مسحور) يمكن أيضا ان يقال لايوجب صدقهم لانهم أرادوا به انه مسحور بسبب دعوى النبوة فهو لكونه مسحورا لم يعلم مايقول ويدعى مالايكون (قوله وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل) أى يبطلون عزائمهم الحسنة التى هى محض الخير

غاسق

غاسق وحاسد (ومن شر حاسد اذا حسد) اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور ومايضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد فى طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث فى العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادهما من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة * عن النبى صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعنى المعوذتين

* سورة الناس مختلف فيها وآيها ست آيات *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(قل أعوذ) وقرئ فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (برب الناس) لما كانت الاستعاذة فى السورة المتقدمة من المضار البدنية وهى تعم الانسان وغيره والاستعاذة فى هذه السورة من الاضرار التى تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك أمورهم ويستحق عبادتهم (ملك الناس اله الناس) عطف بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفى هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر فى المعارف فانه يعلم أولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة أن له ربا ثم يتغلغل فى النظر حتى يتحقق أنه غنى عن الكل وذات كل شئ له ومصارف أمره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لا غير وتدرج فى وجوه الاستعاذة كما يتدرج فى الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان (من شر الوسواس) أى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة (الخناس) الذى عادته أن يخنس أى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة أو النصب أو الرفع على الذم (من الجنة والناس) بيان للوسواس أو للذى أو متعلق بيوسوس أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على أن المراد به مايعم الثقلين وفيه تعسف الا أن يراد به الناسى كقوله تعالى يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التى أنزلها الله تبارك وتعالى

من شر كل نفاثة بخلاف غاسق وحاسد فان كلا منهما نكرة مفردة ليس فيهما معنى الاستغراق (قوله بل الحيوان غيره) أما حال الانسان فظاهر وأما الحيوان فلانه اذا رأى واحد من الحيوانات حيوانا آخر يأكل شيأ لذيذا عنده هجم عليه وقصد جبره ليأخذ منه ذلك الشئ ويأكله (قوله كالقوى) أى كالقوى الانسانية التى لا تكون سببا لكماله بل لنقصه

* سورة الناس *

(قوله دلالة على انه حقيق بالاعاذة الخ) لان الملك شأنه أن لا يمنع (قوله تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات) أى نزل وجوه الاستعاذة وهى الاستعاذة برب الناس وملك الناس واله الناس بحسب اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اذ لو لم تعتبر هذه النكتة كفى ان يقال أعوذ برب الناس (قوله من جهة الجنة والناس) أما من جهة الجنة فباعتبار انه يجعل فى الخواطر ان الجنة لهم التأثير وايصال الشر والخير وأما من جهة الناس فباعتبار ان يجعل فيها أيضا اتباعها للضالين المضلين (قوله الا أن يراد به الناسى) أى يقال المراد من الناس الواقع فى

قال المصنف رحمه الله تعالى وقد اتفق اتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوى على فرائد فوائد ذوى الالباب المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة وصفوة آراء أعلام الامة فى تفسير القرآن وتحقيق معانيه والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه مع الايجاز الخالى عن الاخلال والتلخيص العارى عن الاضلال الموسوم بأنوار التنزيل وأسرار التأويل وأسأل الله تعالى أن يتم نفعه للطلاب ولا يخلى سعى من يتعب فيه من الاجر والثواب ويختم كل خاتمة امرئ يؤمه بتمحيص عن الآثام ويبلغنى أعلى منازل دار السلام فى جوار العليين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهو سبحانه حقيق بأن يحقق رجاء الراجين تحقيقا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وأتباعهم أجمعين

﴿يقول راجى غفران المساوى رئيس لجنة التصحيح (بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر) محمد الزهرى الغمراوى﴾

نحمدك اللهم مبدع الكائنات وان كنا لا نفى بواجب حمدك ونشكرك على ما أنزلته من الآيات ونسألك الهداية لقربك والحماية من بعدك ونستمنحك اللهم دوام الصلاة والتسليم على من شرفته بخطاب ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم سيدنا محمد المخصوص بأبهر المعجزات وأوضح الآيات البينات وعلى آله ذوى الكمال وأصحابه الذين ناضلوا عن دينه أى نضال ﴿أما بعد﴾ فقد تم بحمده تعالى طبع تفسير الامام البيضاوى الذى هو مع دقة الاتقان لجميع محاسن التفاسير حاوى المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل الذى أطبقت أساطين المحققين وفضلاء المتأخرين انه التفسير الجامع لزبدة التأويل وانه المعوّل عليه فى فهم أسرار التنزيل ولذلك تنافس فى فهم عباراته الراسخون واستشهد بنصوص كلامه المتجادلون وبالجملة فشهرة الكتاب غنية عن التعريف وفضله يقصر أن يفى به تأليف وقد حليت طرره ووشيت غرره بحاشية العلامة المحقق والفهامة المدقق شيخ الاسلام أبى الفضل الصديق المسمى بالكازرونى رحمه الله وأثابه رضاه وهى حاشية اشتملت على تحقيقات جليلة وفوائد هى درر عطايا جزيلة وقد جاء بها الشرح طبق المرام وأزاحت يد الطبع عنها اخفاء اللثام وذلك (بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر) فى أوائل شهر جمادى الثانية سنة ١٣٣٠ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين

﴿فهرست الجزء الخامس من تفسير الامام البيضاوى﴾

صحيفة	
٢	تفسير سورة الصافات
٣	بيان معنى الشهاب وانه رجوم للشياطين
٩	بيان الذبيح وانه اسماعيل وردما استدل به من قال انه اسحق
١٤	تفسير سورة ص
١٧	بيان مااشتملت عليه محاكمة الخصمين بين يدى سيدنا داود
١٩	بيان مافتن به سيدنا سليمان والجسد الذى ألقى على كرسيه
٢٣	تفسير سورة الزمر
٢٨	بيان مافعله خالد بن الوليد بالعزى
٣١	بيان مافسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاليد
٣٢	بيان ان العدل نور والظلم ظلمات
٣٤	تفسير سورة المؤمن
٣٥	بيان استغفار الملائكة للمؤمنين
٣٨	بيان مؤمن آل فرعون
٤٣	بيان عدد الانبياء
٤٤	تفسير سورة السجدة
٤٨	بيان موضع السجود فى السورة عند الأئمة
٥٠	تفسير سورة حم عسق
٥٢	بيان الدين المشترك بين الانبياء
٥٣	بيان القربى الذين تجب مودتهم
٥٧	تفسير سورة الزخرف
٦٠	بيان الرجلين اللذين كانت قريش تجلهما وتقول لولا أنزل القرآن على أحدهما
٦٥	تفسير سورة الدخان
٦٨	تفسير سورة الجاثية
٧١	تفسير سورة الاحقاف
٧٤	بيان مساكن عاد
٧٥	بيان وقت سماع الجن القرآن من رسول الله

صحيفة	
٧٦	تفسير سورة القتال
٧٧	بيان مايسوغ للامام فعله مع الاسير
٨١	تفسير سورة الفتح
٨٢	بيان أسباب المبايعة تحت الشجرة
٨٣	بيان دلالة القرآن على صحة بيعة أبى بكر رضى الله عنه
٨٦	تفسير سورة الحجرات
٨٧	بيان بعث الوليد بن عقبة الى بنى المصطلق وكذبه عليهم
٨٩	بيان الشعوب والقبائل والبطون والافخاذ
٩٠	تفسير سورة ق
٩٥	تفسير سورة الذاريات
٩٨	تفسير سورة الطور
١٠١	تفسير سورة النجم
١٠٢	بيان الاصنام التى كانت للعرب وأسباب اتخاذها
١٠٥	تفسير سورة القمر
١٠٨	تفسير سورة الرحمن
١١٢	تفسير سورة الواقعة
١١٦	تفسير سورة الحديد
١١٧	بيان أسباب تفاوت الانفاق قبل الفتح وبعده
١٢١	تفسير سورة المجادلة
١٢٤	تفسير سورة الحشر
١٢٥	بيان الاختلاف فى قسم الفىء
١٢٨	تفسير سورة الممتحنة
١٣٠	بيان ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية من رد مهر من جاءت مسلمة
١٣٠	تفسير سورة الصف
١٣٢	تفسير سورة الجمعة

صحيفة		صحيفة	
١٣٣	تفسير سورة المنافقين	١٨٤	تفسير سورة الفجر
١٣٤	تفسير سورة التغابن	١٨٦	تفسير سورة البلد
١٣٦	تفسير سورة الطلاق	...	تفسير سورة الشمس
١٣٨	تفسير سورة التحريم	١٨٧	تفسير سورة والليل
١٤٠	تفسير سورة الملك	١٨٨	تفسير سورة والضحى
١٤٣	تفسير سورة ن	١٨٩	تفسير سورة الم نشرح
١٤٧	تفسير سورة الحاقة		تفسير سورة والتين
١٥٠	تفسير سورة المعارج	١٩٠	تفسير سورة العلق
١٥٢	تفسير سورة نوح	١٩١	تفسير سورة القدر
١٥٤	تفسير سورة الجن	١٩٢	تفسير سورة لم يكن
١٥٦	تفسير سورة المزمل		تفسير سورة الزلزلة
١٥٨	تفسير سورة المدثر	١٩٣	تفسير سورة والعاديات
١٦١	تفسير سورة القيامة		تفسير سورة القارعة
١٦٣	تفسير سورة الانسان	١٩٤	تفسير سورة التكاثر
١٦٦	تفسير سورة المرسلات		تفسير سورة والعصر
١٦٨	تفسير سورة النبأ	١٩٥	تفسير سورة الهمزة
١٧٠	تفسير سورة النازعات	...	تفسير سورة الفيل
١٧٣	تفسير سورة عبس	١٩٦	تفسير سورة قريش
١٧٥	تفسير سورة التكوير		تفسير سورة الماعون
١٧٦	تفسير سورة الانفطار	١٩٧	تفسير سورة الكوثر
١٧٧	تفسير سورة المطففين		تفسير سورة الكافرون
١٧٨	تفسير سورة الانشقاق	١٩٨	تفسير سورة النصر
١٧٩	تفسير سورة البروج		تفسير سورة تبت
١٨١	تفسير سورة الطارق	١٩٩	تفسير سورة الاخلاص
١٨٢	تفسير سورة سبح	٢٠٠	تفسير سورة الفلق
١٨٣	تفسير سورة الغاشية	٢٠١	تفسير سورة الناس

﴿ تمت ﴾